

سلسلة المخطوطات العربية

٢

كتاب أساس التأويل

تأليف

الداعي الاسماعيلي الاجل

النعمان بن جيون التميمي المغربي

قاضى قضاء الدولة الفاطمية

المتوفي سنة ٣٦٣ هـ

تحقيق وتقديم

عارف تامر

المقدمة

ترددت كثيراً قبل ان اقدم على دفع هذا الكتاب الى الطبع ، وما ذلك الا لرغبتى التامة بالابقاء عليه مدة اطول في كهف « التقية » ، بين مجموعة المخطوطات الاسماعيلية الاخرى التي لم يحن وقت نشرها وتعميمها بعد . هذا من جهة ومن جهة ثانية ، فلأعتقادي بأن المعلومات التي يجب الحصول عليها عن موضوع الكتاب لم تستكمل بعد ، كما وان هنالك مخطوطات اخرى من الضرورة العلمية ان تسبقه للنشر ، فهي بالرغم من انها دونه بالمرتبة ، الا انها تقود اليه ، وتعتبر مفتاح بابه ، او المدخل الى ارجائه .

والآن ... فكلما خطرت ببالي كلمة « تأويل » التي نحن في صدد التحدث عنها ، فلا يتراءى لي الا « اساس التأويل » وحده ، لانه الكتاب الوحيد بين مجموعة المخطوطات الاسماعيلية الذي يعالج موضوعاً معيناً هو « التأويل » ، والسفر النفيس الذي يمثل الفكرة الاساسية لهذا العلم تمثيلاً مترناً معقولاً ، ويعرضها عرضاً دقيقاً مفصلاً ، تراءى الاضواء على فقراته ومواده ، لتقرّبها من الازدهان وتدنيها من الافكار . والتأويل سمي بذلك لانه رجوع الى المآل والمرجع من آل الشيء يؤول اوّلاً ومآلاً اذا رجع وعاد ، ومآل الكلام مفاده وفجواه .

لقد كان التأويل في عهد الدعوة الاسماعيلية المبكر ، وفي ابان

ازدهارها ، الموضوع الاساسي لكل فكرة فلسفية باطنية ، والشجرة التي نمت وترعرعت ثم تفرع منها الكثير من الاغصان ، او بلغة اصح الاساس الذي تركزت عليه دعائم هذه الدعوة الفكرية ، والغذاء الذي موّن الفلسفة الباطنية بالحكم والمنطق والبيان . ولأجل هذا كله اعتبر كتاب « اساس التأويل » لدى الاسماعيليين من الكتب الثمينة والذخائر الغالية التي تقضي تعاليمها العقائدية ، بالمحافظة على سرّيته وكمّان تعاليمه ، والسهر على منع تسرب المواد العقائدية التي وردت فيه لمن هم من غير الاسماعيليين ، وكل هذا يعتبر سر العقيدة ومفتاح باب الدعوة ، مضافاً الى ذلك ان في الكتاب تأويلاً لقصاص الانبياء التي وردت في الكتب السماوية الثلاث : التوراة ، والانجيل ، والقرآن ، فكل هذا كان يشكل موضوعاً ، تقضي العقيدة بالمحافظة على اسراره التامة ، مما يخرج عن نطاق المفهوم العام لدى طبقات العامة ، الذين اعتبروا بانهم لم ينالوا من الثقافة الا قشورها ، ومن العلوم الا ظواهرها .

قد يكون من الواضح ان « التأويل » بمعناه الواقعي لدى الاسماعيليين يختلف عن « التفسير » بمعناه الصحيح لدى عامة الفرق الاسلامية الاخرى ، فالتفسير معناه جلاء المعنى لكل كلمة غامضة لا يفهم معناها القاريء ، فاذا سئلنا مثلاً ما هو تفسير كلمة « شجرة » ؟ اجبتنا : انها نبتة تفرس صغيرة ، ثم تنمو فيتفرع منها جذوع واغصان ينبت عليها ورق اخضر ، وفي الربيع تحمل ازهاراً لا تلبث بعد ذلك حتى تعقد ثمرأ طيباً .. الخ ... اما اذا قلنا ما هو تأويل كلمة شجرة ؟ فنجيب بان ذلك يتبع رأي المسؤول المباشر عن التأويل ، قد يقول انها حجرة ، او بقرة ، او صخرة او غير ذلك مما يجب ان يتلاءم مع الحقيقة والواقع والعقل ، فلا يكون غريباً عن التصديق ، ولا بعيداً عن

الفكر . اذن فالتأويل هو باطن المعنى او رمزه ، او جوهره ، وهو حقيقة متسترة وراء لفظة لا تدل عليها ، ومن هنا اعطى النظام الاسماعيلي الفكري صلاحية التفسير (للناطق) ، ووهب صلاحية « التأويل » للامام ، فالأول أُعتبر يمثل الشريعة والاحكام والفقه والقانون الظاهر ، والثاني يمثل الحقيقة والتأويل والفلسفة والباطن .

من المسلم به ان التأويل من العلوم التي خص بها الاسماعيليون ائمتهم وسموا لاجله بالباطنية فقد جعلوا محمداً هو صاحب التنزيل للقرآن كما قلنا ، وجعلوا علياً صاحب التأويل اي ان القرآن انزل على محمد بلفظه ومعناه الظاهر للناس ، اما اسراره التأويلية الباطنية فقد خص بها علياً والائمة من بعده وقد اخذ الاسماعيليون بعض آيات القرآن الكريم دليلاً على القول في وجوب التأويل . كقوله :

« وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْاَحَادِيثِ »
وكقوله :

« وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ
الْاَحَادِيثِ »
وكقوله :

« وَسَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا »
وكقوله :

« هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ، مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَآخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا

اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ »

وهناك أدلة عقلية على وجوب التأويل أخذت من القرآن الكريم .
كقوله تعالى

« سَرَّيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ »

وقوله :

« وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟ »

وكل هذا يفسر ان الظاهر وجد للدلالة على الباطن ، وقد اعتبروه
ممثولا ، والظاهر مثلاً ، والمؤيد في الدين داعي دعائهم وفيلسوفهم الاكبر
يقول في هذا الصدد :

[خلق الله الامثال والمثولات]

فجسم الانسان مثل ونفسه ممثول ، والدنيا مثل والآخرة ممثول .
وقال ايضاً :

اقصد حمى ممثوله دون المثل ذا ابر النحل وهذا كالعسل

وكل هذا ينقلنا الى مدينة الاسكندرية وجوها الفيلسفي وما قاله
(فيلون) وتلامذته الذين حاولوا تأويل التوراة تأويلاً باطنياً فلم يقدر
لهم النجاح . كما وان سانت اوغسطين حاول وتلاميذه واتباع مدرسته
تأويل الانجيل تأويلاً باطنياً ، ولكنهم لم يستطيعوا تنفيذ الفكرة لاعتبارات
شتى يطول شرحها ، فجاء الاسماعيليون ونشروا نظامهم الفكري فكان
اول منهاج طبقوه ودعوا اليه نظام التأويل . ومن الواضح انهم صقلوه
بأفكارهم وأدخلوا عليه التأويل العقلي الذي يشذب النقل والتسليم ليثبتوا

للعالم الاسلامي انهم من العريقين في فهم الاصول الاسلامية . فقالوا
بالباطن وضرورته كما قالوا بالظاهر الى جانبه ، فلا يقبل الظاهر دون
الباطن ولا ينفع الباطن دون الظاهر لان الظاهر والباطن كالجسد والروح
تتولد من اجتماعها الفوائد وتعرف المقاصد .

ومهما يكن من امر فلا بد من القول ايضاً ، بأن التنزيل كما قلنا
اختص به الناطق في حياته ، وهو علم الظاهر واحكام الشريعة ، والعلم
المصرح بتعلمه وتبنيه واعتناقه لطبقات العامة . كما ان الامام او «الاساس»
(وكلمة اساس تطلق على كل امام يعاصر «الناطق») مسؤول عن
الباطن والتأويل ، والحقيقة ومرموزاتها وتعاليمها السرية التي لا يمكن
الافصاح عنها الا لجنود الدعوة المخلصين الذين تدرجوا في مراتبها ،
وترفعوا في مناصبها وهم طبقات « الخاصة » .

لهذه الاسباب نرى ان كتابي « اساس التأويل » و « دعائم الاسلام »
وكلاهما من وضع « النعمان بن حيون » يمثلان فكرتين واتجاهين مرتبطين
تمام الارتباط ببعضهما البعض ، واعني بهما الباطن والظاهر ، فالاول
اعتبر أساساً للفلسفة الباطنية ، والثاني اساساً للفقهاء والشريعة ، وقد
رواه الامام « جعفر بن محمد » الصادق عن جده الرسول الناطق محمد
باعتباره المسؤول عن الشريعة ، واحكام الظاهر والتنزيل كما قلنا . وكل
هذا يعطي الدليل القاطع على اهمية الكتاب ، ويبرهن على ان الدراسات
الاسماعيلية الباطنية كانت على درجات ، وان مراتبها مقسمة الى صفوف
لا بد للمستجيب من الدخول اليها ، واجتياز حلقاتها ومما يجب ان يقال
ان الاسماعيليين انفردوا وحدهم بالتأويل لآيات القرآن التي توجب التأويل
وغيرهم من الفرق الاخرى اكتفى بالتفسير وكل هذا ظاهر في كتب
المفسرين الاولين الذين سبقوا محمد بن جرير الطبري وقد كان تفسيره الجامع

محكمة علمية للترجيح بين الفرق الاسلامية ، والاقرار بصواب النظريات والافكار .

ونعود الى صلب الموضوع مكررين القول بأنه من الصعوبة بمكان استيعاب نصوص الفلسفة الاسماعيلية والوصول الى نهايتها ، وفهم تعابيرها ومبرموزاتها وما ترمي اليه ، اذا لم يمر القاريء بنصوص تأويلية بدائية ، ولا شك ان « اساس التأويل » من النصوص التي يجب ان تدرس بامعان وان يتفهم ما تذخر به ، ومن الامور التي يجب ايضاً ان لا تخفى على الباحثين والمهتمين ان « النعمان بن حيون » قد وضع كتباً عديدة في الفقه والقانون والاحكام والتاريخ وفي علم التأويل الذي يعتبر المدخل ^(١) الى الفلسفة ، ولكننا لم نلاحظ انه وضع كتباً في الفلسفة نفسها ، ولا ندرى فيما اذا كان قد حظر عليه ذلك ، لان المعروف لدينا ان « جعفر بن منصور اليعمن » كان المسؤول المباشر عنها في تلك الفترة ، والمأذون الوحيد بعرضها والكتابة عنها ومناقشة مواضعها ، ولكن كل هذا لا يمنعنا من القول بان النعمان يعتبر من الادمغة المفكرة الكبرى التي وضعت ركائز الفكر في الدولة الفاطمية . أجل... وليس غريباً اذا قلنا ، ولا مغالة اذا اعلنا ان الاسماعيليين كان لهم النصيب

(١) ورد في عيون الاخبار لمؤلفه ادريس عماد الدين ٣٦/٦ - ٣٩ اسماء مؤلفات النعمان وقد جاء ان عددها اثنين وأربعين ، وأضاف الى ذلك كتابين ذكرهما الشيخ اسماعيل في الفهرست . وترجم له ابن خلكان في الوفيات ١٦٦/٢ ، والحافظ في رفع الاصر ورقة / ١٣٦ / والداعي ادريس عماد الدين في عيون الاخبار الجزء السادس . وراجع ملحق Guest على كتاب الولاة والقضاة للكندي / ٥٨٦ / ومقال Gottheil في J. A. O. S. ٢٧/٢١٧ ، ومقال حسين هذاني في J. R. A. S. ١٩٣٣ / ٣٦٨ - ٣٧٠ ، وتقدمة محمد كامل حسين لكتاب الهمة ٥ - ١٤ ، ومقال آصف فيضي في J. R. A. S. (١٩٣٤) ١ - ٣٢ وإيفانوف ٣٧ - ٤٠ ، ومقدمة عارف تامر لكتاب « خمس رسائل اسماعيلية » سنة ١٩٥٦ .

الاور في هذا المجال ، وحازوا على قصب السبق في ميدان الفكر ، فهم قد اغنوا المكتبة الاسلامية بالانتاج العلمي الضخم قبل وجود الدولة الفاطمية ، ولكن مع كل اسف ضاع ذلك التراث الثمين ، ولم تبق الايام منه بين ايدينا الا رسائل اخوان الصفاء وحدها . وهناك شيء آخر جدير بالانتباه ، ويأخذ قسم طويل من تفكيرنا هو موضوع المؤلفات الاسماعيليه التي وضعت قبل الدولة الفاطمية .

ما لا شك فيه ان انظمة التأويل والقوانين الفلسفيه كانت تسود مجتمعهم العقائدي في تلك الفترة ونرى انه لنا الحق ان نتساءل اين ذهبت تلك الثمرات الفكرية ، وما هي اسماء واضعيها ؟

قد يكون الجواب على هذا السؤال من الصعوبة بمكان ، لانه في الواقع لم تبق لنا تلك العصور السالفة المتقلبة المشحونة بالاحداث ، اي اثر من آثار الاسماعيلين سوى رسائل اخوان الصفاء كما قلنا ، ومن المرجح ان تلك الآثار قد اُتلفت في مركز الدعوة (سلمية - سوريا) اثناء غارات العباسيين والقرامطة والقبائل الاخرى ، ولهذا فان المعلومات عن الشاعر « عبد السلام بن رغبان - ديك الجن » وعن « المتنبي » وعن « المعري » وغيره كانت قليلة فلم تثر الطريق امام الباحثين ولم تروى غليل المهتمين . وعلى كل حال فلا بد لنا من الاشارة الى القصة التي رواها « جعفر الحاجب » بسيرته التي نشرها المستشرق (ايفانوف) « ivanov » عن « محمد المهدي - عبيدالله » مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ، عندما تعرض بعض اللصوص اليه وهو في طريقه من سلمية الى المغرب وكيف سلبوا منه مجموعة الكتب النفيسة التي كان قد حملها معه من المشرق ثم عوده الامام « القائم » الفاطمي الى المكان ذاته عندما استتب للفاطميين الامر في المغرب واسترجاعه الكتب ، وهذا يدل على

ان المجموعة التي انتقامها وحملها وآثرها وفضلها على الذهب والاحجار الكريمة ذات قيمة كبرى ولا يخامرني الشك بأنها تحتوي على نظام العقائد الباطنية وعلى قواعد الفلسفة والتأويل وغيرها من المواضيع الفلسفية .

كنّا قلنا بالامس ونعود فنردد ما قلناه اليوم بأن القرنين الثالث والرابع الهجريين هما من ازهر العهود بالنسبة للعالمين العربي والاسلامي، ففي خلالها ازدهرت الدعوة الاسماعيلية ازدهاراً فكرياً شاملاً ، فبرز الى حلبة العلم دعاة اسماعيليون تحرروا من كل المؤثرات والقيود والتبعات فعملوا على نقل الكثير من علوم الفرس والهند واليونان بعد ان شرحوها وكيفوها وهذبوها ووضعوا في أسسها النظريات المبعثرة مرتبة ، ومطبقة تطبيقاً جاء ملائماً للقواعد الاسلامية وللعقل وذلك بطريق النقل ، وكل هذا جرى في عهد الدعوة الاسماعيلية المبكر ، عندما كانوا يعتمدون على مباحث العلم والجدل والمناسطرات التي كانت تنتشر بسرعة كلية في جميع انحاء العالم ، هذا بالإضافة الى اعتمادهم على التمسك بظاهر الشريعة وتكليفها وموجباتها واحكامها تسكاً واقعياً يحتم عليهم الاّ يتساعخوا بتركها وامالها مع اضافة الرغبة الدينية الملحة بالتمسك في العبادة العلمية الباطنية الى جانبها . وكل هذا يضاف الى الدور الخطير الذي قام به الاسماعيليون في الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية ، وفي الحقيقة فليس هناك فرقة من فرق الاسلام لها ما للاسماعيلية من تاريخ طويل حافل بالاحداث .

وما لا شك فيه ان البويهيين والحمدانيين قد رفعوا لواء الثقافة والأدب عالياً في المشرق ، كما ان الامويين قد ساهموا مساهمة فعالة ببناء النهضة الادبية في الاندلس ، ولكن كل هذا لا يعادل جزءاً صغيراً مما ساهم به الفاطميون في هذا المجال وخاصة في عهد الامام « المعز لدين الله » الذي

يعتبر التاريخ عصره بأنه من ازهر العصور التي مرت على الاسلام في حياتها ، فالمعز الفاطمي كان على جانب عظيم من التفهم وبعد النظر والحرص على بعث النهضة العلمية في ارجاء دولته الشاسعة وتعزيز النظام الفكري الذي اعتبره اساساً لدعوته ، لذلك لم يكن غريباً علينا اذا رأيناه يساهم بنفسه ويشترك مع داعيه الأجل النعمان فيضعان كتابين اعتبرا اساساً لكل علم وفقه وفلسفة ، فالأول جاء اساساً للشرع الظاهر او ما يسمونه العبادة العملية وهو «دعائم الاسلام» ، والثاني جاء اساساً للفلسفة الباطنية او العبادة العلمية وهو «اساس التأويل» . وكما جاء الأول أساساً للشرعية والأحكام والجسم ، فكذلك جاء الثاني اساساً للحقيقة الفلسفية والروح .

أجل ... ساهم الأمام المعز لدين الله في انعاش الدولة الفاطمية في المجال الفكري ، ونهض بالناحيتين العلمية والادبية نهوضاً جباراً لم يسبقه اليه احد من الائمة الفاطميين سواء السابقين او اللاحقين ، ففي عصره وصلت الثقافة الى الذروة والى المستوى الرفيع ، واصبح سوق الأدب رائجاً والقاهرة المعزية كعبة يؤمها العلماء والأدباء والفلاسفة والطلاب والمستجيبون للانتقال من ينابيعها الدافقة بشتى العلوم والفنون ، فالمعز في هذا المضمار قد تفوق على منافسيه علماً وادباً كما تفوق عليهم سياسياً وحربياً ، واننا اذا عرفنا ان المعز نفسه كان من المثقفين ثقافة عالية وانه نال قسطاً وافراً من العلم ادركنا السبب . فهو بالاضافة الى معرفته لأكثر اللغات السائدة في عصره كاللاتينية والايطالية والاسبانية وقد قيل انه تعلمها لرغبته بافتتاح بلدانهم وضمها اليه ، ثم الصقلية والبربرية والسودانية وقد تعلمها بالنظر لوجود عدد كبير من القواد والجنود في عداد جيوشه ، اذن وبلاضافة الى كل هذا كان من المتضلعين في الشعر والادب كما روى المؤرخون عنه ، وها هو

المقرئزي وغيره من المؤرخين يحدثون بان مكتبته كانت تذخر بالكتب النادرة النفيسة وانه كان من المغرمن بعقد المجالس العلمية والاستماع الى مناظرات العلماء وتشجيعهم وتوفير الاموال لهم كما انه كان يشرف على المؤلفين ويتناول مؤلفاتهم بالتغيير والتعديل .

هذا ومن الجدير بالذكر ان «النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون» مؤلف كتابنا «اساس التأويل» من مواليد المغرب ومن اسرة تنتسب الى قبيلة بني تميم العربية ، ولم نَرَ في سيرة حياته اي ذكر لتاريخ ولادته ولكن عرف بانه توفي في القاهرة سنة ٣٦٣ هـ بعهد امامة المعز لدين الله الفاطمي ، والنعمان يعتبر بحق اب اسرة خدمت العلم خدمات جلى وادت للدعوة الاسماعيلية كل ما يمكن تأديته من الخدمات العلمية ، وان انتاجها الغزير في هذا المجال كان ذا اثر على مجرى التفكير العام وعلى الحياة العقلية ليس في القطر المصري فحسب بل في كافة الممالك الاسلامية . ومن الانصاف القول انه اشهر فقيه نشأ في الاسماعيلية منذ فجر الاسلام بل ومن اكثرهم انتاجاً واغزرهم مادة وأخصبهم قريحة وانتجهم للكتب الفقهية وللبحوث القانونية والشرعية . خدم الامام « محمد المهدي - عبيدالله » مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب في اواخر سني حياته ، ثم تولى بعهد « القائم » الفاطمي شؤون القضاء في طرابلس الغرب ، وفي عهد الامام « المنصور » عين قاضياً « للمنصورية » وله في نواديها العلمية ومساجدها المجالس الأدبية والمحاضرات التي كانت تستهوي افئدة الراغبين وطالبي العلم ، وحينما جاء الامام المعز لدين الله الى مصر اصطحب به واسرته معه ، وغرضه ان تستفيد الدولة منه في مصر ، كما استفادت المغرب ، ولكننا ونحن في معرض الحديث عن النعمان لا بد ان نتساءل عن انتاجه الادبي في المغرب ؟ وهل اصابه ما اصاب غيره فضاع في

زوايا الازمنة ؟

واخيراً لا بد من الرجوع للموضوع الرئيسي « التأويل » والقول :
بان هذا النوع من العلم عمل الاسماعيليون على تعميمه بين طبقات
المسلمين بحذر شديد ، وفي الواقع هو نتيجة تعلمهم الاساسي ونظامهم
الفكري ، لأن الدين كان بنظرهم ان يتوصل الانسان بالتمرين المستمر
والترقي من درجة الى اخرى حتى يصل اخيراً الى معرفة منازل الكون
التي قطعتها العوالم المسكونة بعد ان انفصلت عن المبدع المتعالى اى عن
الفكر المطلق الغير مجسم او العقل الأول او النور الأعلى او القوة
المطلقة او القلم الكاتب او السابق بالوجود المزيل من نفسه الانوار
للمنزلة الثانية او للعقل العام الثاني او للنفس الكلية العالمية ، وهذان
الاصلان هما اللذان يحدثان بعد ان يتغيرا في العقول الانسانية وعقول
الانبياء والائمة والخاصة ، اما طبقات العامة فليس لهم عقول مميزة بل
(هم من المعدمين) طالما انهم لم ينهلوا من المعرفة او ينتقلوا الى المنزلة
الثانية بواسطة التنوير والارشاد ، ولهذا التعليم درجات عديدة اذا ما
سار فيها الانسان بلغ الدرجة القصوى من الكمال العقلي والأدبي اللذان
هما الغرض الاسمى في حياة الانسان ، ولبلوغ هذه الغاية يجب العمل
على انماء القوى العقلية ثم السيرة الطيبة والحياة الأدبية الموافقة لمطالب
العقل السليم ولنظرية التطور الفكري التي تقود الى الاعتقاد بالانسان
الكامل او الحكيم المتجرد .

ونظام التأويل هذا كان ينمو هذا النمو ويقود الى هذه النظرية ،
لان الاسماعيليين اولوا الشرائع الدينية والآيات القرآنية تأويلاً باطنياً
يختلف عن ظاهرها ولكنه جاء موافقاً للعقل السليم ومطابقاً له ، وبالوقت
ذاته لم ينبذوا الشرائع المنزلة ولم ينكروا ما جاء به القرآن والكتب

السمائية الاخرى إلا أنهم أولوها واعترفوا انهم في غنى عن موجباتها وانهم يعلمون ما قصد الله منها لانهم من الذين فتحت بصائرهم بالعلوم فترقوا في مراتب دعوة عالم الدين التي هي مملوءة عالم المبدعات والموجودات .

ومن هنا يمكننا الحكم بان الاسماعيليين لا يعملون بالتفسير الظاهري فحسب بل ينولون الشرائع والاحكام والقرآن تأويلاً باطنياً مأخوذاً عن مصدر ثقة يعتبر بنظرهم ممثل العقل الكلي ، اذن فبإمكاننا ان نسميهم « العقلين » او اهل العقل « Rationalistes » الذين لا يركزون عقائدهم الا على هذه القواعد مضافاً الى ذلك ان الحركة الاسماعيلية هي حركة عالمية او بلغة افصح هي « نظام فكري » كان الفرض منه قلب النظام السياسي السائد المسيطر على العالم الاسلامي وتحقيق هدف رئيسي انقلابي في الافكار والنظم والمعتقدات .

اجل ... كان هذا النظام الفكري يوجب على المستجيب ان يعترف بمبدأي الظاهر والباطن معاً ، لان المبدأين يشكلان روح الدين ومما متصلان ببعضهما البعض ، ومرتبطان تمام الارتباط ، وواجبان على كل مستجيب ومؤمن ، فالظاهر هو المفهوم العام للتوصيات المتعلقة بقواعد عالم الدين ، والباطن هو روح الدين المستور عن الانظار ، والمخصص للألباب ، ولهذا فقد كان الدعاة الاسماعيليون يبشرون بمبادئهم بطريقتين ويدعون لنظامهم الفكري بفكرتين .

الأولى - ما كان متعلقاً بالنبوات وضرورة الاخذ بما جاءت به من تعاليم ونصوص وشرائع بطريقة ظاهرة داعين الناس الى اتباعها بطريقة « الجبر والتقليد » .

والثانية - بالدعوة الى ما جاءت به الكتب السماوية عن طريق

التأويل الباطني (بالاختيار والوعد والوعيد) .

ومن هنا يمكن القول ان النظام الفكري الاسماعيلي كان يرتكز على تعاليم فلسفية اساسية سامية، تقضي باتساع فكرة الايمان المطلق المحض المتعطش للمعرفة ، ولم يعتمد في يوم من الايام على ما ينقل عن الآخرين من افكار كانت تردد دون فهم .

فالدين كان وما زال في حصن حصين لا يمكن اختراقه والوصول الى ما وراءه الا عن طريق معنى حقيقي روحي ثابت وجوهر قائم بذاته ، وليس على مظاهر خارجية براقعة وتعاليم سطحية تصبح بمرور الزمن من العادات ، فكل شيء لا يسجل بالعقل، او ضمن دائرته فيكون (معدوم) الأصل ولا يدوم طويلاً .

لقد نزلت آيات القرآن مكشوفة ظاهرة ولكنها لم تخل من معنى باطني ، وروح ، وجوهر ، ككل كائن في هذه الموجودات ، وما يجب ان يشار اليه ان نصوص القرآن او التفسير كثيراً ما يؤدي الى اختلاف في الرأي ، بينما التأويل او الكشف عن المعنى الباطني ، فهو نظام ثابت غير قابل للتغيير ويقود الى الواقع العقلي وتوافق المجتمع .

لقد قلنا ان التأويل وهو « المعرفة » كان مختصاً بها « الامام » وحواريوه ، ولهذا السبب نرى النبي « محمد » يحرص على توصية اصحابه بان يفتشوا عنها اينما وجدت .

والدليل على ذلك ان علم الظاهر من السهل جداً الوصول الى معرفته اما التأويل فلا يمكن الوصول اليه ، الا بعد جهاد وتعب واجتياز حلقات ، ومرور بتجارب ، ودخول الى صفوف نظام فكري لا يخرج

عن كونه كما سموه « العهد والميثاق والقسم » .

وفي الجملة لا بد من القول ان الله كشف للانسانية عن دينه واعطاها الجزء الاختياري باتباع اوضح الطرق ، واطهر عدله وترك الحرية امام الانسان للعمل على ضوء عقل خلقه كاملا وجعله افضل هبة للانسان .

كما ان الاسلام ما كان في الحقيقة الا تحريم فعل الشر، وتحليل عمل الخير، وباطنه هو الايمان المطلق ، والروح الداخلية التي تسري في دم كل انسان يروم التجرد ، والتفويض بظلال المثالية والفضيلة .

ومهما يكن من امر فنستطيع ان نقول ايضا زيادة على كل ما قلناه بأن التأويل نظرية فلسفية دينية تتلخص كما قلنا في :

ان الله سبحانه وتعالى جعل كل معاني الدين في المخلوقات التي تحيط بالانسان فيجب ان يستبدل بما في الطبيعة وبما على وجه الارض على فهم حقيقة الدين ، وقد جعلت المخلوقات على قسمين :

قسم ظاهر للعيان وقسم باطن خفي ، فالظاهر يدل على الباطن ، كجسم الانسان الذي هو ظاهر والنفس هي الباطن ، وان ما ظهر من امور الدين من العبادة العملية ، وما جاء في ظاهر آيات القرآن هي معانٍ يعرفها وينطق بها علماء اهل الظاهر والعامّة ايضا ، ولكن لكل فريضة من فرائض الدين تأويلا باطنيا ، لا يعلمه الا الائمة وكبار دعائه وخاصته .

ومهما يكن من امر فأمامنا القرآن الكريم ، فهو يوضح لنا بان العقيدة التي جاء بها الاسلام لا تتنافى مع العقل ، كما انه لا ينبغي لها ان تتنافى

معه ، اوان تكون غير تامة اذا لم تنسجم معه ، لا سيا والدين الاسلامي منذ نشأته دين عقلي قابل للتطور .

واذا تصفحنا آيات القرآن وحللنا ما جاء فيها على ضوء العقل ، والمنطق ، والواقع ، علمنا ان الانسان عليه ان يفكر ويتدبر وان ينظر ويتأمل وان يعتبر ويستنبط . فالاسلام نظام عالمي عام يوجه الانسان في الحياة ويساعده على ان يحصل لنفسه وللجماعة الانسانية على اسمى درجة من الكمال الانساني في الروح والخلق والمادة والجوهر .

كما ان المعرفة في الاسلام جعلت شرطاً للايمان ، فمن اعتقد من غير فهم ومعرفة لم يكن خيراً . والاعتقاد الصحيح الحق هو الذي ينشأ عن دليل وعن فهم واختيار ، كما اننا نستطيع ان نقول : ان الاسلام ثورة على الجلود العقلي وحرباً على الرجعية والتعصب والانكماش فهو قد اعطى الحرية للانطلاق وفك القيود والاغلال ، كما انه اطلق حرية الرأي والفكر ، واحلها المنزلة الرفيعة ، والمكانة العالية ، واحاطها بسياس من العناية والرعاية ، وبنى العقيدة الاسلامية على الحجة والدليل ، لا على الاكراه والتقليد ، ونوّه بالعقل وأراده على اليقظة ، وطالبه بالتنبه .

ولم يسهل للشخص ليكون آلة صماء يقبل كل ما يقال له دون ان يحكم عقله .

والاسلام ايضاً جاء محرراً للعقول البشرية من قيود التقليد مفسحاً المجال امامها للسير في سبيل هدايتها في جو واسع من الحرية ، مقيماً العقل السليم حكماً فاصلاً بينه وبين مخالفه ، وخاصة عند البحث والدرس والمناقشة .

ولقد اراد بذلك ايقاظ العقل وتنبيهه الى اداء مهمته وتنمية القوى العقلية والفكرية للسير في مجال الاعتداد في النفس ، والاستقلال بالرأي ، والانطلاق نحو حرية التفكير .

هذا عرض موجز لموضوع « التأويل » كما جاء في كتاب « اساس التأويل » للنعمان بن حيون التميمي ، تناولناه من جميع نواحيه ، آخذين من معلوماتنا الاسماعيلية القدر الكافي ، واضعين نصب اعيننا قانون الدعوة الاسماعيلية وحدها الذي نعتبره المصدر الوحيد الذي يرشد الباحثين الى معرفة الدخائل والمغمضات ، وقبل ان اصل الى نهاية المطاف لا بد لي من توجيه كلمة لهؤلاء الذين يسمون انفسهم متخصصين بدراسة الأدب والتاريخ والفلسفة الاسماعيلية ، هؤلاء الذين لم يصلوا للان الى حد التفريق بين لفظي « اسماعيلية » او « فاطمية » ... فكلمتنا الى هؤلاء هي : اننا لم نقنع لاننا لم نجد بدراساتنا اي ذكر لتسمية (فاطمية) وبقيننا ان التسمية يجب ان تنحصر بالاسرة التي حكمت الاسماعيلية وهم « الاثمة » وليس في كل ما يمت الى هذه الفلسفة بصلة ، ومن هنا يمكننا ان نقول ان اطلاق لفظة « فاطمية » يجب ان لا تتجاوز الاسرة الفاطمية في عهدها في المغرب وفي مصر ، وسبب ذلك كما هو معروف رغبته بالتقرب من العالم الاسلامي الذي يقدر اسم فاطمة الزهراء ابنة محمد ، ومن جهة اخرى تمييزاً لهم عن اولاد علي الآخرين من غير فاطمة . اذن فكل تسمية لادب او لفلسفة او لعقيدة او لغيرها مما يخص هذه الدعوة فيجب ان لا يخرج عن نطاق كلمة « الاسماعيلية » .

محتويات الكتاب :

قسم النعمان كتابه « اساس التأويل » الى ستة فصول ، فجعل لكل ناطق وائمة دوره ودعائه ولواحقه فصلاً جاء زائراً بالآيات القرآنية الخاصة ، وقصصهم ، وزمانهم ، وحوادثهم ، وقد بدأ بعهد آدم وانتهى بعهد محمد .

ولم يكتب الفصل المتعلق بالقائم المنتظر وهو السابع لانه لم يأت بعد واني أرى انه من الصعوبة بمكان شرح فصول الكتاب فصلاً فصلاً وباباً باباً ولكن فصلاً واحداً لا بد من الفات النظر اليه وهو الفصل المتعلق (بعيسى بن مريم) وقصة الولادة بدون أب ، ثم قصة آدم ومعنى الولادة من طين وكل هذا جدير بالاطلاع والاهتمام . لانه جديد في فلسفة العقائد وغني بالافكار والنضوج العقلي السليم .

نسخ الكتاب :

حصلت على نسختين خطيتين من « اساس التأويل » الأولى من بلدة (مصياف - سوريا) وهي التي اعتمدتها اصلاً في التحقيق ، ورمزت اليها بحرف (س) وتاريخ نسخها سنة ١١٨٣ هـ ، والثانية من مخطوطات (اليمن) اهداها اليّ الأخ الكريم « الحكيم لقمان » من بلدة [« كنبالا اوغندا »] في افريقيا الشرقية اثناء زيارتي لتلك البلاد سنة ١٩٥٦ وهي مكتوبة بخط امين بن علي [الكامنهاب داري وطناً - الشكادهكر مسكناً] وتاريخ النسخ في سنة ١٠٣٣ هـ وقد رمزت اليها بحرف (هـ) .

ومما تجدر الإشارة إليه أننا أجرينا تصليحات نحوية واملائية -
وتصويبات لبعض جمل ناقصة ومراجعات للآيات القرآنية وكان بعضها
مشوهاً وكل هذا لم نذكرها على الهامش وهي في حد ذاتها لم تخرج
عن حقيقة الاصل وكل ذلك في سبيل اخراج نص صحيح لا غبار
عليه .

فمسي ان نكون في عملنا هذا قد ادينا خدمة للعلم وقمنا بما يوجبه
علينا واجبنا نحو تاريخنا وادبنا وفلسفتنا العربية .

عارف تامر

بيروت - لبنان

١٩٦٠

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مفيد ^(١) النعمة ، وصلى الله على محمد نبي الرحمة ، وعلى وصيه علي ولي الامة ، وعلى الائمة الطاهرين من ابنائه الطيبين .

اما بعد ... فانا بتأييد الله وامتنانه وعونه وفضله واحسانه ، كنا قد بسطنا كتاباً للمستجيبين الى دعوة الحق ، المعتصمين بمجل خالق الخلق ، المتمسكين بالعروة الوثقى ، الملازمين للطريقة المثلى ، في ظاهر علم الشريعة سميناه كتاب « دعائم الاسلام » ^(٢) ، ذكرنا فيه حدود الايمان ، والفرق بينه وبين الاسلام ، وواجب الولاية ، والدلالة على ولاية الامر ، ولوازم الفرض ، وأبواب الحلال والحرام ، والقضايا والأحكام ، ليعلم المستجيبون ذلك من أمر ظاهر دينهم ، ويعتقدونه ويعملون به ، وان لا يخالفوه ولا يتركوه ، اذ هو أول حدود التعليم ، وادني درجات العلم والتفهم ، والذي ينبغي ان يبدأ فيه من جرت فيه روح الايمان والحكمة ، وخرج من حد الظلمة الى حد النور ، كما يكون ذلك اول حدود المولود في

(١) في نسخة (هـ) جاءت « معطي » وفي نسخة (س) جاءت (مفيد) وهي الاصبوب .
(٢) كتاب (دعائم الاسلام) من كتب النعمان وقد جاء بجزئين حققه الاستاذ آصف فيضي من منشورات دار المعارف بالقاهرة وهو يمثل الفقه الاسماعيلي بتفصيلاته :

التربية حين الولادة ، وتنسم روح الحياة ، اذ انه خرج من مشيمة البطن الى ضوء الدنيا ، فيبتديء^(١) في اصلاح ظاهره من قطع سرتة^(٢) التي كانت صلة ما بينه ، وبين ما ليس منه ، وتعديل اعضاءه ، وتدهين جلده ، وتضميده بما يقويه ويشده ، وتعصيب بدنه وشده لئلا يضطرب فتنفس اعضاءه ، وتوهن مفاصله فتشوه خلقته ، او يحدث في نفسه ما يكون فيه هلاكه وتلفه من اجله .

وكذلك يكون حال من لم يصلح ظاهر دينه ويقومه ، يوشك ان ينقض دينه ويهدمه ، فقد قدمنا للمستجيبين ما يلزمهم من ذلك رجاء اصلاحهم وتقويمهم ، فقرأنا ذلك عليهم ، وأبجنا استنساخه لمن رغب فيه منهم ، ووضعناه بين ايديهم ، وأبجنا قراءته لمن أحب ذلك من جميعهم ، فأخذ منه وانتفع به بعضهم ، وهم قليلون بحسب ما قال عز وجل في امثالهم :

«الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ» وقال :
« فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ .
وكما قال جل من قائل :
« وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »

وقال تعالى :

« وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ »

وقال تعالى :

« مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ »

(١) في نسخة (س) جاءت فيبتدأ . (٢) في نسخة (س) جاءت سرتة .

وقال عز وجل :

« مِنْهُمْ الصَّادُونَ الْجَاهِلُونَ الصَّالُونَ »

فقالوا :

هذا هو الظاهر الذي نعرفه ، وما نرى فيه من شيء يفيده ، فضاهوا بقولهم هذا قول الذين حكى الله عز وجل عنهم ، المكذبين لأوليائه المرسلين بقوله سبحانه .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ، وَقَالُوا أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ أُكْتَبَهَا فِيهَا تَمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةٌ وَأَصِيلًا

وهذا سبيل من جحد حدود الدين ، وما جرت فيه حكمة الله الأولين والآخرين ، وما أفسده دعاة السوء الذين ظن بهم الخير من استرعاهم من اولياء الله ، وكانوا بخلاف ما ظنوه بهم ، وخالفوا امرهم ، وبدلوا ما رتبوه لهم ، فتمعدوا حدودهم ، وقعدوا بآخرين عن الواجب .

« قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ »

ولو امتثلوا أمر اوليائهم وسلكوا بالامة سبيل ما حددوه لهم ، لاستقامت الاحوال ، ولم يكن هؤلاء ولا لغيرهم مقال ، والله يصلح بوليهِ البازل نفسه في صلاح ما غيره من امر دين الله ، وما افسده من خالفه ، بحول الله وقوته وجوده ورحمته ، ومن وفق لحفظ ما بسطناه له من حد الظاهر وبلغ حظه منه ، وان كانوا قليلا من كثير ، لم ينبغ لنا ان نقعد بهم عن الواجب ، فرأينا ان نرفعهم الى الحد الذي يليه من حدود الباطن ، وهو حد الرمز والاشارة وهو الطف حدوده وأقربها ،

ومثله في تربية الأولاد وتغذية ابدانهم مثل اللبن الذي يُبتدأ فيه بالاطفال بعد اصلاح ظاهريهم ، لضعف طباعهم عن احتمال غليظ الاغذية ، وعدم اقتدارهم على هضمها الى ان تقوى عليها اجسادهم ، وتتهيأ لها ، وتأخذها على التدريج ، وكذلك الرموز والاشارات تلحق او هام الساجين ^(١) ، وتشير حواسهم الى ما يرمز لهم به ، ويشار اليه من الحكمة ، فيتشوقون الى سماعها ، ويتأهبون لقبولها ، ولو اتتهم دفعة واحدة بلا مقدمات ، وجاءتهم فجأة لما ^(٢) ضرهم ورودها عليهم ، وهم على هذه الحالة ، كما يضر الاطفال الهجوم عليهم بالطعام قبل اوان وقته ، وذلك ما حدده الله عز وجل في ذلك .

فقال :

«وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ»

لذلك بسطنا لمن ذكرناهم بعد كتاب « دعائم الاسلام » كتاباً سميناه « حدود المعرفة » ^(٣) وثبتناه على حدود بيان حجة التأويل على من انكره ، والباطن على من دفعه ، وكيفية ترقى درجاته ، وبسطنا فيه من الرموز والاشارات بالباطن والتأويل ما ينتفع به ذووا العقول ، وكان سبيل القوم فيه سبيلهم فيما قبله من القبول والرغبة والاعراض والزهادة .

ولما بلغنا من ذلك مبلغاً ، وجب علينا من قبل الراغبين

(١) في نسخة (هـ) جاءت (السامعين) .

(٢) في نسخة (هـ) جاءت (لم) .

(٣) عثرنا على نسخ عديدة من هذا الكتاب في بلدة مصياف — سوريا .

ما يستحقونه ، رأينا بسط كتاب لهم مجد من حدود التأويل والباطن يلي حد الرمز ، فمن سمع شيئاً من ذلك على خلاف حدوده مما ذكرناه انه غير ذلك ، واحاله عن طريقه على غير ما كان سمعه ، او بدون البيان الذي القى اليه قبله ، ان يكون سبيله سبيل من ذكرنا من المعرضين عن الذين قبله ، فيسلك مسلكهم ويقفوا اثرهم ، وينسلخ من لباس دينه مع جملتهم .

« وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ » .

كما قال الله عز وجل وهو اصدق القائلين . ولو عقلوا قول الصادق (١) الامين ، ووصل اليهم عندما شرحه من الباطن لبعض المتصلين به ، وهو انه قيل له يا ابن رسول الله سمعنا منك قبل هذا الوقت على خلاف هذا الوجه ؟ فقال عليه السلام :

« اي جعفر الصادق » : « انا نتكلم في الكلمة الواحدة سبعة اوجه » . فقال الرجل متفكراً : سبعة يا ابن رسول الله ؟ فقال : نعم .. وسبعين ، ولو استزادنا لزدناه ، فوجوه هذا العلم بمقدار حدوده ، فيعلم ذلك من سمعه وانتفع به ورقاً (٢) في درجاته . وهذا كتاب قد بسطناه في اصوله وهو اول حد من حدوده سميناه كتاب « اساس التأويل » وقصدنا به شرح ما اثبتناه في كتاب « دعائم الاسلام » ليكون هذا اصلاً للباطن ، كما كان ذلك اصلاً للظاهر ، وبالله نستعين ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم .

(١) (الصادق) هو الامام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب .

(٢) في نسخة (س) جاءت وترقى .

مراجع من القول في تثبيت التأويل وباطن ما جاء في الحديث والتنزيل

كنا بسطنا في كتاب «حدود المعرفة» الذي قدمنا ذكره كلاماً طويلاً في اثبات علم التأويل والباطن ، والرد على من انكره من الكتاب والسنة واقوال الائمة والامة واشبعنا القول في ذلك ، وان كنا قد اختصرناه ، ولا ^(١) ينبغي لنا ان نخلي صدر هذا الكتاب من طرف منه ليكون حجة لنا بين ايدي من يتلوه فنقول وبالله التوفيق :

انه لا بد لكل محسوس من ظاهر وباطن ، فظاهره ما تقع الحواس عليه ، وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به بانه فيه ، وظاهره مشتمل عليه وهو زوجه وقرينه ^(٢) . قال الله عز وجل من قائل :

«وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»

وان كلما جاء في الحديث والتنزيل شيء ، وكل شيء وان كان واحداً فلا بد له من زوج ابانة لوحدة الباري البائن عن خلقه ، ولا يقوم شيء من دونه الا بمزاوجة ، كالانسان وهو شخص واحد ، الا انه جسد وروح ، فالجسد هو الظاهر والروح هي الباطن ، وكل واحد من الاثنين مركب من شيئين ، فالجسد مركب من البرودة واليبوسة ، والروح مركبة من الحرارة والرطوبة ، فاذا فارقت الروح الجسد بقي

(١) في نسخة (س) جاءت (ولم) .

(٢) في نسخة (س) جاءت وقرينته .

الجسد بارداً يابساً ، ولذلك كلما في العالم اذا اعتبر لا بد له من الازدواج ،
وقد ذكر الله سبحانه الباطن في مواضع كثيرة من كتابه فقال
جل ثناؤه :

« وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً »

واخبر انه يسأل عباده عن نعمه عليهم فقال عز وجل :

« ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ »

فمن لم يعرف باطن النعيم ما هو ؟ وقد علم انه مسؤول عنه وكيف
يكون جوابه اذا سئل عنه ، ثم قال سبحانه لا شريك له :

« وَذَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ »

فمن لم يعرف باطن الاثم فيذره ، اليس يخشى عليه من ان يقع فيه
اذا جهله ؟ ثم ذكر عز وجل في كتابه فقال :

« هُوَ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ
الْكِتَابِ وَأَخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ » .

الى قوله :

« وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ »

وقد ذكرنا في « حدود المعرفة » قول من اقر بالتأويل وجهل
وجهه ، وقول من دفعه وأنكره ، والحجة على جميعهم ، وقال سبحانه
وتعال في التأويل :

« هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَى تَأْوِيلِهِ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ
مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ »

وقال رسول الله (صلعم) :

« ما نزلت عليّ من القرآن آية الا ولها ظهر ^(١) وبطن ^(٢) »
وقد ذكرنا في كتاب « حدود المعرفة » اجماع الأمة على صحة هذا
الخبر ، وفساد تأويل من تأوله على غير الصواب فيه . وذكرنا ما
اقروا به من الباطن لما لم يجدوا محيصاً دون الاقرار به ، ولزمهم ذلك
لضرورة فيه ، اذ لم يجدوا مخرجاً منه نظير الماء .

وقولهم ان الله سبحانه اراد به العلم في موضع ، والموت والكفر
في موضع آخر ، وبالحياة الايمان ، وبالنور الهدى ، وبالظلام الضلالة ،
وبالعمى والصم والبكم غير ما هو في الظاهر ، وبالنعاج النساء ، وكثير
من مثل ذلك ^(٣) مما يطول شرحه ، فإذا سمعوا من مثل ذلك ما
يوجب توحيد الله تعالى وتنزيهه عن صفة خلقه انكروه ، وشبهوا
معبودهم ، ووصفوه ونسبوه الى ما يتعالى الله جل ثناؤه ، ويتقدس
ويتبارك اسمه عنه ، وقد سمعوا ما ذكر عز وجل في كتابه من ضرب
الامثال لعباده كقوله تعالى :

« وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ »

وقوله :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا
الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ

(١) في نسخة (هـ) جاءت (ظاهر) .

(٢) في نسخة (هـ) جاءت (باطن)

(٣) لم ترد (مما) في نسخة (هـ)

مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ .

وقوله :

« وَكَأَلَّا ضَرْبَنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكَأَلَّا بَعَثْنَا تَبِيعًا »

وقوله :

« وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ »

واخبر سبحانه ان للأحاديث ايضاً تأويلاً فقال في قصة يوسف عليه السلام :

« وَكَذَلِكَ يَخْتَبِكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ »

وقال :

« وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ

الْأَحَادِيثِ » .

وفي آيات كثيرة من كتابه سبحانه وتعالى ذكر للأمثال والباطن والتأويل ، وذلك معروف في لسان العرب الذي نزل القرآن به ، وخاطبهم بلسانهم فيه ، وذلك من معجزات وغرائب تأليفه ، انه يأتي بالشيء الواحد وله معنى في ظاهره ومعنى في باطنه ^(١) ، فجعل عز وجل ظاهره معجزة رسوله ، وباطنه معجزة الائمة من أهل بيته ، لا يوجد الا عندهم ، ولا يستطيع احد ان يأتي بظاهر الكتاب غير محمد رسول الله (ﷺ) جدهم ، ولا ان يأتي بباطنه غير الائمة من ذريته ،

(١) في نسخة (هـ) وردت كلمة (غيره) وهي اضافة .

وهو علم متوافر بينهم مستودع فيهم ، يخاطبون كل قوم منه بمقدار ما يفهمون ، ويعطون كل اهل حد منه ما يستحقون ، ويمنعون منه من يجب منعه ، ويدفعون عنه من استحق دفعه ، لقول العزيز الوهاب :

« هَذَا عَطَاؤُنَا قَامِنِينَ أَوْ أَمْسِكَ بِغَيْرِ حِسَابٍ »

ونحن الان بعون الله وتأييده نبتديء بذكر ما شرطنا ذكره من تأويل ما بسطناه في كتاب « دعائم الاسلام » ، ونذكر باطنه على ما يوجب هذا الحد الذي ابتدأنا به ، بلسان من تسمعه اياه ، ومقدار فهمه وقد قال الله سبحانه :

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » .

لان العامة اذا خوطبوا بلسان الخاصة ، لما فهموا اكثر الخطاب ، وقصدنا بالمخاطبة ما يقرب من افهام السامعين ، ولم نخرجها على غارج الفاظ المنطقيين والفلسفيين ، كما فعل ذلك بعض المتكلمين ، وتوكلنا على الله ربنا وهو حسب المتوكلين .

الايمان

ذكرنا في كتاب « دعائم الاسلام » باب الايمان ، ثم اتبعناه بباب الفرق ما بين الايمان والاسلام ، فجمعنا تأويلهما في هذا الباب ، اذ ان اصلها واحد ، وهذا ما ابتدأنا به .

وذلك ان لكل واحد من اولي العزم ^(١) من الرسل صلوات الله عليهم اعلان لشريعته ، اصل في الظاهر واصل في الباطن يجمع حدودهما (اي حدود الشريعة) .

فأصل نوح عليه السلام السفينة ، ودعى من آمن به لركوبها ، فمن لم يركبها معه غرق وهلك ، وأصل ابراهيم عليه السلام الكعبة ، وأذن في الناس بالحج اليها ، ودعاهم إلى الطواف بها وسن معاملها ، واصل موسى عليه السلام العصا ، فألقاها لمن كذب به فتلقفت من ناصبه ، وأصل عيسى عليه السلام الصليب ، فقال لمن آمن به وصدق « من اراد ان يتبعني فليأخذ معه صليباً »

وأصل محمد عليه السلام ، شهادة ان لا اله الا الله ، ودعى الناس اليها والى التصديق بها ، فقال : « امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا معي لا اله الا الله ، فاذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها ، وحسابهم على الله » وقال (ﷺ) : « من قال

(١) اولوا العزم في الاعتقادات الاسماعيلية هم : نوح، و ابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ولا يدخل في عددهم آدم لنزول الآية القرآنية الكريمة بحقه التي تقول : « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنبى ولم نجد له عزماً » .

لا اله الا الله مخلصاً دخل الجنة ، فظاهر هذه الأصول مختلفة ، اذ كان كل اصل منها شيئاً غير الاصل الاخر ، وباطنها واحد اذ ان كل اصل منها قد اشتمل على جميع حدود شريعة صاحبه ، وما تعبد الله عز وجل به امته التي بعثه اليها ، ولولا ذلك لم يدع من ارسله الى ذلك الاصل ، وهو غير جامع لجميع ما يتعبد به .

وقد زعمت عامة هذه الامة ان رسول الله (ﷺ) دعي في اول الامر الى شهادة ان لا اله الا الله وذلك في بدء الاسلام ، لان ذلك اسهل على القوم ، فلما اجابوه اليها الزمهم بعد ذلك الفرائض الاسهل ، فالاسهل ، حتى كان الجهاد الذي فيه تلف الانفس والاموال ، وفي ظاهر بعض القول ان آخر ذلك كانت الولاية .

هذا قول يتنافى الحكيم عن فعله ^(١) ، لانه ضرب من الخديعة والاستدراج ، فلا ينبغي ان يدعو الى بيعته ، ويعطي حقيقته على شيء الا وفيه جميع ما يريده ، ويبايع عليه الا اذا ^(٢) كان مجملاً فانه يوضحه بعد ذلك ، ويبينه ويشرح معانيه ، وذلك بمنزلة من دعى الى دين الاسلام وبويع عليه ، فالدين قول مجمل والفرائض مثبتة فيه تبين بعد ذلك لمن اجاب عليه وتشرح له ، وقد سئل رسول الله (ﷺ) لما دعى الى قول لا اله الا الله مخلصاً ، وأوجب الجنة لمن أشهرها باخلاص ، وسئل عن الاخلاص في ذلك وما هو ؟ قال (ﷺ) : اعتقادها ومعرفة حدودها ، فبين (ﷺ) ان

(١) جاءت الحملة في النسختين هكذا (هذا قول يتنافى عن الحكيم فعله) والصواب هو : (هذا قول يتنافى الحكيم عن فعله) .

(٢) في نسخة (هـ) جاءت (ان) .

(٣) الصادق هو الامام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وقد مر ذكره .

لها شروطاً وقال : « لا يزال قول لا اله الا الله يدفع غضب الرب عن هذه الامة لا يبلو ما انتقص من دينهم ، فاذا كان ذلك منهم ردت عليهم ، وقيل لهم كذبت لستم بها صادقين ، وهذا يدخل في جملة ما قاله الصادق عليه السلام ، مما حكينا عنه في كتاب « دعائم الاسلام » : « ان الايمان قول باللسان ، وتصديق بالجنان ، وعمل بالاركان . » وقوله : « الايمان عمل كله والقول بعض ذلك العمل » وما وصفه في قسمة الايمان على جوارح الانسان ، وان كل جارحة منه قد وكلت من العمل الذي هو الايمان بغير ما وكلت به الاخرى ، وذكر ذلك شيئاً شيناً ، في كلام طويل ثبت في كتاب « دعائم الاسلام » ، فاقضى من ذلك كله ان الشهادة جامعة لجميع لوازم الشريعة ، والثابت عن رسول الله (صلعم) ^(١) انه كان اذا وقف على المشركين ، دعاهم اليها فاذا اجابوه وشهدوا بها ، ادخلهم في حكم الاسلام ، وكف عن قتالهم وأمنهم على اموالهم ، الا ما وجب فيها بحكم الاسلام ، وان ابوا دعاهم الى ان يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، واذا امتنعوا قاتلهم فكان القول بظاهر الشريعة ، موجباً لحكم الاسلام ، محصناً للمهج والاموال ، الا بحققها ، وعاصماً عن دفع الجزية ، وهو قول شهادة (ان لا اله الا الله) ، والاقرار بالرسول ، وكذلك لا بد من اقرار المؤمن في العهد اذا اخذ عليه ، وذلك ما قاله الله سبحانه في قصة ابراهيم عليه السلام يقول : اذ قال ربه اسلم (يعني الذي رباه بالحكمة)

« قَالَ اسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ، وَيَعْقُوبُ ، يَا بُنَيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ . »

(١) سقطت في نسخة (ه) .

والاسلام هو الشهادة لله بالوحدانية ، وللرسول بالرسالة ، فالواجب على من شهدها ، ان يشهد بها بحقيقة واخلاص ، فان لم يفعل ذلك كان حسابه على الله ، كما قال رسول الله (ﷺ) : « لم تغن عنه شهادته عند الله شيئاً ان لم يخلصها ، وكانت مردودة عليه » ، كما انه يجب في الحكم ان من شهد بشهادة لم يجيدها ، ولم يقف على حقائقها ، ولم يعرف من شهد له ، او عليه بها ، انها غير مقبولة منه ، وترد في حينها ، فكيف بها ان تقبل في اعظم الأشياء كلها واجلها ، فوجب على من شهد بهذه الشهادة العظيم قدرها ، الجليل خطرها ، ان يعرف حقيقتها وحدودها ، ومن شهد له بها بظاهرها وباطنها ويعتقدها ويقوم بفرائضها وشروطها ، والواجب عليه لمن شهد له بها ، لتكون مقبولة منه جائزة له غير مردودة عليه ، ومتى جهل شيئاً منها ، او انكره لم تتم شهادته ، ولم تقبل منه .

والذي في مكنون سر الحكمة التي اودعها الله عز وجل اوليائه ، جعلها معجزة لهم لان شهادة ان لا اله الا الله قد اشتملت على توحيد الله ذكره ، والاقرار برسوله وائمة دينه وحدوده ، وأوجب طاعتهم ، وولايتهم وقبول امرهم ، واحتوت على جميع ما يتعبد الله عز وجل به ، فلذلك كانت اصل الشريعة ، ودعى اليها الرسول وأوجب الجنة لمن شهد بها مخلصاً ، وقد بين (ﷺ) ان اخلاصها اعتقادها ، ومعرفة حدودها ، وإداء حقوقها ، وان حروف الشهادة هي المعبرة عنها ، والدالة على ما فيها ، كما انها معبرة عن لفظها ، ولذلك قال الصادق عليه السلام :

« اول ما خلق الله الحروف ، وبالحروف علمت الاسماء ،

وبالاسماء عرفت الاشخاص « ففرغوا قلوبكم معشر الاولياء لسماع الحكمة ، واقبلوا عليها وتدبروها حق تدبرها ، تضيء لكم انوارها ، وتكشف لكم حقائقها واسرارها ، فهذه شهادة ان لا إله إلا الله التي توجب في ظاهرها ، ان الله تعالى هو الاله الواحد الاحد لا شريك له ، قد تفرد بالآلهية ، وبان بالوحدانية دون جميع خلقه .

وقد يقع اسم الواحد على المخلوق ، ويقوم ذلك في العيان الظاهر ، فإذا رجع منه الى الباطن ، كان مزدوجاً محتاجاً الى ما زاوجه وقارنه ، كالانسان وغيره من الحيوان ، وهو شخص واحد في العدد ، وقائم كذلك للعيان ^(١) ، فإذا اعتبر كان جسماً وروحاً ، فالجسم هو الظاهر ، والروح هي الباطن ، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم .

وكذلك كل شيء في العالم فلا يخلو من ان يكون فيه جوهرات مركبان ، اما حار ورطب ، واما حار ويابس ، او بارد ورطب ، او بارد ويابس ، لا يقوم الا بذلك ولا يخلو من حالتين ، اما ان يكون شاهداً او غائباً ، ولا من صورتين اما ان يكون قليلاً او كثيراً ، ولا من نوعين اما ان يكون حيواناً او انساناً ، اولطيفاً او كثيفاً ، او ثقيلاً او خفيفاً ، وان التضاد والتغاير كثير يطول ذكره ، فالباري جل ذكره بائن عن ذلك كله من احوال خلقه ، غير موصوف بشيء منها ، لا موجود غير عدم ، ولا عدم غير موجود ، بل هو موجود ، ثبت بآياته ودلائل ما خلق ، على انه بائن ^(٢) عن جميعها ليس يشبهه شيء منها ، وليس كمثله شيء .

(١) وردت في نسخة (هـ) (للاعيان) .

(٢) وردت في نسخة (س) (بائن) .

قال الله تعالى : « كمثل له تأويل سيأتي في موضعه » واكثر ما قالت العامة فيه انه مجاز خاطب الله عز وجل العرب فيه بلسانها ، لأن القائل منهم يقول ليس مثلي يفعل هذا ، وليس مثل فلان يفعل كذا ، يريدون المسمى ليس غيره ، وهذا تشبيه محض ، والناس لهم امثال وأشباه ، والله سبحانه وتعالى يقول : « يا ابن آدم اطعني اجعلك مثلي حياً لا تموت وعزيراً لا تزال ، وغنياً لا تفقر » وهذا كله له شرح يأتي ذكره ان شاء الله تعالى في حده ، وقد يطول لو ذكرناه ، ويقطع من شرح الشهادة .

شرح الشهادة تأويل :

وجدت الشهادة على فصلين :

احدهما نفى ، والثاني اثبات ، فقوله : (لا اله) نفى و (الا الله) اثبات ، وكل فصل منهما كلمتان ، الأولى منها متصلة بالثانية ، ودونها ، والثانية اعلى منها ، وكذلك الفصل الذي هو اثبات اعلى من الفصل الذي قبله ، والذي هو النفي ، فمثل الحد الاخير الذي هو الاثبات في الباطن ، مثل على الحد العلوي ومثل الحد الذي هو النفي في الباطن مثل على الحد السفلي ، ومثل الكلمة الاخيرة من الفصل الاخير (اي الاثبات) مثل على الحدود العلوية ، ومثل التي قبلها مثل الحد الذي يليه ، ومثل الكلمة الثانية من الفصل الاول في الباطن مثل على الحدود السفلية ، ومثل التي قبلها مثل على الحد المتصل به دونه .

فالكلمتان المتصلتان في حد الاثبات وحد النفي لكلمتين مستعملتين . وهما لا وإلا والكلمتان المتصلتان بهما من الحدين اعلى واجل ، وهما إله

والله ، فقد دلّ ذلك على اشرف الحدود العلوية والسفلية ، وان كانت كل واحد من الآخرين متصل به ودونه وأقل حروف منه ، وان الكلمة الاخيرة حملت ثلاثة احرف جمعت فيها كافة حروف الشهادة وهي : الالف واللام والهاء ، وهذه الجملة من القول في حدود الشهادة نوضحها للسامعين بفضل الله علينا وعليهم فنقول :

ان ما رواه الخاص والعام عن رسول الله (ﷺ) انه قال : « اول ما خلق الله عز وجل من خلقه القلم ، ثم أجرى نهراً احلى من العسل ، واشد بياضاً من اللبن ، وألين من الزبد ، ثم خلق اللوح المحفوظ الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز : فحملت العامة هذا الخبر على ما تعرفه ، من ان القلم من قصب ، وان اللوح من خشب على ما نشاهده ، ولم تدرك ان هذه هي اسماء والقاب وامثال تحتاج الى ايضاح ، وكشف وبيان وتأويل ، وذلك من تأويل الأحاديث التي ذكرها الله عز وجل .

فالقلم هو أعلى حدٍ من الحدود التي حدها الله بعباده ، ونهى عن تعدّيها بقوله سبحانه وتعالى : « ومن يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه » وارتفع عز وجل عن الحدود ونصبها لخلق من دونه ، ليتوصلوا منها الى معرفته ويؤدوا بواسطتها الى الخلق امره ونهيه . فالقلم هو الحامل للعلم الذي استمدّه من الله سبحانه ، وثبته في اللوح ، واللوح حد من حدود الله ودونه (اي دون القلم) اخذ العلم عن القلم ، وصار اليه منه ، وهما الحدان العلويان اللذان قدمنا ذكرهما ، والنهر الذي اجراه الله سبحانه وتعالى هو القلم . قال سبحانه وتعالى :

« وَلَوْ اِسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا »

فالطريقة هي النبي الناطق في زمانه ، والامام في اوانه من بعده ،

والماء الغدق هو العلم الغزير ، وقال سبحانه وهو اصدق القائلين :
 « وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ »
 وسنذكر هذا بتمامه في موضعه .

هذا ما اقرت به العامة من تأويل الباطن اذ انها لم تجد منه محيصاً ،
 اعني انها اولت الماء بالعلم لان الماء الظاهر سقاه الله عز وجل الى البر
 والفاجر ، فأخبر سبحانه ان الخلق لو استقاموا لولي امرهم لأوسعهم علماً ،
 وقوله سبحانه : « لَنَفْسِهِمْ فِيهِ » اي نمتحنهم ونخبر قولهم وعلمهم به ،
 ثم قال سبحانه :

« وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَدًا »

فذكر سبحانه هنا ولي امرهم من اعرض عنه صار الى عذاب الله
 وسماه ذكراً اي اقامه لذكره فسمي باسمه ، وهذا معلوم بلسان العرب
 انهم يسمون الشيء بما لائه وصاحبه كما سموا (المزادة) ^(١) راوية وانما
 الراوية في لغتهم الجمل الذي يحمل عليه الماء فسموا (المزادة) باسمه لما
 كانت تصحبه ومثل هذا كثير في لغتهم ، قال تبارك وتعالى : « أَنْزَلَ
 اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا » فسمى الرسول ذكراً لانه حامل الذكر .

ثم أقام الله عز وجل بإزاء هذين الحدين العلويين الروحانيين ، حدين
 اخرين سفليين جسمانيين ، وهما الناطق ^(٢) والصامت ^(٣) ، فالناطق

(١) وردت في نسخة (س) « المزودة » ولم نثر على تفسير لهذه الكلمة ولعلها (مغربية) .
 (٢) الناطق اصطلاح اسماعيلي اطلقوه على كل رسول جاء برسالة ونطق بشرية ، ومجموعه
 (نطقاء) وان عدد النطقاء عندهم سبعة هم : آدم ، نوح ، ابراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد ، والقائم
 المنتظر .

(٣) اما الصامت فهو تعبير او اصطلاح اسماعيلي اطلق على اساس الناطق الذي هو خليفته من
 بعده والذي تتسلسل منه الائمة وهو المولج بشؤون الدعوة الباطنية في حياته والامس عددهم لدى
 الاسماعيليين سبعة ايضاً وهم : شيث ، سام ، اسحق ، هرون ، شمعون ، علي ، مهدي .

هو صاحب الشريعة والصامت هو اساس الشريعة في عهد الناطق وصاحب تأويلها ، فالرسول ينطق بالظاهر ، والاساس صامت عنه اي عن الظاهر مؤدي للباطن الذي اثبتته الرسول فيه كاثبات القلم العلم في اللوح ، فالناطق بإزاء القلم ، والصامت بإزاء اللوح ، ولما كانت الدار التي نصب الله سبحانه فيها هذين الحدين السفليين دار نقلة ، وكانت الاجسام فانية ولا يجب في الحكمة الإلهية ان تخلو الدار من حجة ، اقام الله عز وجل الاساس بعد الناطق ليقوم مقامه في الامر الظاهر ، وغيره مما كان يقوم به الناطق ، وأمره بتعيين حجة له ، وتأدية علم التأويل اليه واقامته معه ، كما كان هو مع الناطق ، ثم اقام الحجة بعده اماماً ، وأمره باتخاذ حجة لنفسه على سبيل ما جرت به سنة الله عز وجل كما قال في كتابه تعالى : « وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا » فلا يزال الامر على ذلك الحال حتى يدور دور ذلك الناطق على سبعة ائمة .

وكذلك النطقاء سبعة وهم : آدم ، ونوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، وقائم الزمان صلوات الله عليهم منهم ستة اولو عزم كما قال في كتابه العزيز :

« وَأَقَدَّ عَهْدَنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فُلَيْسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا »

وقد دلّ ذلك على ان آدم عليه السلام لا عزم له ، ولكل ناطق من رسول او امام في عصره اثني عشر لاحقاً ، وسنذكر الاثني عشر والسبعة بعد هذا ان شاء الله .

فالكلمات الاربع من الشهادة مثل هذه الحدود الاربعة فمن اقامهم وعرفهم وقبل عنهم وشهد لهم كان مكلاً لحدودهم من الشهادة ، وقد جمعتهم الشهادة وجمعوا حدودها . فاما الذين اثبتوا الباري عز وجل

بزعمهم من المتفلسفين والمنطقيين وغيرهم ، وانكروا الرسل فقد اثبتوا
الحدين العلويين وسموها بغير هذين الاسمين اي القلم واللوح وقالوا هما
العقل والنفس ، ولم يعرفوا الحدين السفليين فلم تثبت لهم الشهادة لانهم
اقرؤا ببعضها وانكروا البعض الآخر ، واما الحشوية من العوا . الذين
اعتصموا بالشهادة وظاهر الاسلام ، وأقرؤا باللوح والقلم والناطق من
الانبياء بلا معرفة صحيحة ، ودفعوا ما سوى ذلك فلم يكلوا الشهادة
وكانت غير مقبولة منهم الا في حقن دمائهم وعصمة اموالهم ومنعوا
انفسهم بها من دفع الجزية كما جعل لهم الرسول ذلك بامر الله عز وجل
لما اسلموا .

والاسلام كلمة مأخوذة من السلم وهو الصلح والاستسلام ، وهو
الإلقاء بالأيدي الى الطاعة ، والايان حد يأتي بعده وهو المعرفة بمحدود
الشهادة واعتقادها واداء حقها ، وذلك هو الاخلاص كما قال رسول الله
(ﷺ) الذي وعد من اخلص لها اي للشهادة بالجنة واخبر انها مردودة
لمن لم يخلص لها ، وينقص من دينه بقدر ما نقص منها ، فكانت الشهادة
اصل الدين وكان الدين باسره مجموع فيها ، ولذلك كانت الدعوة اليها
كما قلنا .

ثم اذا نظرنا الى عدد حروفها وما تدل عليه وتشهد له ، فكانت لا
إله إلا الله سبعة فصول ، وذلك دليل ومثل على السبعة النطقاء
والسبعة الائمة في دور كل ناطق ، وقد قدمنا ذكرهم وهم آيات الله التي
ذكرها في كتابه وكلماته ، كما قال سبحانه :

« وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً »

ثم قال :

« إِنَّمَا الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ » .
وقال :

« إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ » .
وقال ايضاً :

« سَنُرِيهِمْ آيَاتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ
إِنَّهُ الْحَقُّ »
وقال ايضاً :

« وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٍ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِهِمْ آفَافٌ لَا يُبْصِرُونَ »
هذه امثالهم من الشهادة ، واما امثالهم من السماء والأرض فان السماء
الدينية هي مثل لصاحب الزمان ناطقاً كان ، او اماماً والأرض مثل
الحجته ، لان الماء ينزل من السماء الى الأرض ، فينبت الشجر والنبات ،
وينمو ^(١) ويزهو ، وكذلك يصير العلم من الناطق الى الصامت فينبت
المؤمنين ، ويحيون به .

وامثال المؤمنين في هذه امثال الشجر والنبات يحيون بالعلم الذي يصير
اليهم من الحجة . ومثلهم مثل افلاك ^(٢) الشمس والقمر ، فالشمس مثل
على الناطق بها يستضيء العالم ، وكذلك بالناطق يستضيء العالم بعلمه ،
ولذلك جاء في الخبر عن رسول الله (ﷺ) انه قال : « ان الشمس
تطلع من مغربها على رأس الثلاثمائة » فكان ذلك ظهور المهدي صلوات

(١) وردت (تربو) في نسخة (س)

(٢) وردت (الافلاك) في نسخة (هـ)

الله عليه بنوره المضيء ، والقمر مثل الحجة لانه يستمد نوره من الشمس ، وكذلك علم الحجة مستمد من علم الامام ، ومثل الناطق من البدن مثل ^(١) القلب الذي هو امير الجوارح ، ومثل الحجة الدماغ الذي هو موضع العقل ، وكل واحد منها واحد في البدن ، وكذلك الناطق واحد في العالم ، ومثل الناطق ايضاً اللسان لان من قبله يكون البيان ، ومثل الحجة العينان اللتان بهما يكون النظر ، كالاذنين اللتين بهما يكون السمع ، وكاليدين اللتين بهما يكون البطش والعمل ، ومثلها من الأرض المغرب والمشرق ، فالمشرق مثل الناطق لان من قبله يأتي النور ، والمغرب مثل الحجة القابل لذلك النور واليه ينتهي ، والسموات السبع مثل للسبعة النطقاء ، والارضين السبع مثل للحجج السبع ، وأمثالهم ايضاً السبعة نجوم المديرات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه فقال : « فالمدبرات أمرا » ومثلهم في الأرض الاقاليم السبعة ، ومثلهم في الانسان هو ان الانسان خلق من سبعة أشياء كما قال سبحانه وتعالى :

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا أَلَمَقَةً مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ »

واجزاء الانسان سبعة هي : شعر وجلد ولحم ودم وعظم وعروق ومنخ ، وطوله سبعة اشبار بشبره ، وعرضه كذلك ، وهو ما بين طرفي يديه اذا فتحها ، ويسجد على سبعة اعضاء وجهه ويديه وركبتيه

(١) سقطت (مثل) نسخة (هـ)

ورجليه ، وفي جبهته سبعة منافذ عينان واذنان ومنخران وفم ، وهذه بعض الشواهد لآيات الله وحدوده وامثالها وبواطنها في العالمين الاكبر والاصغر ، ولها من الشواهد ما يطول ذكره وقد ذكرناها في ذكر الاعداد ، وبأشبع من هذا واكثر ، وان كنا اختصرنا ذلك ايضاً ، وهي الحدود التي امر الله عز وجل حفظها ، ووسم المؤمنين بالايان ، لقيامهم بها وحفظها ، وأوجب لهم الجنة بذلك فقال سبحانه وتعالى :

« إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعِندَهُ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »

ثم وصف المؤمنين الذين اوجب لهم ذلك بصفاتهم فقال :

« الَّذِينَ يُؤْتُونَ عَمَلُودُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ »

وهذه بعض الدلائل على السبعة التي ذكرناها .

فاما الاثنى عشر اللواحق فانهم اسباب لكل ناطق في كل زمان اربعة منهم اعلام وأقربهم ، ولكل واحد منهم اثنان كاليمين والشمال ، ولذلك كانوا اثنى عشر ، ومثل الأربعة منهم مثل طير ابراهيم في قصته كما قال سبحانه وتعالى :

« قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ »

وهم من الاثنى عشر حداً ، وكالشهور الاربعة الحرم ^(١) لقوله عز وجل :

« إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ »

وامثالهم من الشهادة حروفها فهي اثني عشر حرفاً [ل ا ا ه ال ^(٢)]
[ا ا ل ل ه] وامثالهم في السموات البروج الاثنى عشر ، وامثالهم من الارض الجزائر الاثنى عشر لكل واحد منهم جزيرة ، وامثالهم من الروحانيين الاثنى عشر الملائكة الرسل اولى الاجنحة لانهم برسالة صاحب الامر يتوجهون ، واجنحتهم الدعاة ، لأن كل واحد منهم يبعث الى احدى الجزائر حداً له لقوله عز وجل :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَشْيًى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا تُمْسِكُ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُمْسِكَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . »

(١) الحرم بالاعتقادات الاسماعيلية هم المجلس الوزاري الاستشاري لكل امام وعددهم اربعة : واحد من الاربعة للرئاسة ويسمى «الباب» ويطلق عليهم تعبير آخر هو « الابدال » اي الذين بدلوا خلقاً بعد خلق وصفوا تصفية بعد تصفية على حد تعبير (اخوان الصفا) .

(٢) الحروف الاثنى عشر هذه تشكل مجتمعة (لا إله إلا الله) ويقابلها اسماء الجزر الاثنى عشر الذين يشكلون الكرة الارضية او اسماء الدعاة الاثنى عشر الذين يسمون (دعاة الجزر) المكلفون بالدعاية والتنظيم للدعوة .

فهم اي الحدود الاثنى عشر في العالم السفلي نظير الملائكة في العالم العلوي لقوله تعالى :

« وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ »

فالسبعة ، والاثنى عشر مجموعهم تسعة عشر ، وهم الذين عناهم الله عز وجل بقوله « عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ » وقد جمعهم الشهادة ، فمن عرفهم واعتقد بولايتهم ، وعمل بما اخذه عنهم ، فهو مؤمن من أهل الجنة مقبول الشهادة ، ومن عجز عن شيء من ذلك ، او قصر فيه وشهد الشهادة بلسانه ، فهو مسلم غير مقبول الشهادة ، وحسابه على الله ، فلأجل هذا جاء في كتاب « دعائم الاسلام » من قول الصادق صلوات الله عليه : « ان الايمان يشرك الاسلام ، والاسلام لا يشرك الايمان ، والانسان يكون مسلماً غير مؤمن ، ولا يكون مؤمناً الا بعد ان يكون مسلماً » وهذه هي الشهادة قد بينا حدودها على الأصول ، وتتصل بها شهادة ثانية على الفروع ، وهي « محمدرسول الله (ﷺ) » ، وهي ثلاث كلمات مثل الثلاثة الحدود الروحانيين العلويين الفرعيين ، وهم : اسرافيل وميكائيل وجبريل ، وهي كذلك مثل الثلاثة الحدود الجسمانيين الارضيين بمد النطاق والاساس ، وهم : الامام والحجة (١) واللاحق وهي ايضاً ستة فصول مثل النطقاء الستة أولى العزم وقد ذكرناهم ، وهي كذلك اثني عشر حرفاً مثل اللواحق الاثنى عشر ، وقد مضى ذكرهم ، فالشهادة لله عز وجل هي الدرجة العليا ، وهي الاصول والشهادة للرسول (ﷺ) هي الدرجة الدنيا ، وهي الفروع .

وقد دخلت اي الحدود العليا والدنيا في حروف الشهادة ، فظاهر

(١) في نسخة (هـ) جاءت « اللاحق »

الشهادة قول باللسان ، وباطنها قول وعلم واعتقادها عمل ، فظاهرها الاسلام ، وباطنها الايمان ، وفي ذلك قال الصادق صلوات الله عليه فيما اثبتناه عنه في كتاب «دعائم الاسلام» لما سئل عن الايمان، أقول ام عمل؟ قال « الايمان عمل كله والقول بعض ذلك » . فاخلصوا معشر المؤمنين الشهادة التي دعيتم اليها ، واخلصوا لها ، وقد شرحنا لكم الاخلاص منها ، وقد نهاكم الله عز وجل ان تأبوا ذلك بقوله : « وَلَا يَأْبَى الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا » فاخلصوا لها بالقول والعمل والوفاء بعهده لكم في قوله عز وجل « أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِي بِعَهْدِكُمْ » فقد وعدكم الله سبحانه بلسان رسوله بالجنة ان اخلصتم الشهادة ، وقد عرفتم ذلك فاعتقدوا ، ولا تشكوا ، ولا تترابوا ، واعملوا بذلك ، ولا تضيعوا ، ولا تهـاونوا ، ولا تسوفوا ، فتنالوا ما وعدكم الله من الجنة ظاهراً وباطناً ، فقد قال عز وجل : « وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ » فتنالوا في العاجل من العلم الحكمة ما تسرحون في رياضها ، وتنالون به من ثمارها وأزواجها وتصيرون الى جنة الخلد في دار البقاء في الآجل ، فتفوزوا فيها بثواب الله الذي وعدكم وتأمينوا عذابه الذي به توعدكم ان خالفتم ما امركم به ، وارتكبتم ما نهاكم عنه ، واعرضتم عما ندبكم اليه ودعاكم الى الاخلاص بالشهادة التي جمع فيها جميع ما تعبدتم به .

وقد ذكرنا في هذا الفصل ، وهو فصل الايمان ما فيه الكفاية من شرح الشهادة ، وما دلت عليه من الحدود . وسنذكر في ابواب الكتاب كلها مثل ذلك عند ذكر الفرائض لتعلموا ان هذه الشهادة ، قد حوت وأحاطت بجميع ما تعبدتم الله به ، ولذلك كانت دعوة الرسول (صلى الله عليه وآله) اليها ، وانه اخذ عليكم العهد ان تشهدوها بعده باخلاص ، وقد كنتم شهدتموها لفظاً ، وان تشهدوها شهادة اعتقاد بقلوبكم ، وعملاً بجوارحكم ،

علماً^(١) بتعيينكم محيطين بمحدودها التي حددت لكم ، وشواهدا التي دلت
على السبيل القويم الذي به نجاتكم ، اعانكم الله على ذلك ، ووفقكم اليه ،
وصلى الله على محمد النبي ، وعلى ابرار عترته الائمة الصادقين من ذريته
المتعاقبين الى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

(١) في نسخة (هـ) جاءت (واعلامكم)

الفصل الأول^(١)

(وفيه تأويل قصص الانبياء والائمة وآدم وادريس عليهما السلام)

فصل آدم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي الأمين^(٢) وعلى الائمة
من ذريته الطاهرين .
وبعد :

كنا ذكرنا قبل هذا تأويل الايمان والاسلام ، وهو ابتداء ابواب
« دعائم الاسلام » الذي شرطنا بسط تأويل ما فيه في هذا الكتاب ،
ويتلوه باب الولاية للرسل ، ولأولي^(٣) الامر الذين قرن الله طاعتهم
بطاعته ، فقال عز وجل :

« أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ »

فجمعنا تأويل القول فيهم ، اذ ان الله سبحانه وتعالى قد جمعهم في

(١) في نسخة (هـ) جاءت (الجزء) وفي نسخة (س) جاءت (الفصل) وهي الاصول .

(٢) سقطت «الامين» من نسخة (هـ)

(٣) في نسخة (س) جاءت (والى أولي)

واجب الطاعة ، وإن تفاضلت درجاتهم ومراتبهم ، وكان النطقاء اعلام درجة وهم : آدم ، نوح ، ابراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد ، وسابهم قائم الزمان ، ثم يليهم في الفضل الاسس الذين اقامهم من اقامهم منهم في حياته لتأدية الباطن ، والاساس يقوم بعد الناطق ويخلفه من بعده فيكون اماماً ، ويقم حجة لنفسه ليقوم مقامه ، كذلك حتى يدور دور ذلك الناطق ، ويأتي بعده ناطق آخر بشريعة اخرى ، ويجري كذلك كما جرى اولاً لانه لا تخلو الارض من قائم لله بحجته طرفة عين ، وقد سئل الصادق عليه السلام متى يكون الثاني في حد الماضي ؟ قال : « في آخر دقيقة تبقى من نفس الماضي » فكان ذلك لئلا يجتمع الفضل الكامل في اثنين ، ولا يكون الا في واحد بعد واحد ، دليلاً على وحدة الباري لقوله جل ذكره :

« لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » .

فصاحب العصر سواء ^(١) اكان نبياً او رسولاً او اماماً يدعى ناطقاً ، لانه ينطق بالظاهر ويقوم به ، وحجته يدعى صامتاً لانه صامت عن الظاهر قائم بالباطن ، وهو سبب اللواحق الاثنى عشر الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه بقوله تعالى :

« وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا »

وقد ذكرنا فيما تقدم شواهدهم من الشهادة وغيرها من العالمين العالم الاكبر ، والعالم الاصغر ، وهم امثالهم ، ولذلك قلنا انها اكثر من ان تأتي على ذكرها ، فالامام والحجة يتعاقبان تعاقب الليل والنهار ، وهما ايضاً من امثالهما ، فشمل النهار الامام وقيامه بالظاهر ، ومثل الليل الحجة وستره للباطن وكتمانه ، وفي ذلك قال الله تعالى :

(١) في نسخة (هـ) جاءت (فصاحب العصر من كان)

« وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَأَنْهَارَ آيَتَيْنِ »

وقد ذكرنا ان آيات الله في الباطن حججه على خلقه ، وهم الائمة الذين افترض عليهم طاعتهم وأوجب عليهم ان يأتوا بهم .
واسم الامام يقع على الناطق ، واسم الناطق يقع على الامام ، قال الله تعالى :

«وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ : إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ»

وسمي الامام ناطقاً لانه ينطق بما كان الرسول الناطق ينطق به بدوره من ظاهري الشريعة التي بُعث بها ، وسمي اماماً لان العباد تقتدي به كما سمي المصلي بالجماعة اماماً لهم لاقتدائهم به . ولأنه يتقدمهم ، فهو امامهم اي بين ايديهم ، وهم خلقه متبعين له ، وكذلك سمي رئيس الخلافة اماماً لمن اتبعه ، قال الله عز وجل :

« وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النُّارِ »

ولم يطلق اسم النبوة الا لمن اتصلت به المادة العلوية من غير توسط حد سفلي بينه وبينها ، فحد الأمامة دون حد النبوة ، وان كانت طاعتهم في الوجوب متساوية ، كما انها كذلك مقرونة بطاعة الله ، ولذلك وجب ان نبتدي اولاً بذكر اصل الامامة في الحد السفلي ، وهو آدم عليه السلام ، ثم نفسق عليه ما يليه ويتلوه شيئاً فشيئاً بقدر ما يتحملة هذا الحد من القول في ذلك فنقول وبالله نستعين :

قال الله تعالى :

«وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا

أَتَجْمَلُ مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ
لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ «

وقوله تعالى :

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ
فَنَفِّثُوا لَهُ سَاجِدِينَ «

وان اول ما ينبغي ذكره في هذا القول من مخزون علم اولياء الله ،
ان القول والكلام المضاف الى الله ، انما قصد به ما يقع بافهام السامعين
وليس ذلك كما تشاهدون وتسمعون من قول القائلين وكلام المتكلمين من
الاصوات التي تكون عن الاجرام والاجواف وتخرج من مخارجها ، وتقطعها
اللهاوت والالسن والشفاه ، ويكون عنها ، وكلاصوات التي تحدث عن
الاحتكاكات بين الاجرام المخلوقة ، تعالى الله عن اضافة ذلك اليه ،
وتشبهه بشيء من خلقه علواً كبيراً ، وقد يساغ في اللغة القول والكلام
من غير متكلم بالصوت واللفظ المعلوم ، وذلك ان العرب تقول مال (١)
الحائط فوق ، وهم (٢) الرجل فركب ، ووعظت الدنيا اهلها ، وخاطبتهم
بمواظبها ، وعاتب الزمان فلاناً ، ومن اشباه ذلك في اقوالهم ، فخاطبتهم
الله بما يعرفون من ذلك ، وقد يرى الانسان في منامه ما لم يره في نظره
ويسمع الكلام من غير متكلم ، والصوت من غير مصوت ، وفي قدرة
الله تعالى ما يتأدى عنها (اي عن القدرة) امره الى المأمور به كما يشاء
لا شريك له ، وقد قال جل من قائل :

(١) في نسخة (هـ) جاءت (قال)

(٢) في نسخة (هـ) جاءت (قال) ايضاً .

« إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »

فقوله : كن فيكون كما يقول ذلك المخلوقون ، و (كن) حرفان مما يقوم به الكلام ، أحدهما متحرك وهو الاول ، والثاني ساكن وذلك مثل على الاصلين ، والأمثال كثيرة والذي في سر الله عند اوليائه الملائكة الذين ذكرهم الله تعالى ، انه قال لهم : ما قال من امر آدم لم يكونوا جميع الملائكة ولكن الله تعالى لما اراد خلق آدم الخلق الثاني الذي هو خلق العلم كما قال سبحانه وتعالى : « ثم أنشأناه خلقاً آخراً » وقال :

« وَيَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ »

وان ينصبه اماماً ، ندب من الملائكة اثني عشر ملكاً ليقيمه لهم^(١) نقيباً ، يأخذون منه ، ويبلغون عنه ، اهل الارض ، فلما عرفهم انه يخلقهم من طين ، والطين في الباطن هو العلم الظاهر الكثيف الجسداني ، وكان سبحانه قد خلق الملائكة في خلق العلم اللطيف الروحاني الباطن ، وكان فيما سبق اليهم من العلم ان العلم اللطيف لا يتصل بالمادة ، والكثيف لا يكون الا بالتعليم ، وان العلم الروحاني اللطيف لا يرتبط بالاعمال ، وانما هو علم بلا عمل ولا تكليف كما يكون علم الظاهر لقول امير المؤمنين عليه السلام وقد ذكر القرآن فقال :

« ظَاهِرُهُ عِلْمٌ مُوجُوبٌ وَبَاطِنُهُ عِلْمٌ مُحْجُوبٌ »

ولذلك فان^(٢) الملائكة لم تمتحن بالاعمال ، وكان فيما سبق لهم من العلم ان المكلف لا بد ان يذل ويقصر ، قالوا :

« أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

(١) في نسخة (هـ) وردت ليقيمهم لهم (٢) سقطت (فان) من نسخة (هـ)

بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ؟ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ؟

عنى عز وجل انه يحل بآدم من التأييد ما احله بهم ، ويتلافاه ان قصر او اخطأ فيستنفذ من الهلكة ، وكان منهم ابليس فرأى في نفسه انه افضل من آدم وانه احق بالمنزلة منه ، وأنف ان يكون تبعاً له وسبباً من اسبابه وآخذاً عنه ، واستكبر عن امر ربه سبحانه ، و اراد الله ان يُري الملائكة عجزها ، فخلق آدم كما قال جل ذكره من طين اي ابتدأه بالعلم الظاهر ، كما يبتديء كذلك في السنة التي سنها جل ذكره لعباده ، واقام على ذلك مدة طويلة لا يعرف غير ما علمه .

وذلك الذي جاء في الحديث ان الله لما خلق صورة من طين بقيت جثة ملقاة زمناً طويلاً قبل ان ينفخ فيه الروح يعنى العلم الباطن الروحاني ، وان ابليس كان يأتيه ويفاتحه بالعلم ، ويحاريه فلم يجد عنده الا الظاهر فيفرح بذلك ويخبر انه اجوف ، اي خالٍ من الباطن ، ولا باطن عنده ، وذلك كان قبل ان يؤمر بطاعته هو والملائكة الذين اقيموا لذلك لانه عز وجل انما قال لهم :

« فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقِفُوا لَهُ سَاجِدِينَ »

اي اذعنوا له بالطاعة ، اذا امددته بالعلم الروحاني ، فكان ابليس من بينهم يتعهده لما اضره له من العداوة ، ووقع في نفسه من حسده والاستكبار عليه ، ورأى في نفسه انه افضل منه ، فيسرُّ بما يرى من تخلفه عن العلم الباطني حسراً منه وتكبراً ، ولما اراد الله اكراه امدده بذلك العلم وعلمه اياه كما قال سبحانه : « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا » يعني اسماء كل شيء يحتاج الى علمه البشر ، لان كل ذلك ذو اسم ، فلما

علمه ذلك نصبه للملائكة الذين احلهم للاتصال به ، وابتدأهم بالسؤال
ما علمه ، فلم يكن عندهم من ذلك ما يجيبون به ، عندئذ قالوا ما احكامه
الله عنهم .

« سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ »
قال : يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ
غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ »

قال الصادق عليه السلام : « حججت مع والدي يوماً فطاف بالبيت
ليلة من الليالي وطففت معه ، ثم مال الى الحجر فصلى وصليت معه حتى
كللت فجلست ، وهو قائم يصلي اذ اقبل رجل فجلس الى جانبه ، وهو
يصلي فنظرت الى رجل تام الخلفة جليل العظام ، اصب اللون والشعر ،
عليه ثوبان غليظان ابيضان ، فلما رآه ابي وقد جلس الى جانبه اوجز في
صلاته ، ثم سلم واقبل عليه ، وقال له : هل لك من حاجة ؟ قال :
اتيتك اسألك عن بدء خلق هذا البيت ؟ قال له ابي : نعم ان الله
تعالى لما خلق آدم وذكر قصته ، وما كان من امر الملائكة ، وما
قالوه له وقال لهم :

« إِنِّي أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ »

قال فاما ما ابدوه فهو قولهم :

« أَتَجْعَلُ مِنْهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا ، وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

بِحَمْدِكَ ، وَنُقَدِّسُ لَكَ »

واما ما كتموه فانهم قالوا في انفسهم : ما ظننا ان الله يخلق خلقاً

افضل منا ، فيأمرنا ^(١) بالسجود له ، فلما قال ذلك لهم علموا انهم قد وقعوا في المعصية فلاذوا بالعرش ، وطاقوا به اسبوعاً يسترضون ربهم ، فرضي عنهم ، وقال لهم اهبطوا إلى الأرض فابنوا فيها بيتاً يلوذ به من اذنب من ولد آدم ، ويطوفوا حوله كما لزم بالعرش وطفتم فأرضى عنهم كما رضيت عنكم ، فبنوا هذا البيت ثم رفعه الله عند الطوفان فهو من السماء الرابعة يحجبه الملائكة الى يوم القيامة .

وبنى ابراهيم الخليل هذا البيت على أساسه ، وذكر باقي الحديث وهو حديث طويل اختصرنا منه موضع الحاجة ، ثم امر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم اي امرهم بطاعته ، والاتصال به والقبول عنه ، كما قال الله جل من قائل :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ »

فسجدوا ^(١) كما قال لهم تعالى :

« إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ »

وانما سمي ابليس بعد هذا اي لما ابلس قال اصحاب اللغة ان ابليس على وزن افعيل من ابلس ، ويقال ابلس الرجل اذا ايس ، وكذلك ابليس لما آيس من الحد الذي كان فيه ابلس ، ويقال ايضاً ابلس الرجل

(١) في نسخة (س) جاءت (فتأمرنا)

(١) في نسخة (هـ) جاءت (فجدوا)

إذا انقطع ولم يكن له حجة ، ويقال ابلس اذا حزن ، وبلّس اذا خشع ، وكل هذه الأحوال اجتمعت في ابليس ، قال الله وهو اصدق القائلين :

« وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمِينَ »

وقال عز وجل :

« مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي

مِنْ نَارٍ ، وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ »

يعني انشأتني في العلم بالنشأة الروحانية ، والعلم التأييدي البارق ، الذي لا قوام لجسداني معه ، وانشأته بعلم كثيف غليظ منطقي طبيعي جسداني ، فكيف اسجد لمن انا خير منه ؟ فأبدى ما كان اسره ، وجاهر بمعصيته ، فغضب الله عليه ، ولعنه اي طرده ، بقوله عز وجل :

« قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ، وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ

الدِّينِ »

فأخرجه من حدود التأييد ، وقطعها عنه ، وطرده عنها واللعن في اللغة هو الطرد .

وخلق الله عز وجل حواء من آدم وذلك لقوله تعالى « وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا » وكذلك خلق التأييد ، لا الخلق الجسداني ، أي امر الله تعالى ادم فتولى تأييدها وتعليمها وتبصيرها وقرنها به ، وجعلها زوجته وهي حجته عوضه الله سبحانه بها بدلاً من ابليس لا كما زعمت العامة ، ان الله تعالى القى على آدم النوم فنام ، ثم سل (١) احد اضلاعه

(١) في نسخة (هـ) جاءت (سئل)

فخلق منها حواء ، وانما سمعوا من التأويل طرفاً لم يعوه ولا عرفوه ، سمعوا ان الله ابدل لآدم ضلعاً من اضلاعه ، وجعل من ذلك الضلع حواء .

وليس الامر كذلك ، ولكن الله تعالى عوّض على آدم حواء بدلاً من ابليس الذي كان مؤهلاً ليكون حجة لآدم كما قلنا ، وجعله من الانثى عشر النقباء ، لان امثالهم في الخلق الظاهر من الانسان اضلاع الجسد ، ولأن الانسان له اثني عشر ضلعاً من كل جانب ، ومثل الجانب الأيمن مثل العلم الباطن ، ومثل الجانب الأيسر العلم الظاهر ، والنقباء بعلم الباطن اثني عشر وكذلك مثلهم لعلم الظاهر . ثم اسكن الله سبحانه وتعالى آدم وزوجته الجنة ، وهي في الباطن حدود الرسل من التأييد ، فمن دونهم الى النقباء . وليس قولنا في هذا وغيره من الباطن نفيًا منا للظاهر كلا اذ أنه مزدوجاً ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

« وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »

والجنة من اعظم الأشياء التي خلقها الله سبحانه ، وقد جعلها عز وجل بشري للمؤمنين فقال تعالى :

« وَتَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »

وقال تعالى :

« وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ »

ثم قال :

« وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ يَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ
قَبْلُ وَأَوْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا »

فجعل سبحانه الجنة بشرى للمؤمنين وقال سبحانه في موضع آخر :

« لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ »

فأخبر سبحانه ان لهم الجنة في الدنيا والآخرة ، وقوله :

« كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ »

يؤيد ذلك .

فلا يتوهم السامع انا اذا ذكرنا باطن الجنة نفينا ان يكون ثمة جنة
خلد ودار نعيم ، واذا ذكرنا باطن النار نفينا بذلك ان يكون ثمة نار
ودار عذاب ، او متى ذكرنا تأويل شيء من الباطن ابطلنا من اجله
الظاهر نعوذ بالله من ذلك لانه لن يقوم ظاهر الا بباطن ، كما اننا لا
نشاهد في هذه الدنيا روحاً تقوم في البشريين الا في جسد ، ولا باطن
الا وله ظاهر ، ولولا الظاهر يقع عليه اسم الباطن فافهموا هذا معشر
المؤمنين فهماً تاماً متقناً ، واشعروا قلوبكم فان اكثر من هلك من اهل
هذا العلم انما هلك من هذا الوجه ، ومن اجله وقع آدم في الخطيئة .
وسنذكر ذلك في حينه ، فأمنوا بظاهر ما انزل الله وباطنه واعتقدوا
واعملوا به . وقد قال الله تعالى :

(وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ)

وقال :

(وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً)

فظاهر الحلال حلال ، وباطنه حلال ، وظاهر الحرام حرام ، وباطنه حرام ، ولكل شيء كما ذكرنا ظاهر وباطن ، فهذا هو الظاهر والباطن ، فاما الامثال التي ضربها الله سبحانه لعباده بقوله :

(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)

وقال :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ إِنَّهُ آخِذٌ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ)
وقوله تعالى :

(وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ)

فليس من سبيل الظاهر والباطن ان يكون المثل والمثول مفروضين ثابتين ، بل انما يكون الثابت والمفروض المثول كالمثل نظير قوله سبحانه :

(إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)

والصراط في اللغة الطريق ، فمثل الامام ههنا بالطريق لان من لزم الطريق لن ^(١) يضل ، وكذلك من لزم الامام لن ^(٢) يضل . والمراد

(١) في نسخة (س) جاءت (م) (٢) في نسخة (س) جاءت (م)

بالطريق ههنا الامام لا الطريق المسلك في الارض .
ولنرجع الى ذكر آدم عليه السلام والى باطن الجنة الذي هو التأييد
بالعلم الحقيقي الروحاني الصافي اللطيف ، لان النعيم فيه يفوق كل نعيم ،
والتلذذ به يفوق كل تلذذ ، ومن اجل ذلك يزهد من عقل في كل
العلاقات الدنيوية بأسرها ، وتصفر في عينه ويقل كل ما فيها في نظره
ويهون عنده بارتباطه بذلك العلم واتحاده به فيجده انه هو النعيم الكامل
والعز الذي لا ذل بعده ، ومن ذلك حديث امير المؤمنين علي "صلوات
الله عليه لكيل بن زياد الذي قال فيه : « العلم حاكم ، والمال محكوم
عليه ، المال ينفذ مع النفقة ، والعلم يزكو مع الانفاق ، مات خزان
الاموال ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، اشخاصهم مفقودة ، وآثارهم
في العالم موجودة » وكان حديث طويل ذكرنا منه بعض الحاجة وقال
سبحانه وتعالى :

« يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ

شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ »

وحذره من ابليس بقوله سبحانه :

« إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى »

وعهد بذلك اليه بقوله عز وجل :

« وَعَهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَتَسِي وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا »

فأباح سبحانه لها حدود الرسل على شرائطها وواجباتها التي اوجبها
فيها من تحليل ما احله وتحريم ما حرمه ، والمنع مما منع منه وحذره ،
وجعل الشجرة التي نهاه ان يقربها ومنعه منها وحرمها عليه مثلاً لحده
قائم الزمان الذي هو صاحب القيامة ، والذي يكون التكليف في حده

مرفوعاً ، ان لم تكن عملت به من قبل ، كما قال عز وجل :
 « لَا يَنْفَعُ نَفْسٌ إِيمَانُهَا إِنْ لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ وَكَسَبَتْ
 فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا فِدْيَةٌ ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَذْلًا ،
 وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ » .

ويتجرد حينئذ الباطن ، ويسقط الظاهر ، ويكون الباطن ظاهراً
 على خلاف ما هو في حدود الرسل قبل ذلك ، لانه في حدودهم مدفوع
 الى حججهم ، مستور عندهم ، محمول من واحد الى واحد ، وهو معجزة
 لهم ، وعلم يستضاء به حتى يصل الى صاحبه اي صاحب القيامة ، فيظهره
 ويجرده ، وذلك محذور ممنوع قبله ، فمنع الله عز وجل آدم في ابتداء
 الامر من ذلك لتجري سنة الله التي لا تبديل لها عليه ، وسأل ^(١) ابليس
 انظاره الى يوم الوقت المعلوم ، وعنى ^(٢) باليوم صاحب القيامة وقال :

« لَنْ أَخْرِيَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَكِنُ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ،
 قَالَ إِذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ ، فَإِنْ جَاءُوكُمْ جَزَاءٌ مَوْفُورًا
 وَاسْتَفْزَوْا مِنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ (يعني بذكرك) وَأَجْلِبْ
 عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ، (يعني من اتبعك منهم على باطلك فاستعن بهم
 على امرك) وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ »
 يعني بالاموال العلوم اذا ^(٣) ادخل عليهم منها من شكك وباطلك ،

(١) في نسخة (هـ) جاءت و (سئل)

(٢) في نسخة (هـ) جاءت و (بقي)

(٣) في نسخة (س) جاءت (ان)

وعنى بالاولاد من يولد بالايمان ، لان مثل اهل الدعوة بالباطن مثل اولاده ، قال الله تعالى « مِلَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُؤْمِنِينَ » فالناطق للمؤمنين بمنزلة الاب ، والحجة بمنزلة الام ، لانها تحملهم وتضعهم بالعلم وتربيتهم .

ولذلك قال رسول الله (صلعم) : « انا وانت يا علي ابوا هذه الامة » فأراد سبحانه بقوله وشاركهم في ابنائهم المؤمنين بباطلك منهم الذين صاروا بحق ابناء لهم ، فمن غلبت عليه بباطلك منهم فقد انتزعت من ولادتهم ، التي هي ولادة الايمان ، الى ولادتك التي هي ولادة الكفر ، فشاركهم فيه وعدمهم بغرورك وباطلك ، فجعل الله ذلك حنة لهم ، ثم اخبر سبحانه عن عباده الخالصين له انه لا يظفر بهم ويردهم بالكلية اليه ، ويكونوا من حزبه وابنائهم فقال تعالى :

« إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ »

وجعل لنفسه منهم حزباً وقال يصف حزب الشيطان :

« أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ (يعني ائمة الضلال)

مَا هُمْ مِنْكُمْ ، وَلَا أَنْتُمْ مِنْهُمْ ، وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَظُنُّونَ ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ
اتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يَوْمَ يَنْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَخْسِبُونَ إِنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ، أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ »

ثم وصف حزبه فقال تعالى :

(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ (يعني ائمة الجور واتباعهم) وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ
أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ،
وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُعْلَمُونَ)

فبين الله عز وجل ان حزبه هم المنقطعون اليه الذين تولوا اوليائه ،
وان حزب الشيطان هم الذين استحوذ عليهم فاقتطعهم لنفسه ، وشارك
اوليائه فيهم ، فتولوا اعداءه واعدائهم ، وتبرأوا من ولايته وولايتهم ،
وتولوا الشيطان واوليائه ، فاما من استنذله الشيطان ، وندم على ذلته ،
واستقال من عثرته ، وناب الى ربه ، فليس من الشيطان ولا من حزبه .

قال الله تعالى :

« وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا وَيَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ
تَوَّابًا غَفُورًا »

وقال الصادق عليه السلام : « لا تجدوا ولياً تذلل قدماء جميعاً ،
ولكن متى زلت له رجل اعتمد على الاخرى ، فاستذل ابليس اللعين آدم
وحواء عليها السلام بقوله لهما « ما حكاه الله عز وجل عنه في كتابه :

« مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَيْنِ

أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا مِنَ النَّاصِحِينَ »

زَيْنَ لهما حد الاباحة فيما حذرهما الله عز وجل منه ، وقال لهما ان حد العمل بالفرائض هو حد التعب والنصب ولو تركناه لصرتما في حد الملائكة الروحانيين اللطيف وتجردتما من العالم الجسماني الكثيف ، ولكنكما ملكين خالدين فيما تشتهيانه ، وذلك قوله تعالى :

« فَوَلَّاهُمَا يَبُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا »

اي فجاز (١) حدود النطقاء التي ابيحت لهما الى حد صاحب القيامة الذي خطرته الله عز وجل عليهما ، ومدا ايديهما الى ما ليس لهما فتناولوا منه واكلا من الشجرة فوقعا في الخطيئة والمعصية ، فانقطع التأييد عنها ، وهو لباس التقوى الذي ذكره الله في كتابه فقال :

« وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ »

وعريا منه ، وبدت لهما سؤأتهما يعني انه ظهر لهما ما كان مستهجنًا (٢) فيها من كثافة الصورة الطبيعية ، لما عريا من لباس التقوى ، اي الكلمة التي وارت عنها بنورها كل ظلمة كانت فيها مركبة ، لان التأييد لا يصحب المعاصي ، ومد اليد الى ما ليس لها يوجب في الحكم قطعها .

فلما انقطع التأييد عنها طفق كما قال الله عز وجل :

« يُخَصِّفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ »

يعني انها جعلتا يتعلقان من نور الحكمة بالتذكار ، ليسترا به عورة ما

(١) في نسخة (هـ) جاءت (فتجاوزوا)

(٢) في نسخة (هـ) جاءت (مستجانبًا)

بدا منها ، وما انكشف من حالها بزوال التأييد ، ومن قبل الجهل بالحدود ، وقد هلك كثير ممن تعلق بهذا الامر ، وصار الى الاباحة « وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا » كما قال عز وجل :

« أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ »

فلم يُصدا على الذنب ، كما صدّ ابليس عليه بل تابا الى الله تعالى منه ، وأتابا اليه ، وسألاه رحمته ومغفرته .

« فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » .

يعني انه تقرب اليه وتلقاه بتوبته من جهة الحدود العلوية ، فتاب عليه كما قال عز وجل ، ولم يكن لابليس عليه سلطان يجره به اليه ، ويستحوذ به عليه ، حتى يصير من حزبه ، بل كان من حزب الله عز وجل بتوبته اليه ومغفرته له وتلقى كلماته ، وكذلك من عمل سوءاً من ذريته فتاب منه ، واتاه من قبل اوليائه ، غفر له وكان من حزبه ومن اصرّ وتمادى في ذنبه ، ولم يشب اليه ، ولم يأت من قبل اوليائه ، كان من حزب ابليس وجنوده ، قال تعالى :

« وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوهَا فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا »

فلا تقبل توبة التائبين الا بتلقي كلماته ، ولا يغفر لهم الا بعد

استغفارهم واستغفار الكلمات لهم ، فهذا بيان مثل الشجرة التي نهى الله عز وجل عنها آدم عليه السلام ، وما كان من تناوله منها ، وانكشاف عورته ، وبدأ سوءته ، وهو تأويل باطن ، وذلك في الحد المبسوط في هذا الكتاب ، وليس كما تأولته العامة ، واخذته على ظاهره ، من ان الشجرة كانت شجرة الخنطة ، وقال آخرون انها شجرة التين ، وقال آخرون انها شجرة العنب ، وان لباسها كان من ظفر ، فانحسر عنهما ، ولحقتهما التوبة ، وقد بقي ما بقي منه في أطراف اصابعها وبقي ذلك في أولادهما . وان اكثر الحيوان له اظافر وما شابهها ، كحوافر الدواب ، واذلاف البقر والغنم ومخالب السباع والطيور ، وليسوا من ولد آدم ولا نالهم ما ناله ، فيكون قد بقي ذلك باطرافهم ولكنها حكمة في تركيبهم الذي ألفه الباري ، وقدّره جل ذكره ، ولو كان اللباس من ظفر لكان مثله في التأويل ما لا تقبله العقول ، ولا يصح في التحصيل ، وكذلك ما زعموه من ان آدم وحواء انكشفت سوأتهما فخطا لهما مئزران من ورق التين ، فذلك ايضا ما لا يثبت إذ انه لم يحصل .

والله جل ذكره وعلا أجل من ان يفعل ذلك بني قد اصطفاه واكرمهم ، ولو ان احد المتأولين ، لذلك نظر الى انسان نقم على عبده له فنزع عنه ثيابه ، وتركه عرياناً ، بادية الصورة لسفته بذلك العمل ، وهم ينسبون الى معبودهم ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ومن قولهم واكثرهم أخذوا هذا التأويل عن اسم من اسلافهم من اليهود ، مثل « كعب الاحبار ، وعبدالله بن سلام » وغيرهما لانهم يزعمون انه كذلك موجود عندهم في الثوراة ، وان آدم وحواء بقيا عريانين في الجنة ، وقد احسا بحس الله يشي بين اشجارها ، فاخفيا منه بين اشجارها ، فناداهما أين انتما ؟ فقالا : أحسنا بك تشي بين أشجار الجنة ونحن عريانين ،

فاستحيينا منك واختفينَا ، قال لها لقد أكلتا من الشجرة ؟ قال آدم :
 المرأة اطعمتني ، وقالت المرأة : الحية امرتني ، وقالت الحية : ابليس
 دخل في جوفي ^(١) . تعالى الله عن هذا التأويل ، ان تحويه الاقطار
 أو تراه الابصار ، وفي التوراة والانجيل مثلاً في القرآن من الامثال
 والاشارات والرموز ، والظاهر المحتاج الى التأويل الذي هو العلم المخزون
 قال الله جل من قائل :

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ ^(٢)
 وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ »

فمن هذا يعلم انهم لا يقيمون ذلك الا بالتأويل ، ولذلك قيل في
 التأويل ان التوراة مثل للظاهر ، والانجيل مثل للباطن ، فأمر الله عز
 وجل باقامتها جميعاً على نحو ما قدمنا ذكره ، بما انزل الله عز وجل من
 العلم الذي أودعه آدم ونقله في النطقاء والاسس والائمة ولواحقهم من
 ذريتهم عليهم صلوات الله وسلامه اجمعين .

وأما ما تقدم من قوله عز وجل : « وَتَادَاُهَا رَبُّهَا » فنداؤه اياها
 عز وجل هو اتصال منه اليها لا على ان ذلك كان نداً كالنداء الذي
 يسمع من المصوتين ، وكذلك ما نذكره في قوله وكلامه تبارك اسمه ،
 وقد قدمنا في ذلك شرحاً طويلاً قبل هذا . وانما العباد خوطبوا بذلك
 ومثله ما يتنافى عن الله عز وجل ولا يليق به ، ولكن المتعارف عليه
 بين العباد ان الصوت لا يكون الا من مصوت ، وعن جوف ولهاة ،
 والكلام لا يكون كذلك الا بالشفاء والالسة ، وكذلك ما يكون من

(١) في نسخة (هـ) جاءت في (اجوفي)

(٢) في نسخة (هـ) وردت هكذا (التورات)

اصطكاك الاجرام ، والله سبحانه يتعالى عن ذلك علواً كبيراً .
ولما تاب الله عز وجل على آدم لم يحطه من مرتبة الخلافة والامامة
التي اقامه لها ، ولا اخلاه من مادته وكلمته وحكمته بالكلية ، لكنه
أهبطه وحواء معه من حدود التأويل بدون حجاب ، فقال :

« أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَذُو لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ
أَلَىٰ حِينٍ »
وقال :

« فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ »
وقال :

« يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَآتَكُمْ ، وَرِيشًا
وَلِبَاسًا مِّنَ الثَّمَرِ ذَلِكَ خَيْرٌ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ »
فأهبط الله آدم من حد التأويل بلا حجاب ، ولم يخله من المادة فصار
ما كان يتصل به من المادة يتنزل عليه من الحدود الرومانية العلوية ، ويتصل
عنه بالحدود السفلية ، ذلك عن آيات الله كما ذكره ، وجرى ذلك كذلك
في النطقاء من ولده .

قال رسول الله (ﷺ) انني آخذ الوحي عن جبريل ، وجبريل
يأخذه عن ميكائيل ، وميكائيل يأخذه عن اسرافيل ، واسرافيل يأخذه
عن اللوح ، واللوحي يأخذه عن القلم ، فصار التأييد يتصل بالنطقاء من
خمس حدود علوية ، ويتصل عنهم للمستجيبين بواسطة خمسة حدود
سفلية ، فالحدود العلوية هم الذين ذكرناهم ، والحدود السفلية هم الاسس
والائمة والحجج والنقباء اصحاب الجزائر ، والاجنحة وهم الدعاء ،

والسادس من الحدين هو القابل ، وصار ابليس عدو لآدم وضده ، وكل من والى الله تعالى من ناطق وصامت وامام وحجة ، ومن تولاهم وائتم بهم ، فهو من حزب آدم الذي هو حزب الله تعالى ، وكل من عادى أولياء الله وناصبهم ، وبعد ^(١) عن امرهم او ادعى مقامهم ، فهو من حزب ابليس الذين استحوذ عليهم الشيطان فانسام ذكر الله ، والنسيان ههنا هو التأخير بقوله أخرهم عد ذكر الله ، وذكر الله ههنا في الباطن هم أولياءه الذين بهم يذكر ، وهم الذين أتوا بذكره ، وجرى مثل ذلك ما كان من آدم وحواء في ذريتهما ، وذريتهما وان كثرت لا تعد جنسيهما من ذكر وانثى كما كان ذلك اعني آدم وحواء وكذلك جرى في جميعهم من الطاعة والمعصية مثلاً جرى في آدم وحواء ، وابتداء آدم في خلقه وما جرى عليه ، وذلك نظير ما يجري على الخلق من ولده في ابتداء امره ، وكونه في هذه الدار ، وإسكان الله سبحانه آدم وحواء الجنة بعد ما جرى عليهما ، نظير لاسكان الله تعالى اياها من آمن وصلاح من ذريتهما فمن هو من حزبها ، وتوبة من تاب منهم كتوبتهما ، وهلاك من هلك منهم بمعصية ، وصار الى عذاب الله بكفره وارتكابه ما نهى عنه جل ذكره ، لاستحواذ ابليس عليهم وكونهم من حزبه ، وانقطاعهم عن آدم ، وخروجهم عن نسبته ، فدخلوا مدخل من صاروا منه ، وبأنوا عنه ، اي من آدم لانقطاعهم عنه قال الله عز وجل :

« وَمِنْ يَتَوَلَّيْهُمْ مِنْكُمْ فَأَنَّهُ مِنْهُمْ »

ومن تولى ابليس فهو منه ، وهم ولده بالدعوة اليه ، وأهله بالاتصال به ، وبأنوا من آدم لقول الله عز وجل في ابن نوح لما عصاه : « إِنَّهُ

(١) وردت في نسخة (هـ) و (عند)

« إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ » .

وتسميته سبحانه وتعالى حزب الشيطان وسماهم باسمه ، وقال تعالى :

« إِنَّ الشَّيْطَانَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ »

وقال :

« إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ »

يعني اتباع آدم من ولده .

« إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْفَارِيزِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جِزٌ مَقْسُومٌ »

ويعني بالابواب الرسل الذين هم ابواب الظاهر المحض لانه لكل واحد منهم شريعة معلومة ، وقسم من دفعها يولوا حبهم النار ومنها قول رسول الله (ﷺ) لعلي « انت قيم ^(١) النار » لذلك يقول لها يوم القيامة : « هذا لك فخذيه ، وهذا لي فاتركيه » .

ومعنى هذا ان مضادة ابليس لآدم وعداوته ، كمضادة اعداء الرسل ايامهم ، وعداوتهم لهم ، قال الله تعالى :

« وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ »

فالمذنب من ولد آدم ، المصر على ذنبه ، الذي لا يتوب منه ، ولا يقلع عنه . فمثله مثل ابليس في اصراره ، وقد خرج من حزب آدم ، ودخل في حزبه ، ودخل مدخله ، وصار الى عذاب الله معه ، اي مع ابليس ، والثائب المقلع عما اقترف ، والمطيع فهو من ولد آدم وحزبه

(١) وردت في نسخة (هـ) (انت قائم النار)

الذي هو حزب الله جل ذكره .

قال الله تعالى :

« وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ
وَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى
مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتُ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ »

فايد الله سبحانه آدم بالوصية ، واسكنه الأرض ، واستخلفه على من
فيها ، وتنازلت ذريته بها ، وكان حجة الله عليهم ، والناطق بالرسالة
اليهم ، وأوصى الى ابنه هابيل فحسده اخوه قابيل وقتله ، كما وصف
الله عز وجل . وذلك في حياة آدم لتصير الوصية اليه ، فيا تومه
وظنه ، ومضى في عصيانه ، واصد على ذنبه . وكان من حزب ابليس .

وهب الله لآدم من ذريته « شيئا » فسماه « هبة الله » ، وأودعه
للعلم ، واسره اليه ، وأمره بكتبانه ، تقية عليه من قابيل ان يقتله ،
كما قتل هابيل ، فجرت بذلك السنة في اسرار العهد وحفظه ، وقبض
الله آدم الى ما اعد له من الثواب في دار القرار ، وقام بأمر الامامة
من بعده وصيه شيث ، وجرت الامور في ولده على حسب ما قدمنا
ذكره من قائم ، بعد قائم ، وامام بعد امام .

وكان من ذكر الله عز وجل في كتابه عن ادريس عليه السلام ،
وهو من دور آدم صلوات الله عليه ، ثم انتهى الامر الى نوح صلوات
الله عليه ، فبعثه الله سبحانه رسولا ناطقا بشريعة غير شريعة آدم ، قال
الله سبحانه وتعالى :

« لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْهُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا »

وانقضى دور آدم بقيام نوح صلوات الله عليهم وكل منهم لم يقيم بالرسالة الا بعد ان كان متمسكاً بشريعة من كان قبله وقد اخذ عليه ميثاقها وكان متمسكاً بها ، قال الله عز وجل :

« وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا »

وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم ، فافهموا معشر المؤمنين ما تلوناه عليكم من تأويل ما انزل الله عليكم ، واعرفوا حقيقة ما به تعبدكم وباطن التنزيل الذي اخبركم عنه سبحانه في كتابه انه لا يعلمه الا هو والراسخون في العلم من اوليائه ائتمكم الذي انعم الله عليكم بولايتهم واتباعهم فجعلكم بذلك من حزبه الذي وعده بثوابه ، واستنفذكم به من حزب ابليس الذي تواعده لعقابه ، واعملوا بما افترض الله عز وجل عليكم العمل به ، واخلصوا لوجهه ، وقوموا ظاهراً وباطناً بما افترض الله عليكم ، ومن اقترف منكم ذنباً فليتب الى الله منه ، وليتلقى فيه ولي زمانه ليستغفر الله له ، ويستغفر هو من ذنبه ، ويصير الى ما وعد الله التائبين به ، الذين استغفروا لذنوبهم ، واستغفر اوليائه لهم لتكونوا من حزب ابيكم آدم ، وحزب اولياء الله من ولده الذي هو حزب الله جل ذكره ، واتركوا حزب الشيطان الذين اصروا على ذنوبهم ، كما اصر هو على ذنبه ، وأبلسوا منه كما ابلس هو ، كما آيس من ربه ، ولا تيأسوا من ربكم ورحمته اياكم ، فقد قال سبحانه وتعالى :

(وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا
الْقَوْمُ الْكَافِرِينَ)

وكما حكى من قوله تعالى للخليل ابراهيم (وَمَنْ يَقْطَعْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ)

وفقكم الله لما يحبه ويرضاه ، ووقاكم من ارتكاب نهيه ومعاصيه ، وفتح لكم أبواب طاعة أوليائه . وصلى الله على محمد بنيه ، وعلى الائمة الطاهرين من عترته ، وسلم ^(١) .

(١) الادوار في المعتقدات الاسماعيلية تقسم الى قسمين أدوار كبيرة وادوار صغيرة ، فالادوار الكبيرة هي التي تبتدي بآدم وتنتهي بالقيامة ، أما الادوار الصغيرة فهي التي تبتدي بقيام الناطق اي النبي المرسل بشريعة وتنتهي بقيام الناطق الذي يليه . والدور الكبير الذي نحن فيه الآن مقسم الى سبعة أدوار صغيرة وهم : دور آدم ونوح و ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد والقائم المنتظر وان لكل دور امام مقيم وامام مته وأساس وناطق وسبعة ائمة ، ومعنى المقيم هو الذي يربي الناطق في دعوته والمتم هو الذي يتم الدور والاساس هو حجة الناطق في حياته ويتسلم الوصية بعده وهو صاحب التأويل الباطني كما ان الناطق صاحب العلم الشرعي الظاهري .

لقد كان الامام المقيم في عهد آدم « هنيذ » وكان حججه اثني عشر ومنهم ابليس الذي رفض الاذعان لآدم ، أما آدم فقد هبط في عدن وربما كانت عدن الموجودة في اليمن ، ثم هاجر الى مكة المكرمة وكان اسمها (غاران) وتوفي فيها وكان عمره ٩٣/ عاماً ودفن في سفح جبل ابي قبيس ، بعد ان اوصى الى ولده (شيث) وكان يسمى (هبة الله) . ولد شيث عام ٢٣٠/ من هبوط آدم وتوفي عام ١١٤٢/ وقد عاش ٩١٢/ وقد اوصى لولده (انوش) ولد عام ٤٣٥/ من هبوط آدم وتوفي عام ١٣٨٥/ وقد عاش ٩٥٠/ عاماً بعد ان اوصى لولده (قيثان) . وقيثان ولد عام ٦٢٥/ من هبوط آدم وتوفي عام ١٥٣٥/ وقد عاش ٩١٠/ اعوام بعد ان اوصى لولده (مهليل) . و (مهليل) ولد عام ٧٩٥/ وتوفي عام ١٦٩٠/ من هبوط آدم بعد ان اوصى لولده يارد وقد عاش ٨٩٥ عام . ويارد ولد بعام ٩٦٠ وتوفي عام ١٩٢٢ من هبوط آدم وقد عاش ٩٦٢ ثم اوصى لولده (اخنوخ) . واخنوخ ولد عام ١١٢٢ وقام عام ١٤٨٧ وقد عاش ٣٦٥ بعد ان اوصى لولده (متوشالغ) وكان اسمه ايضاً ادريس وسماه هرمس المثلث وهو اول من خط بالقلم . ولد متوشالغ عام ١٢٨٧ وتوفي عام ٢٢٤٢ وهو عام الطوفان وكانت وفاته قبيل الطوفان بقليل وعاش ٩٥٥ عام وأوصى لولده (ملك) وملك ولد عام ١٤٥٤ من هبوط آدم وتوفي عام ٢٣٤٦ اي بعد الطوفان ب ١٠٤ أعوام وعاش ٨٩١ وهو تم دور آدم وسابع الائمة وقد سلم الامر الى ولده نوح بعد ان قضت الارادة الالهية بتغيير الشريعة القديمة والاستعاضة عنها بشريعة جديدة هي شريعة نوح الناطق الثاني .

الفصل الثاني

(وفيه تأويل قصص نوح وهود وصالح)

قصة نوح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وعلى وصيه علي بن ابي طالب خير الوصيين ، وعلى الائمة الطاهرين من ذريته المتعاقبين من صلبه الى يوم الدين ، وبعد .
وابتعث الله عز وجل نوحاً صلوات الله عليه نبياً مرسلًا بشريعة جديدة ، بعد ان غيرت شريعة آدم صلوات الله عليه وكثر الفساد في ولده ، فدعى نوح عليه السلام الناس الى شريعته وعبادة الله سبحانه وتوحيده بالظاهر ، كما اخبر الله سبحانه عنه بذلك في كتابه بقوله تعالى :

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ قَالِ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ)

فاستجاب من استجاب من المستضعفين منهم ، ودفع قوله المستكبرون منهم ، ومن كان على ظاهر شريعة آدم ، وأجابوه بقولهم :

(مَا نَزَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا)

اي ما جئتنا الا بظاهر ما هو معروف عندنا ، وفي ايدينا مما اقتبسناه عن الماضين قبلك ، وباشرتنا بما باشرونا به ، فأنت بشر مثلنا والبشر في اللغة ظاهر الجلد ، والمباشرة ملامسة البشرة بالبشرة ، فعنوا بذلك الظاهر ، وأرادوا ان ما جاءهم به هو عندهم ، فهو اذاً مثلهم لا فضل له عليهم وقولهم :

(وَمَا نَزَاكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِيءِ الرَّأْيِ)

يعنون في العلم

وقد ذكرنا فيما تقدم ان النطقاء انما يدعون الى الظاهر .

« قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْني وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ
وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا »

يعني علماءهم في الظاهر الذين لم يزد لهم علمهم ومن دعوه اليه الا خسراناً ، والمال في الباطن مثل العلم ، والولد مثل المستجيب ، وولده في الدعوة من استجاب له وقبل عنه ما دعاه اليه من حق وباطل .

« وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبَّارًا » اي عظيمًا « وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ
وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا »

يعني علماءهم الذين اخذوا عنهم ، وقد ذكروا اكابرهم اي اكابر علماءهم ، وقد أضلوا كثيراً من الخلق فدعاهم نوح عليه السلام بالظاهر زمنًا طويلاً . ثم اوصى الله عز وجل اليه بقوله تعالى :

« إِنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ آمَنَ »

يعني الذين صدقوه وآمنوا به من قبل (فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)
يعني من كفرهم به (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا) فأمره عز وجل بإنشاء السفينة ظاهراً وباطناً ، وكذلك أمره عز وجل بإقامة ما أمره به ان يكون ظاهراً وباطناً ، وان يكون الظاهر مثلاً ودليلاً على الباطن ، ويشهد له بحدوده وآياته .

فأقام السفينة مثلاً لاساس دعوته ونصبه ونصّب حدوده لإقامة الباطن بأمر الله عز وجل ليكون نجاة المؤمنين بحياة العلم الروحاني النوراني من غرق الكفر والضلال كما تكون السفينة في الظاهر بمنجاة من الفرق الظاهر ، فأقام اساس دعوته وحدوده ونصب الدعوة للمؤمنين به بالعلم المكنون المخزون واطلمهم عليه واخبرهم بما سيصير من امرهم وامر الكاذبين ، ونصب السفينة وصار يعمل بها وقد قال سبحانه وتعالى :

(وَكَلَّمَا مَرْءً عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ) .

وجعل السفينة الظاهرة دليلاً يستدل المؤمنون به ومثلاً لباطنه .
فمن اجل ذلك فان السفينة في الظاهر تجري على الماء ، وتحمل من ركبها ، كذلك دعوة الحق تجري على العلم ، وتحمل من دخل فيها عليه ، وكما انهم يأخذون من الماء ما ارادوا لظهورهم ، وغداهم بقدر لا يفرطون فيه فيهلكون ، كذلك اهل دعوة الحق فيما يتناولونه من العلم .

وقد قدمنا ان الماء مثل العلم واستشهدنا فيه بظاهر القرآن والعرب الذين نزل القرآن بلغتهم يقولون في الرجل الواسع العلم هو بحر . ومن ركب البحر بلا سفينة غرق فيه وهلك ، كذلك من قصد العلم وطلبه من عند غير اهله هلك فيه .

وأصل السفينة من اربعة انواع بها تنشأ وتقام وهي العود والحديد لانشاءها واقامتها ومثلها مثل الاصلين ^(١) العلويين وقد ذكرناهما ايضاً . هذه الاربعة اصول هي اصل الشريعة وقد ذكرنا نظائرها وامثالها من الشهادة وغيرها . وكذلك السفينة تجري وترسو بسبعة اشياء هي : رجلان تعتمد عليهما ، وعمود هو الصاري في وسطها ، وعارضته في رأسها وهي القزة ، وقلع تدخل الريح فيه فتجري به ، ومرساة تمسكها اذا رست وهو الهوجل ، وحبل تربط به .

وهذه السبعة هي امثال السبعة ^(٢) النطقاء ، والسبعة ^(٣) الائمة بين كل ناطق وناطق ، وكذلك لها اثني عشر لوحاً من الخشب وهم مثل اللواحق ^(٤) الاثني عشر ، اربعة منها اصول نظير الاربعة من الاثني عشر لاحقاً الذين قدمنا ذكرهم . وانهم مثلاً قال الله عز وجل :

(١) الاصلين العلويين « العقل والنفس » او « القلم واللوح » او « السابق والتالي » ومثلها في عالم الدين (الناطق والامام) .

(٢) لقد عددنا السبعة نطقاء في الصفحات السابقة .

(٣) السبعة ائمة هم الذين يكملون الدور ما بين ناطق وآخر . فن آدم الى نوح كان عدد الائمة سبعة ومن نوح الى ابراهيم سبعة وهكذا حتى عهد الناطق محمد .

(٤) اللاحق في التعبير الاسماعيلى هو الداعي المكلف بشؤون جزيرة والجزر لدى الاسماعيلية تقسم الى اثني عشر ، كما ان الايام تقسم الى سبعة ولا حق الجزيرة اقل رتبة من حجة الاقليم وهو تابع له ويتلقى اوامره منه .

(إِنْ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنِي عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ
 اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ^(١))

فامثال هؤلاء الاربعة من السفينة الاربعة عراء المثبتة فيها التي تشد
 اليها حبال العمود وهو الصاري فتثبت له لثلايميل ، والثانية تمام الاثنى
 عشر امثالهم من السفينة الثانية حبال ، وهم حبالا الرجلين في كل رجل
 حبل يمسكها ، وترفع وتنزل به ، وأربعة حبال من رأس الصاري الى
 العراء مثبتة كما ذكرنا ، وحبلان في العارضة التي هي القزة المعارضة في
 رأس الصاري في كل طرف منها حبل تدار به حبال الريح ، وتقدير بها
 فاصلتها ، وهي نظير الشهادة وفصولها وعدد حروفها .

وكذلك كما ذكرنا ان اصل شريعة نوح موافقاً لاصل شريعة محمد
 صلوات الله عليهم الذي هو الشهادة ، وان اختلف ظاهرهما فالمعنى
 يجمعهما كما ذكرنا . ومنه قوله تعالى :

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا)

ولان نوح كان أول من شرع الشريعة ومحمد (ﷺ) آخر من شرعها .
 وهذا الذي ذكرناه من صفة السفينة وهو اصل ما بنيت عليه وما
 زاده الناس بعد ذلك من آلاتها فهو زيادة والاصل ما ذكرناه . فلما

(١) «الحرم» هم الدعاة الاربعة الذين يرافقون الامام ولا يفارقونه وبينهم واحد منهم هو اعلامهم
 ويسمى الباب واذا غاب احدهم حل محله واحد من الاربعة وهم يشكلون مجلس الامام وعندما يفقد
 واحد من الاربعة ينحل محلهم واحد من الاربعة المستجيبين وهكذا الخ . ويطلق على «الحرم»
 الابدال وهم الذين لا تخلو الارض منهم وهم العالمون المتصلون بالاسرار الالهية والذين بدلوا خلقاً
 بعد خلق وقد وصفهم اخوان الصفاء وصفاً دقيقاً فقال عنهم بانهم ارواح صافية متجردة هيولانية
 غير ذات كدورات .

أقام نوح عليه السلام دعوته بالظاهر ، ودعوة اساسه بالباطن لم يستجب له احد ايضاً ، كما قال الله تعالى : « إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَيَأَسَ »
يعني الا من آمن من قبل فدعا ربه :

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَذْهَبْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ، وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَرًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جُنَاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا »

قوله دعوت قومي ليلاً ونهاراً يعني بالظاهر والباطن ، وقوله اعلنت لهم ، يعني فأعلن لنفسه من الدعوة الظاهرة ، واسررت ما اسر في دعوة اساسه من الباطن ، وانهم قد علموا ذلك ، وانهى اليهم بجملة الخبر انه قد نصب دعوة بالسر غير الدعوة التي دعاهم اليها في الظاهر . وقوله : واني كلما دعوتهم لتغفر لهم اي لتدخلهم في السر والباطن ، والغفران في اللغة الستر ، ومنه سمي المغفر لأنه يستر الرأس ، والغفارة لانها ساترة ، والغفور هو الساتر ، يقول دعوتهم بظاهر الدعوة ليستجيبوا اليها فيصيروا الى باطنها . وقوله جعلوا اصابعهم في آذانهم ، اي لم يسمعوا الدعاء ، وحشوا اسماعهم بالكلام المنبوذ . واستغشوا ثيابهم اي اشتروا بظواهرهم ، وما زينوه لانفسهم .

وقد مضى تأويل اني دعوتهم جهاراً ، ثم اني اعلنت لهم واسررت

لهم اسراراً وقوله :

« فَهَلْتُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُزِيلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ

مَذَرَارًا »

فقد اولنا المغفرة ، يقول : اسألوه ان يطلعكم على المستور من الباطن ، يرسل ، يرسل السماء عليكم مدراراً . فقد ذكرنا ان مثل السماء في الباطن الناطق ومثل الماء العلم ، يعني انه متى اطلعكم على العلم الباطني ، در لكم وليكم بالعلم ، ويمدكم باموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم انهاراً ، وقد ذكرنا ان باطن المال والعلم ، والبنون في الباطن المستجيبون ، اي يجعل منكم دعاة يستجيب لهم العباد ، ويجعل لكم جنات يعني دعوة في الباطن والانهار يعني علماء من الباطن . ثم قال جل ذكره :

« حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التُّورُ »

يعني جاء علم التأييد ، وتكلم به الاساس ، وصدر عنه علم التأويل ذي النور :

« قُلْنَا أَهْلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ »

يقول : اجمع على ولاية الاساس ودعوته ، ممن تجمعه فيها على الازدواج ، واقرن الاساس بك ، والامام بالحجة ، والنقباء بالدعاة ، واحملهم على مراتب الحدود العالية على ما جرى من تأثير الحكمة في ازدواج الخلق ، ليكون ذلك من الدلائل على توحيد الباري جل ذكره . وكذلك افعل في ظاهر امر السفينة الظاهرة ، ليكون العمل ظاهراً وباطناً . كما يجري ذلك في حدود الرسل الى حين انقطاع العمل بظهور صاحب القيامة وقد ذكرنا نكتاً من القول فيه ، وسنذكر تمام ما ينبغي

ان نذكره ، من امره في هذا الكتاب على الحد الذي بسطناه فيه ،
اذا صرنا اليه انشاء الله تعالى :
وقال :

« اَرْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ تَجَرَّاهَا »

فقوله بسم الله هما اسمان مثل الاصلين العلويين ، وهما سبعة احرف
مثل حروف (قلم ولوح) ، (محمد وعلي) (أمام وحجة) فبذلك
جرت الدعوة واستقرت عند من استقرت عنده « اِنْ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ »
فقد أولنا الغفور والرحمة من الله ما رحم به عباده وتفضل به عليهم ،
فهو رحيم بذلك ، واعظم رحمته التأييد وتأثيره في باطن العلم ، والرحمة
مشتقة من الرحم ، فنظير ذلك تأثير الحكمة في باطن المؤيد ، كوقوع
النطفة في باطن الرحم ، واعتدائها فيه ، خفيفاً خفيفاً حتى يتم خلقها
ويكمل .

« وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ »

يعني جري للأساس في دعوته بالمستجيبين له في العلوم من حد الى حد
ليوقفهم على حدود المعرفة ومراتبها ، والموج هنا مثل لمن تصور بالعلم
ووسم نفسه به ، من علماء الظاهر ، وهو خال من العلم يتلاشى من يديه
كما يتلاشى الموج الذي اذا اجتمع كان في رأي العين كالجبل ، كذلك المتحلي
بالعلم الظاهر عند اتباعه هو الامام الحقيقي الذي لا يتضعع عن امره
ولا يزول عن رتبته ولا يتلاشى علمه .

فدعوة الحق تجري على رؤوس هؤلاء المتشبهين بالعلماء ، وتخرقهم كما
تخرق السفينة الموج ، وتجري عليه وهم يهلون بباطلهم ، ويخرقون
ويزحفون كما تضطرب الأمواج وتهيج ، والمستجيبون للدعوة في راحة من

تقليدهم، وسلامة من ضلالهم ، كما يكون من في السفينة آمناً من موج البحر
« وَتَأْدَى نُوحٌ أَبْنَاهُ » اي ولده من صلبه « وَكَانَ فِي مَعْزَلٍ عَنْهُ »
اي قد انزل عنه ، وكان يأمل ان يكون الأمر اليه ، فلما أقام نوح
غيره حسده ، وانف من الدخول في أمره وتحت حكمه ، وذلك كما كان
من ابليس مع آدم ، ومن أمر قابيل مع هابيل من ولد آدم ، فدعاه
نوح الى ان يدخل تحت حكم اساسه ، فأبى ذلك وقال :

« سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ »

اي ألوذ بأحد علماء الظاهر ، فأخذ عنه ، واعتصم به من حجة
أساسك الذي طغى ^(١) عليّ بعلمه .

« وَقَالَ لِأَعَاصِمِ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ »

اي ان هؤلاء الذين ذكرتهم ليسوا بعاصميك ، وانما يعصمك من رحمه
الله . وقد بينا معنى الرحمة يعني اهل التأييد فأخذته الشفقة عليه ،
وسأل الله ان يهديه .

قَالَ رَبِّي إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ
الْحَاكِمِينَ »

اي أنك قد وعدتني ان تحمّل أهلي معي في السفينة اي في دعوة
الحق وسفينة النجاة ، قال عز وجل :

« إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ »

يعني انه لما فعل ذلك ، وأصرّ عليه فقد انقطع نسبه منك ، ونسب الى
من أجاب لدعوته ، وعسك به ، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم ولخصناه

(١) سقطت في نسخة (هـ) الذي طغى .

وبينا معنا .

« وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُفْرَقِينَ »

يعني بالموج علماء الضلال (١) وقد شرحنا حالهم ففرق معهم ظاهراً وباطناً في الشكوك والشبهات والهلاك .

« وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ، وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي »

فالارض ههنا مثل للاساس الذي اقامه نوح لدعوته الباطنة وامره ان يستر ما صار اليه من العلم الباطني وصيانتته عن غير اهله والاستيلاء عليه وجمعه عنده . والسماء مثل للناطق كما قدمنا وهو ههنا نوح عليه السلام ، امر لما أقام اساسه لتأدية الباطن ان يقلع هو عنه ويسلمه الى من اقامه له ويقبل هو على الظاهر الذي اقيم له : « وَغِيضَ الْمَاءُ » اي غامض العلم الباطني في الحجة الذي هو اساس الشريعة ، ومثله مثل الارض التي يفيض الماء فيها ، فيستتر عن الابصار ، وكذلك صار العلم المكنون المصون في مستقره ومكانه ، وغاض فيه

« وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ »

يعني الدعوة انتهت الى المستجيبين .

ومعنى ذلك ان المفاتيح بالدعوة والعلم الباطني جرت من قبل الناطق الى الاساس ، ولم تستقر فيه بل جرت منه ايضاً الى الائماء وهم الائمة ، وكذلك لم تستقر فيهم ، وجرت الى الحجاج ولم تستقر عندهم ، بل جرت ايضاً الى النقباء ، الذين هم لواحقهم ، ثم جرت الى الاجنحة الذين هم الدعاة ، ثم جرت الى المستجيبين فاستقرت لديهم ولم تخرج عنهم ، واستوت

(١) في نسخة (هـ) جاءت « الاضلال »

واستقرت عليهم .

« وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ »

اي انهم ابعادوا عنها ولم يكن لهم حظ فيها .
ولما قال الله عز وجل لنوح جواباً عما استخبره من وعده في خلاص
ابنه ، وانه وعده بخلاص اهله وقيل له :

« إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا
لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ »

علم نوح عليه السلام انه اخطأ في سؤاله هذا واحتجاجه بما سبق له
من الوعد فاستعاذ بالله واسترحمه بقوله :

« رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَلَّا
تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ »

« قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ ، وَعَلَى
أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ، وَأُمَمٌ سَنَسِتْنَهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ »
ولم يرد بالهبوط ههنا هبوط نقص كونه سبحانه وتعالى قرنه بالسلام
والبركات وذلك خلاف ما قال لآدم وابليس .

« اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ »

اي اهبطوا من الجنة ، ولكنه عنى سبحانه ان اهبط الى ما دونك
بسلام منّا ، اي بتأييد منا ، وايدهم من قبلك بتأييد الحكمة التي آتيناك
بها ، وبلغ الرسالة التي ارسلناك بها ، وخص سبحانه وتعالى نوحاً عليه
السلام والبركات ، وامم ممن معه يعني من المعتصمين بحبل الله عز

وجل ، وهم الأسس والائمة والحجج والنقباء والاجنحة والمستجيبين
المخلصين ، قد خصهم الله عز وجل بالسلام والبركات .

« وَأَمُّهُمْ سَمِعَتْهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنْهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ »

يعني الداخلين في ظاهر الدعوة غير المعتصمين بباطنها اي سيتمتعهم
بظاهرم في عاجلهم ، بما يحقن به دماؤهم ، ويصون به اموالهم ، الا
بحقها ، ويدفع عنهم من صفار الجزية ومذلتها ، ثم يمسهم في آجلهم
عذاب أليم ، لتخلفهم عن حقائق الايمان ، ونقضهم العهد والميثاق ،
وايمانهم بالغيب . وإقامة الظاهر دون الباطن ، وعدمهم التأييد بالحكمة ،
والعلم المكنون الروحاني المصون .

وقوله عز وجل :

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا
خَمْسِينَ عَامًا »

عنى سبحانه مدة دوره ، ولبث شريعته ، لان شريعته مها لبثت
فانها منسوبة له معمول بها ، مدعو اليها ، فهو لا يقر بالتسمية فيها ،
بل يدعى اليها باسمه وتقام حدودها وفروضها واحكامها بسنته وحكمته ،
فاما لبثه ببدنه وشخصه وهيكله فلم يكن الا مدة عمره الطبيعي مائة
 وخمسة وعشرون سنة ، ولم يجعل الله سبحانه لأبدان البشر وطبائهم
التي (١) اقامهم بها ان تبقى طول هذه المدة بل جعل لها نهاية
دون هذه النهاية ، لا تكاد تتجاوزها ، ولا تتعدها . لانها تخرب
وتعطب ، وانما جعل الله عز وجل البقاء التام للارواح في دار الآخرة ،

(١) سقطت في نسخة (هـ) (اقامهم بها)

بعد فراق هذه الدار ، وفراق الاجسام المرتبطة فيها في دار الدنيا .
ومما جرى من امر قوم نوح ، ومن تابعهم عليه من الأمم من بعده ، ومن
بعدهم ، وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه عنهم ان
السابقين الى دعوته كانوا من المستضعفين فيهم واهل الغباوة منهم
اكبرهم ^(١) وذلك قولهم .

« مَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ »
وقوله :

« وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي لَنَ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا »

يعني ان الله سبحانه قد آتاهم ذلك ، وعلى ذلك مضت الامم من
بعدهم بقولهم لأنبيائهم عندما يبتدئونهم بالدعوة الى الظاهر وكذلك
جرت سنة الله في الامم ان يقولوا لأنبيائهم كما قال نوح عليه السلام .

« مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ

شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ »

وقد ذكرنا تأويل البشر والمباشرة في الظاهر وقولهم :

« لَا أَنْزَلَ مَلَائِكَةً »

يعنون من يأتي بالعلم الباطن الروحاني اذ كانوا من الروحانيين ، وقولهم

« مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ »

يعنون بأبائهم الذين أخذوا عنهم ما أخذوا ، مما ذهبوا اليه من
الباطل ؛ وقد ذكرنا كيف تكون الابوة ، ويقولون في ذلك ان الذي
كما نعرفه ان الرسل يكون معهم الظاهر ، ويقومون بالباطن باسسهم ،

(١) في نسخة (س) وردت « اكبرهم »

وهم الذين عنوا بالملائكة ، وهذا كان قبل ان يقيم نوح أساسه لتأديبة
الباطن ، فلما اقامه لجوا ^(١) في كفرهم كما لج ابوم ابليس . قال الله
عز وجل :

« فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ،
بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ »
يكفرهم بالاول والثاني ، وجرى ذلك في الامم من بعدهم كما قال الله
سبحانه وتعالى في ذلك من امرهم وهو اصدق القائلين :

« تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ »
فكل أمة تقول مثل ذلك في رسولها كما حكاها الله عز وجل عنهم :
« مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُ مِمَّا
تَشْرَبُونَ »

يعني ما عندهم من الظاهر ، لما لم يفتح لهم غيره ، وكقولهم .

« أَنْوُمِنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَذْدُلُونَ »

فقول قوم نوح قد حكته سائر الامم المكذبين المنكرين الجاحدين
بآيات ربهم الملحين في اسمائه ، ثم امر الله سبحانه نوحاً عليه السلام
بجمده وشكره ، وسئل الثبات على ما وهب له ، فقال الله تعالى :

« فَإِذَا اسْتَوَيْتَ ^(١) وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

(١) في نسخة (هـ) جاءت (تولجوا)

(٢) في نسخة (هـ) جاءت (استويت)

نَجَانًا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .»

أمره بذلك ظاهراً وباطناً اذا استوى على السفينة الظاهرة ونجا فيها من ركبها وهلك من تخلف عنها . وكذلك قوله في الباطن اذا استوت دعوتك الباطنية ، واستقام امرها ، وجرت على حدودها ، وكملت واستقامت فقل الحمد لله اي احمد المنعم عليك بذلك واشكره على ما وهب لك من فضل ما بين التقليد والبيان ، وذلك ان دعاء الرسول الناطق الى الظاهر دعاء تقليد ، يأمر الناس به فيجيبونه مقلدين له بذلك ، فاذا امتحنوا به وأجابوا كانوا مؤمنين ، ونصّب لهم دعوة الباطن بالبيان ، واقام لذلك اساسه ، وقوله سبحانه وتعالى :

«وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزِلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ»

اي اجعل نزولي ومستقري بما أوليتني من نعمتك ، نزول بركة وهو التأييد ، وهو محله يومئذ ، ثم امر نوح ان يسأله ابقائه على منزلته منه كما امر جميع المؤمنين ان يسألوه الهداية الى الصراط المستقيم ، وهو إمام الزمان وقد هدوا اليه ولكن امرهم ان يسألوه الثبات على الهداية لان الهداية التامة تكون بالثبات عليها ، فأما من هدي ثم ضل فهو من الذين ضلوا وذلك قوله :

(أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)

وأمر نوح بالدعاء بما وصفناه ، والمؤمنين بما ذكرناه، ليكونوا على حد الخوف والوجل من الزلل مستشعرين لذلك غير آمنين به ، لان من أمن بذلك تهاون به فوقع فيه فلذلك أمروا ان يسألوا ذلك في كل ركعة من

صلواتهم في الليل والنهار لئلا يغفلوا او يعرضوا عنه فينسوه ، وما اتبعت الامم قول قوم نوح عليه السلام مما حكاه الله عز وجل :

(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ)

يعني كما كذبت محمد (ﷺ) قومه وقالوا انه مجنون ، وزجروه اقتداءً منهم بالمكذبين قبلهم ، وكذلك وصف الله عز وجل غيرهم من الامم ، وقد ذكرنا تطابق الامم على مثل هذا ، ومنه قول رسول الله (ﷺ) « لتسلكن سبل الامم قبلكم حذرو النعل النعل بالنعل والقعدة بالقعدة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه .

وقد ذكرناه في كتاب « دعائم الاسلام » وفي حديث آخر : « لتركبن سبل من كان قبلكم ذراعاً بذراع ، وباعاً بباع ، حق لو سلكوا خشرم دبر لسلكتموه ، فالضب دويبة تأوي الى الاحجار ، وتصيدها الاعراب ، وتأكلها وهي معروفة ، والخشرم مأوى الزنابير ، وهي ثقب من طين تبنيها ، وتأوي اليها ، وتفرخ فيها ، والدبر جماعتهم وهي اضداد (١) النحل التي يكون منها العسل ، وتبني بيوتها بالشمع وتنتفع فيها الزنابير ، وبالعكس لا نفع فيها تبني بيوتها ، ولا خير فيها ولا نفع عندها ، وهي مثل لأهل الضلالة المتشبهين بأهل الحق ، الذين امثالهم امثال النحل ، وحجر الضب ، وهو مثل حجر اليربوع ، المضروب مثل النفاق فيه ، وقيل ان النفاق مشتق من النافقاء ، لأن اليربوع حجر يقال له النافقاء ان اخذ عليه باب حجره ، خرج من الباب الآخر ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله اتباع هذه الامة الامم قبلها على الضلال والنفاق لانهم يدخلون احجرة الضباب او ثقب

(١) في نسخة (هـ) جاءت (النمل)

الزنابير .

ولا يجوز ان يمثل رسول الله (ﷺ) مثلاً على ما لا يكون ، قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام .

(فَفَتَحْنَا لَهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ، وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَمَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ)

باطنه انفتاح ابواب الناطق ، اي الذين اقامهم للظاهر بعلم الظاهر وقوله :

(وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا)

اي تفجير العلم من حدود الباطن يعني التقاء الاثنى عشر الذين نصبهم اساسه لعلم الباطن في كل جزيرة نقيب لاحق به ، ومثل ذلك قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام .

(أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ)
وقوله تعالى :

(فَالْتَمَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ)

اي علم الظاهر والباطن كل واحد منهما مقدّر على الامر الذي جعل له لا يتعداه الى غيره ، فالتقليدي للرسول ، والبيان للاساس وكذلك يصير بعد الرسول التقليدي للامام ، والبيان للحجة ، على ما قدمنا ذكره من تقدير الله عز وجل وذلك على ما قدره ورتبه وجرب به حكمته في عباده .

(وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُثْرٍ)

يعني السفينة .

وقد ذكرنا تأويل الالواح وانها اثني عشر لوحاً ، وتجمع السفينة اياها وهي مثلٌ على النقباء الاثني عشر ، والاساس يجمعهم ، والدثر المسامير التي تشد بها ، وهي الفوائد الملكوثة العالية التي تتصل بهم ، وقد قدمنا ان الحديد فيها في جملته مثله مثل احد الاصلين العلويين ، وفوائد الملوكوت من قبله تجري على ما قدمنا ذكره من جريها على الحدود العلوية والسفلية ، وقوله سبحانه وتعالى :

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ثُمَّ قَفَّيْنَا ^(١) عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ)

معنى ذلك ان الصفوة من آدم عليه السلام تنقلت من واحد بعد واحد في ذريته حتى استقرت في نوح ، ثم صارت بعده في ذريته ، فنقلته كذلك حتى صارت الى ابراهيم ، ثم صارت بعده في ذريته ، وانتقلت كذلك الى الرسول من بعدهم ، ويعني بالذرية ههنا الذرية المستخلصة المنجبة من صلب نوح وابراهيم عليهما السلام الذين هم الانبياء المرسلين والائمة واسماهم منهم ومن غيرهم من الذرية بمولد الدعوة كما قدمنا ذكرها في تأويل الدين والنبوة والتأييد .

والكتاب ههنا العلم المثبت عند الائمة سماه كتاباً لما كان مثبتاً في الكتاب ، والكتاب في الباطن هو الامام على ما قدمنا القول في تسمية الشيء باسم ما صحبه ولائه . فالتأييد العلم في الذرية المستخلصة من صلب نوح وابراهيم ومن اقاموه لاسبابهم من ذريتهما الباطنية التي هي

(١) في نسخة (هـ) جاءت (قضيئنا)

ذرية الدين وكثير من هذه الذرية وذرية الصلب غير مخلصين منهم فاسقون ، وقد بينا انهم ينقطعون من النسل والنسب بسبب الكفر والفسوق والضلالة اذا اصرروا عليه غير نادمين ، ولا تائبين منه ، ومن تاب منهم بقي على ما كان عليه ، والصفوة من الذرية للصلب مبرأة من الدنس ، سليمة من اللبس طاهرة مطهرة ، ومحمد (ﷺ) والائمة من ذريته من ولد علي وفاطمة صلوات الله عليهم في جملة من ذكر من ذرية نوح و ابراهيم قد جعل الله عز وجل فيهم التأييد والعلم ومن شاركهم في ولادة الصلب من ولد الدعوة من غير اهل الصفوة منهم مطيع وعاصي كما يكون في سائر الخلق وولد علي وفاطمة من ذرية رسول الله (ﷺ) من قبل فاطمة كما كان عيسى من ذرية ابراهيم من قبل امه مريم وقال الله تعالى :

(وَبَلَدِكَ حِجَّتَنَا اٰتَيْنَاهَا اِبْرٰهِيْمَ عَلٰى قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجٰتٍ مِّنْ نَّشَاەءِ
 اِنَّ رَبَّكَ لَحَكِيْمٌ عَلِيْمٌ ، وَوَهَبْنَا اِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ كُلًّا هَدِيْنًا وَنُوْحًا
 هَدِيْنًا مِّنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمٰنَ وَاَيُّوْبَ وَيُوْسُفَ وَمُوْسٰى
 وَهٰرُوْنَ وَكَذٰلِكَ نُبْجِزِي الْمُحْسِنِيْنَ ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيٰى وَعِيسٰى وَيَعْقُوْبَ
 وَاٰلِيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصّٰلِحِيْنَ)

فأثبت سبحانه وتعالى عيسى من الذرية من قبل امه بما لا يدفعه من دفع ان تكون الذرية الا من الصلب خاصة ، فنسب الذرية الى نوح و ابراهيم وكان من بعدهما موسى وعيسى ولم تجر الامامة في ذريتهما من قبل ولادة الصلب ^(١) لانه لا عقب لهما ، فرجعت من عقب ابراهيم

(١) في نسخة (هـ) جاءت (الصليب)

وقال نوح عليه السلام

(رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا)

يقول لا تجعل لمن كفر بك نصيباً من الحقيقة

(إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يَضْلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)

يقول انك ان جعلت ذلك لهم اعدوه لتضليل عبادك عن الحقيقة ،
ولا يتولد من دعوتهم الا من هو في مثل حالهم .

(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلَا تَرِدِ الظَّالِمِينَ)

(إِلَّا تَبَارًا)

وقد ذكرنا تأويل المغفرة فيما تقدم والوالدان يعني الذين توليا دعوته
وتربيته .

(وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا)

يعني من كان منهم من قبله ومن يكون منهم من بعده عنهم بالدعاء

(وَلَا تَرِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا)

التبار الهلاك ، والظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه يعني الذين
وضعوا الامامة في غير موضعها ، وكان من دور نوح عليه السلام من
انذر بشريعته ودعا بدعوته هود وصالح عليهما السلام .

هود عليه السلام

أما هود عليه السلام ، فقد دعا قومه كما حكاه الله عز وجل بقوله :

(وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودٌ)

فنسبه الى اخوتهم من جهة الولادة لانه كان منهم في ظاهر الامر وبباطنه ، فأما ظاهره فانه كان من عشيرتهم يجمعه واياهم اب واحد ، وكان كذلك اخاهم في الولادة الظاهرة ، واما الباطن فانه واياهم من امة نوح عليه السلام ، وأهل دعوته فهو ابوهم (اي نوح) في الباطن كما قال الله عز وجل

(مِلَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ)

فمن آمن منهم ، اتصل به ، ومن كفر انقطع عنه ، وخرج عن نسبه ، فنسبه الله بالاخوة الى من آمن منهم كما قال سبحانه وتعالى

(أَنَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)

وقال :

(وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ

أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّمِيمِ)

وقوله فيهم :

(فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلًا أُوذِيَتْهُمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ

مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ
شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا سَاكِنْتَهُمْ كَذَلِكَ نُنْجِزِي
الْقَوْمَ الْمَجْرِمِينَ)

فباطن الريح العقيم العلم العلوي الذي يأتي بمادة الله لاوليائه بالحجج
الدائمة ^(١) لاعدائه في حين استطالتهم بحجة الباطل على اهل الحق ،
وليس من العلم الذي يربون به ، وتكون ولادة المؤمنين بسببه ، ولكنه
قرع ودفع للكافرين ، وذلك أنهم حاجوا هوداً وناظروه ، فاحتجوا عليه من
جهة الظاهر ، فأدلو بحججهم منه وهولوا عليه ، فرمز لهم بحجة العلم
المكنون ، وتواعدهم بظهوره .

« قَالُوا يَا نِعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ »

وقال :

إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ ، وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ، وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ
قَوْمًا تَجْهَلُونَ .

يقول انه علم ما رمز به اليكم هو عند الله لا يظهره إلا في حدوده ،
وقد ابلغتكم من العلم ما ارسلت به ولكنكم قوم تجهلون حدود العلم
والمعرفة ، فأتاه التأييد من الله عز وجل بقمعهم ، وكسر باطلهم ،
وهتك شكوهم فلما فاتهم بشيء من ذلك توهموا انه يريد ان يفيدهم
من علمه ، وقوله تعالى :

« فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلًا أُوذِيَتْهُمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا »

(١) في نسخة (هـ) جاءت (الدافقة)

وقد ذكرنا ان مثل الماء العلم ، والمطر كذلك رزقاً بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر بأمر ربها ، يقول هو الذي قلتم عنه :

« فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ »

فهو لكم عذاب ، وليس بعلم تستفيدونه ، وذلك عندما دنا هلاكهم ، وغضب الله عز وجل عليهم ، فأرسل عليهم الريح الظاهرة لهلاك أجسامهم ، ولكي لا يفارقوا الدنيا ، وهم عند انفسهم على حجة صحيحة مما كانوا عليه من الضلالة ، اذ لم يجيبوا الى ظاهر الدعوة كما يجب على من دعي اليها ، ويتبعوا صاحب الظاهر متى يدخلوا بعد ذلك في حكم حجة صاحب الباطن على نحو ما قدمنا ذكره في ذلك ، فأتاهم عذاب الله ظاهراً وباطناً فدمرهم كما قال تعالى :

« فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نُجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ » .

صالح عليه السلام

وكان من دور نوح عليه السلام ، ومن انذر بشريعته ، ودعا بدعوته ، وقد دعا قومه ثمود كما حكاها الله عز وجل بقوله :

« وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ » .

فاخوته لهم بحسب ما ذكرنا في قصة هود عليه السلام من نسب الولادة لأنه كان منهم في الظاهر والباطن ، وقوله وقول هود ونوح عليهم السلام وكل من يدع قومه من الانبياء الى عبادة الله عز وجل ، بقوله يا قوم اعبدوا الله هي الدعوة الى عبادة الله عز وجل بتوحيده ، ولن ينال توحيده جل ذكره إلا من جهة الباطن ، لأن من طلب معرفة الله عز وجل بلا تأويل لا يخلو من أحد وجهين ، اما ان يصير الى التشبيه او يخرج الى التعطيل ^(١) اذا نفاه من التشبيه بريية ومبلغ علمه بلا دليل . وان أخذ ذلك من جهة نظره او كتاب يقع عليه او استراق من لم يؤذن له في البلاغ ، لم يقبل الله عز وجل ذلك منه وقد قال جل ثناؤه :

« وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ » .

وكل من وحد الله جل ذكره من غير جهة التأويل المأخوذ عن الدليل ^(٢) ، فقد الحد فيه سبحانه ، لان الانسان مخلوق بظاهره وبباطنه وعقله الذي سلامته فيه ، يثاب اذا اطاع ، ويعاقب اذا عصى فليس ينفك من الحدث في جميع ذلك ، ومن كان محدثا بهذه الاوصاف فلا تقع اشارته الى محدث يساويه في الحدث ، فان قال واحد قالوا هو يدخل تحت العدد والمعدودات ، وان قال شيء فالشيء شيئا والشيء محدث ، وانه قال ليس كمثل شيء فقد حدّه لانه قد جعل له مثيلا فان

(١) وردت في نسخة (هـ) « التعظيم » . (٢) وردت في نسخة (س) « الدلائل » .

احتج باللغة وقال ان العرب تقول ليس مثل فلان يفعل كذا ، كذا يعنون بذلك فلاناً هذا لا يريدون مثله وهذا ابلغ احتجاج في هذا الباب قيل لهم فلان مخلوق ، وكذلك من يقول هذا تعالى منه خلق ولهم اشباه وأمثال واذا قلت ذلك في باري البرايا فقد جعلتم له كذلك شبيهاً ومثيلاً وان قال شيئاً جعله محدثاً . وان قال لا شيء صار الى التعطيل .

ولكن من جهة اسمائه عز وجل ، فان اسماء حدوده التي هي دونه وليس الاسم واقع عليه كما تقع الأسماء على المسميات ، لان الاسماء لا تقع إلا على الصفات المدركات ولهذا الكلام موضع يثبت فيه بتمامه لطوله ، ولا ينبغي ان يوضع في حـد من حدود المعرفة ، واذا صرنا اليه بسطناه فيه انشاء الله تعالى .

وقول صالح لقومه .

«وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ»

فقد ضرب الناقة مثلاً للحجة ، كبقرة بني اسرائيل ، وسيأتي ذكرها في موضعه انشاء الله تعالى .

وليس عند اليهود فيما يدعون في ثوراتهم ولا عند النصارى فيما يدعون في انجيلهم للناقة خبر ، ولا يعرفون شأنها فيما ذكر في قصة صالح في ظاهر ولا باطن . وذكر الابل أمثال الائمة ، وإنائها أمثال الحجج وكذلك البقر .

والعرب الذي نزل القرآن بلغتهم يسمون الرجل الشريف قرماً وهو الفحل ^(١) من الابل . ف ضرب الله عز وجل لهم الامثال من حيث

(١) وردت في نسخة (هـ) (التحل)

يعقلون . ويعرفون . وقوله .

« فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ »

عنى به ان يتركوها ، وما وهب الله لها من حظها الذي مثله بالارض التي يأكل منها الحيوان .

« وَلَا تَمْسُوْهَا بِسُوءٍ »

يقول لا تنكروا عليها ، ولا تغيروا أفعالها ، وذلك لما نصبها لحمل الباطن وبسط الدعوة ، فيأخذكم عذاب قريب اذا فعلتم ذلك .

« وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ »

يقول ذلك لمن اتبع هود ، وصاروا خلفاء من بعده في كتبه وبيانه

« وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ »

انزلكم على تأويل الاساس

« فَيَخِذُونْ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا »

يعني ما اعطوه من حد البيان والمفاتحة اي تقيمون اجنحة للدعوة

« وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا »

يعني تَنْشِثُونَ من حد التأييد لواحقاً ، فهذه البيوت مأوى المسترشدين الذين بدأ نشأهم من كلام كثيف جسدي مركب كالبيوت الظاهرة للابدان الكثيفة .

« فَأَذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ »

فإلا قد مر ذكرها ، وانما خاطب بذلك قوماً كانوا من أهل ولاية هود ، وبقايا ذريته من اتبعه من غير ما كان عليه فأثامهم صالح ليقم أمرهم ويرشدهم ويصلح حالهم .

« وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ »

يقول لا تتعرضوا حد التأويل بالتبديل والتغيير .

« فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ، وَقَالُوا يَا صَالِحُ إِنَّا

بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ »

فعقرهم الناقة دفعهم الحجة عن مقامه ، والتغلب عليه في ظاهر أمره وفي وجه آخر انهم قتلوه ، ومن ذلك شبه رسول الله (ﷺ) علي بعقر الناقة حيث قال : اشقى الاولين عاقر الناقة واشقى الآخرين قاتلك يا علي .

وجاء في الاخبار انهم عقروا فصيلها ، وهو ولده الذي كان قد اهل مقامه من بعده ، كما قتلت هذه الامة علي والحسين صلوات الله عليهم ، وقد قال رسول الله (ﷺ) « لتسلكن سبل الامم قبلكم حذوا النعل بالنعل ، والقذة بالقذة ، ولو دخلوا حجر ضب لدخلتموه » فقتلهم من قتلوه من الائمة عقر ، ومنعهم من منعوه وتغلبهم على ظاهره عقر له ايضاً ، وقوله :

قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ .

قيل في التفسيرات ان الناقة تشرب ماءهم يوماً ، ولا يشربون هم شيئاً . الا انهم يأتون اليها ، فتدر لهم فيحلبونها ويشربون في ذلك اليوم لبنها ، بدلاً من الماء ، ويشربون هم من الماء يوماً ، وهذا تفسير القاه احد رجال

التأويل ، فأخذت العامة بظاهره .

وقد ذكرنا ان مثل الماء العلم ومثل اللبن العلم الباطن لأنه يخرج من
ضرع يكون كامناً فيه ، وهو من علم الباطن رمزاً وإشارة ، وذلك
اول حدود الباطن للمستجيبين ، كما يكون الرضاع اول غذاء
للولدان .

وقد ذكرنا ان الناطق يقوم بظاهر علم الشريعة ، والحجة يقوم
بباطنه ، فأراد بذلك ان باطن الماء قسمة بين الناطق والصامت ، وهو
العلم بالجملة واستفادة الصامت باطن العلم من الناطق . فأخبر ان علم
الناطق قد قسم بين حجته وعامة اهل دعوته ، فهو يفيد اهل دعوته
بظاهره ، ويفيد حجته بباطنه ، وحجته يفيد اللواحق ، واللواحق
يفيدون الاجنحة ، والاجنحة يفيدون المؤمنين .

فصار علم الناطق قسمين على ما ذكرنا ، واللبن لا يكون الا للانثى
وامثالهن الحجاج ، ولا يكون للذكوران وامثالهم النطقاء . وقوله تعالى:

« فَتَأَدُّوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ »

يعني عدو صاحب الزمان ، وانهم اجتمعوا عليه وتواطئوا معه على
الوثوب على حجة صالح ففي بعض القول انه قتله ، وفي بعضه انه أزاله
عن حده ، وتغلب على مكانه ، في ظاهر الامر ، ومن تغلب على ظاهر
امر من ولي الامر ، فهو في الظاهر عند من لا يعرفه ، كالميت وعند
اهل المعرفة به حي ، لأن التغلب على امر اولياء الله انما يكون بتغلب
المتغلبين عليهم على ظاهر امر الدنيا وذلك ما لا وزن له عندهم .

فاما امر الله جل ذكره وما جعله الله لهم فهو بأيديهم ، لا يقتصب ولا
يسلب . ولكنهم انما يسعون في إزالة من تغلب على ظاهر امرهم ليقوموا

امامة المبطلين ، من دين الله ، ويحيون عباده بحكته ، ولولا ذلك لم يلتفتوا الى شيء مما تغلب عليه المتغلبون . وقوله :

« وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ »
« فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ »

وهي مسائل صاحب الزمان ، وحججه التأييدية ، وقد ذكرنا ذلك في قصة هود بشرحه .

« فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَتَّصِرِينَ »

يعني من قيام بحجة الباطل ، وما كانوا منتصرين على صاحب زمانهم الذي دفعهم بحججه التأييدية قبل ان يهلكوا الهلاك الادنى بفارقة الدنيا ، ثم يهلكوا الهلاك الاكبر ، وذلك قوله تعالى :

« إِنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ »

وقوله تعالى :

« وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ » .

فباطن المدينة حدث حرم الباطن ، ورهط الحرم تسعة اصناف فكان بإزاء كل صنف منهم رهط من اضدادهم يفسدون حدود الدعوة ، فأول صنف من رهط الحرم النطقاء ^(١) والثاني الاسس ^(٢) والثالث الائمة ^(٣) والرابع الحجيج ^(٤) والخامس النقباء ^(٥) والسادس الايادي ^(٦) والسابع

(٣) مفردها (امام)

(٢) مفردها (اساس)

(١) مفردها (ناطق)

(٦) مفردها (اليد)

(٥) مفردها (نقيب)

(٤) مفردها (حجة)

الاجنحة ^(١) والثامن المأذنون ^(٢) والتاسع المستجيبيون ^(٣) فبإزاء كل قوم من هؤلاء ضد لهم من اعدائهم كما قال الله تعالى :

« وَجَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا . مِنَ الْمُجْرِمِينَ » .

لقد اثبتنا على ما رأينا انه يدخل في هذا الحد الذي بسطناه في قصة نوح عليه السلام ، ومن كان في دوره من النطقاء والائمة من ذكرهم الله في كتابه واخبرنا عن نوح عليه السلام انه اول اولي العزم من الرسل على نسخ شريعة من كان قبله واحياء شريعته . وذكرنا بعض ما سنته امته في دفعه ، وسلكت سبيلها الامم من بعده ، ليكون ذلك علماً عند من سمعه وتحذيراً لمن وقف لفهمه ، فاسلكوا معشر المؤمنين سبيل من تقدمكم من الصالحين ولا تقتدوا بافعال المكذبين وعليكم بطاعة أئمتكم وشهداء الله عليكم واعرفوا كيف جرت الامامة فيمن كان قبلكم قرناً فقرت وجيلاً فجيل .

أقام الله تعالى في كل امة رسولاً للقيام بظاهر شريعته وأساساً لباطن دعوتها وائمة تترى بين كل رسول ورسول لئلا يكون كما قال الله عز وجل .

« لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ فَيَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ . »

واعلموا ان السنة جارية في الامامة الى قيام قائم يوم القيامة فتح الله لكم من الخيرات واعمكم بنزول البركات وجعلكم ممن يشكر فضل ما

(١) مفردھا (جناح) (٢) مفردھا (مأذون) (٣) مفردھا (مستجيب)

هذوه رتب الدعوة الباطنية في زمن الشاطق .

يؤتى اليه ليستوجب بوعده السابق المزيّد منه وصلى الله على محمد النبي
وعلى آله الطاهرين وسلم ^(١) .

(١) ولد الناطق نوح عام ١٦٤٢ من ولادة الناطق آدم وصار الطوفان عندما بلغ نوح من العمر ٦٠٠ عام ، وتوفي عام ٣٥٠ بعد الطوفان وقد عاش ٩٥٠ عاماً وقبره في جبل الجودي من اعمال الموصل . كان بدء الطوفان في العاشر من شهر رجب عام ٢٢٤٢ بعد ولادة آدم وقد دام ستة أشهر وانتهى في العاشر من محرم عام ٢٢٤٣ وقد ركب معه في السفينة سبعون رجلاً وان ولده الذي تخلف عنه يدعى (يام) ، أما اولاده سام وحام وياث فقد ولدوا قبل الطوفان وكانوا من جملة السبعين رجلاً الذين ركبوا معه في السفينة ، ونوح كما هو معلوم كان قد أوصى لولده سام بالخلافة وهو اساسه في حياته .

ولد سام بن نوح عام ٢١٤٢ من ولادة آدم اي قبل الطوفان بمائة عام وتوفي عام ٥٠٠ بعد الطوفان وقد عاش ٦٠٠ عام ووصيه ولده ارفكشاد ولد ارفكشاد بن سام عام ٢ بعد الطوفان وتوفي عام ٤٦٧ بعد الطوفان وقد عاش ٤٦٥ عاماً وأوصى لولده شالخ بالخلافة شالخ هو بن قينان بن ارفكشاد وقد سقط اسم والده من شجرة النسب لانه كان يتعاطى السحر لذلك حرم من مركز الامامه . ولد عام ٢٧٦ وتوفي عام ٥٦٧ من الطوفان وعاش ٤٦٠ عاماً وأوصى لولده (عابر) .

وعابر ولد عام ٤٦٦ وتوفي عام ٨٣٠ من الطوفان وقد عاش ٣٦٤ عام وأوصى لولده (فالج) اما فالج فقد ولد ٥٤٠ وتوفي عام ٨٧٩ من الطوفان وعاش ٣٣٩ وأوصى لولده (رعوا) ، لقب فالج (بني القرنين) ايضاً وهو المذكور بالقرآن الكريم (رعوا) ولد عام ٦٧٠ وتوفي عام ١٠٠٩ من الطوفان وقد عاش ٣٣٩ كما عاش والده تماماً وكان حججه (صالح) عليه السلام وقد أوصى لولده (سروج) ولد سروج عام ٨٠٢ وتوفي عام ١١٣٢ من الطوفان وقد عاش ٣٣٠ عاماً واسمه ايضاً سرور وساروغ وقد أوصى لولده (نامور) ولد عام ٩٣٢ وتوفي عام ١١٤٠ بعد الطوفان وقد عاش ٢٠٥ أعوام وسلم الامر لولده (تارج) ولد عام ١٠١١ وتوفي عام ١٣١٦ بعد الطوفان وهو الامام المقيم للناطق الثالث ابراهيم الخليل وقد عاش تارج ٣١٥ عاماً اما هود فهو ابن عبدالله بن رجاح بن الخلود بن عباد بن عوض بن ارم بن سام بن نوح وكان حجة للامام عابر وكان يقيم في حضرموت يدعو قومه لشرية نوح وبعد ان اهلك الله قومه عاد الى مكة ودفن فيها .

أما صالح فهو ابن عبيد بن آسف بن ماشج بن عبيد بن خاذر بن تمود بن عاثر بن ارم بن سارم وكان حجة للامام رعوا وكان يهدي قومه (ثمود) الذين كانوا يقيمون بالحجر وبعد هلاكهم هاجر الى مكة وتوفي فيها وعمره ٥٨ عاماً .

الفصل الثالث

(وفيه تأويل قصص ابراهيم ، واسماعيل
واسحق ويعقوب ويوسف وأيوب)

قصة ابراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد الرسول الامين ، وعلى
وصيه علي بن ابي طالب ، وعلى الائمة من ذريتها الى يوم الدين ، وبعد .
لما انقضى دور نوح عليه السلام ، وكمل عدد أئمتـه ، ابتعث الله
سبحانه وتعالى ابراهيم عليه السلام نبيا . وأرسله واختصه بالخلة

(وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا)

وذلك لانه وقى بما لم يعرف به آدم ونوح عليهما السلام ، ووصفه الله
بذلك فقال تعالى :

(وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى)

وهذا الوفاء هو اتمامه للكلمات التي ابتلاه الله بهن ، بقوله تعالى :

(وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ)

وكان تلقاهن آدم بعد ان ذلّ فتاب عليه بهن ، وذكر الله تعالى
اطلاع ابراهيم على ملكوت السموات والارض ، لان الله سبحانه لا يطلع
على ذلك الا من ارتضى من خلقه ، كما قال سبحانه في أدريس عليه السلام :

(وَرَفَعْنَاهُ مَكَازٍ عَلِيًّا)

وقال في عيسى عليه السلام :

(بَلَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ)

وقال في محمد (صلعم) :

(سُبْحَانَهُ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ

الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا)

فأخبر رسول الله (ﷺ) عن الاسراء به كيف كان ، وصعوده الى
السماء ، ومن رأى فيها من الملائكة والانبياء والمرسلين الذين مضوا من قبله ،
وما فعل وأمر به ، وما قيل له في كلام طويل مأثور معروف عنه .

ومثل هذا فانما يطلع الله عز وجل عليه الارواح الزكية الفاضلة التي
صفت له ، وزكت في طاعته ، واستخلصها سبحانه ، واصطفها ،
واختصها ، وارetzها ، فيطلعها على ملكوت السماوات ، فتتصل بالارواح
العلوية السماوية دون الاجساد التي تأوي اليها الكثيفة الارضية .

ولذلك جاء في الخبر عن رسول الله (ﷺ) في حديث الاسراء به
انه اسرى بروحه ، وروي عن بعض نسائه التي كان عندها في تلك الليلة

انها قالت : « مات إلا بين سحري ونحري » يعني ما ظهر لها من جسمه ، فاما روحه (ﷺ) فقد انتهت الى الملكوت ، ورآه وجمال فيه ما روي عنه من ذلك ، وكذلك كان ابتداء ما يأتيه الوحي فيما يروي عنه (ﷺ) برؤيا يراها في منامه .

وكذلك يمد الله عز وجل بذلك كثيراً من أوليائه ، ومنه قول رسول الله (ﷺ) « الرؤيا الصالحة جزء من الوحي » وكان اذا تغشاها الوحي نام واستغرق في نومه وغط واجهده ذلك وأكبره حتى يرفض عرقاً . ولذلك قالوا في ابتداء ما حدث به ذلك انه مجنون ، لان امر الرسالة ومشافهة الارواح السفلية للارواح العلوية فيها ثقل ومشقة ، ومن ذلك قول الله عز وجل :

« إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا » .

ومن طبع البشر انه متى رأى شخصاً لم يره قط هاله ، ونفرت منه طباعه ، واستوحش وخاف حتى يأنس به فيسكن اليه .

وكذلك قال ابراهيم (صلعم) لما رأى اول الحدود العلوية الملكوتية السماوية : « قَالَ هَذَا رَبِّي » وقال كذلك للثاني ، والثالث ، فاذا رآه تنهاى الى ما فوقه ، وترك المتناهي المستقل ، وتمسك بالعالي الى ان يتناهى فيتركه كما وصف الله عز وجل ذلك في كتابه الى ان توجه الى باري البرايا ، وفاطر السموات والارض ، الذي كل حد ومحدود دونه وهو المتعالي فوق الحدود ، والمحدودات بقدرته ، فملكوت السموات التي ذكر الله عز وجل انه اراها ابراهيم (صلعم) هي الحدود العلوية ، التي ينتقل التأييد الى الحدود السفلية عنها . وقد ذكرناها ايضاً ، فيما اراه اياها في ابتداء امره ونشوء خلقه في الدين على ما قدمنا القول فيه ، وذلك

ان جميع من خصه الله تعالى بالنبوة ، واصطفاه بالرسالة والامامة ، او لما دونها من حدود الدلالة من جميع البشر لم يكن قبل ذلك شيئاً ، ثم كان بقدرة الباري مخلوقاً كما خلق جميع البشر من ماء مهين^(١) . ثم صور في الرحم ، وحمل ووضع ورضع ، وكان طفلاً لا يعقل ، ثم عقل وصار صبياً غير مكلف ، ثم بلغ وكلف كل ذلك .

فله عز وجل في أرضه من البشر حدوداً أقامهم لدينه على ما قدمنا ذكره ، فلا بد لذلك المخصص المجتبي من معلم منهم يعلمه ، وهادٍ يهديه ، ومرشدٍ يرشده ، ومنعم ينعم^(٢) عليه ، اذا صار الى حد التكليف ، الى ان يرتضيه الله عز وجل للمقام الذي أهله له فيصير اليه ، فابراهيم (صلعم) كان كذلك ، وكل نبي وإمام قبله وبعده ومن دونها من الحدود الارضية ، الذين قدمنا ذكرهم في غير موضع .

فاطلع أولاً على أقرب الحدود الارضية ، وهو الداعي ومثله كما ذكرنا الكواكب في السماء ، وذلك ما قاله الله تعالى :

« فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا » .

ومثل الليل كما ذكرنا الكتان ، فلما اخذ عليه الداعي العهد الكريم ، وأمره فيه بالستر والكتان ، جرّ عليه ذلك ، اي ستر عن الاباحة به ، والاظهار له ، ولم يطلعه بعد على غيره من الحدود ، وفتح له بعض ما عنده مما ينبغي ان يفتح لمثله ، وسمع من ذلك ما هاله سماعه واكبره ، وتوهم انه الغاية وانه ليس فوقه حد . فقال في نفسه « هَذَا رَبِّي » اي متولي امري ، والسبب فيما بيني وبين الباري عز وجل

(١) في نسخة (هـ) جاءت (مهيم) (٢) في نسخة (هـ) وردت (ينعمون) .

مربي والمنعم عليّ ، وذلك كقول يوسف عليه السلام .

« اَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ »

وهذا معروف في لسان العرب الذين يقولون للرجل رب النعمة ، ورب العبد ، ورب البيت ، اي المالك لذلك والمنعم به .

« فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَ إِنِّي لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ »

اي اني اسمعه واطلعه على الحد الذي فوقه ، وهو الحجة ، وعرفه ان الذي عنده هو من قبله ، واخبره عن ابنائه ، ووصله به ، واطلع على فوق ما اطلعه الأول من عنده ، وتوهم فيه كما توهم في الأول ، وظن ان الغاية والسبب الاقصى ، وذلك قوله :

« فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي »

وانخط له الحجة واطلعه على الحد الذي فوقه وهو الامام ، واطلع على اكثر ما اطلعه الثاني ، وأراه برهانه ، وذلك قوله :

« فَلَمَّا آمَنَ قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » .

يقول لنن لم اظفر بالهدى من عند صاحب الزمان اني لمن الضالين^(١) .

وقد ذكرنا فيما تقدم ان مثل القمر الحجة ، فلما اطلع على امر الأمام وهو قوله :

« فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ »

(١) في نسخة (س) وردت (الفالين)

يعني اعترف انه ولي امره ومربيه الاكبر « فَلَمَّا أَفْلَتْ » يقول فلما وقف على خطط صاحب الزمان ، ووصفه لمن فوقه من الحدود العلوية .

« قَالَ يَا قَوْمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْتَرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ »

فتبرأ ^(١) مما كان عليه قومه من الشرك ، واخلص التوحيد لله وحده ، لا شريك له .

(وَلَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا)

ثم لما رفع الله عز وجل ابراهيم عليه السلام الى درجة النبوة ، واختصه بالرسالة ، دفعه الى ملكوت السموات ليريه اياها على نحو ما ذكرنا من رفع الروح البسيطة اللطيفة الى ما شاكلها من الارواح البسيطة ، دون الجسم الكثيف ، الذي لم يكن وينشأ ويركب على الصعود والارتفاع ، بل تركيبه وهويته وطبعه الرسوب ، والخلود الى الارض ، التي منها خلق واليها يعود .

فلما اطلع على اقرب الحدود العلوية ، قدر لذلك انه غايتها لتعظيم امر الله في نفسه ، واجلاله لما قابله ، وواجهه ، من تأييده ، وقدرته ، وكذلك كان امره في الحد الثاني والثالث ، الذي هو غاية الحدود العلوية ، فلما رأى تأييد الباري عز وجل له ، وما اوقفه عليه من عظيم قدرته ، واتصلت به عنه الكلمة ، اطلع على ملكوت السموات ،

(١) في نسخة (هـ) وردت (فأبرأ)

كما اطلع على ملكوت الارض ، وحوى الفضل وحازه ظاهراً وباطناً .
فكان كما قال عز وجل فيه ووصفه : (إِنَّهُ مِنَ الْمُوقِنِينَ)

فاما ما تأوله الجاهال من انه كان ملك ذلك الزمان ورأى انه يولد فيه من ينزع ملكه ، وانه امر بقتل كل مولود ، وان ام ابراهيم عليه السلام هربت به الى البرية ، وآوت به الى مغارة بعد ان ولدته فكان فيها ، ولم يخرج منها ، ولا رأى شمساً ولا قمرأً ولا نجماً حتى كبر ، فلما خرج ورأى ذلك قال ما قال ، فظاهر هذا التأويل يشهد بباطله ، ولو كان في مغارة كما قالوا ولا يرى منها السماء لكان لا يصل اليه فيها الهواء ، ولما عاش ، ولو كان كذلك وعاش ثم خرج الى الهواء دفعة واحدة لهلك ، وما كان يمنع امه اذ آوت به الى مغارة ان تخرجه الى الى نسيم الهواء ، والى ما لا بد منه الى الخروج اليه من حاجة الانسان وغير ذلك . واذا كان ذلك فأجدر ان تخرجه في الليل ، او في اطراف النهار حيث لا يراه احد ، والشمس والقمر والنجوم نصب عينيهِ . ولولا انه عرف بالرب لما عرفه كما ان الطفل لو لم يسمع الكلام لما تكلم ، وبذلك يكون الولد اخرس لا يتكلم واصم لا يسمع ولا يعرف ما يتكلم به ، اذا لم يسمعه يتحرك به لسانه فيخرج الصوت من جوفه وحلقه كما تخرجه البهيمة التي لا تميز الكلام وان كان له لساناً ولهة وشفتان .

وفساد ما تألوله بأرائهم اوضح من ان يحتاج الى دليل ، او احتجاج عليهم فيه ، والاحتجاج في ذلك يطول ، ولم نبني هذا الكتاب عليه ، ولا قصدنا به اليه ، فلما رأينا انه يقطع عما قصدنا به اليه قطعناه ، وكذلك لم نذكر فيه تأويل العامة ، وما اتوا به مما يذكر من مثل هذا

الخط في المواضيع التي تجري هذا المجرى مما يراد به الباطن دون الظاهر ، ويكون الظاهر في القول مثلاً يراد به الباطن .
وقوله تعالى :

« وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ »

يعني بالكلمات التي ابتلى بها آدم عليه السلام ، وهي حدود اصحاب الشرائع الستة التي ابيحت له ، ويفيد باقامتها على الفروض والتكليف فيها دون السابعة التي مد يده آدم عليه السلام اليها متعدياً لما نهاه الله عز وجل عنه من تناولها ، وهي التي تلقاها آدم عليه السلام لما تاب ، ومما تلقاه من حدودها العلوية ، وقد ذكرنا ذلك ، والكلمة هي صاحب الشريعة فآتم ابراهيم (ﷺ) الكلمات الستة على واجب الفروض والعمل فيما حدد في شريعته ، ولم يتعد الى غيرها ، ووفى بها ، فذكره الله عز وجل بالتام والوفاء .

واقام ابراهيم عليه السلام بالكلمات العلوية وهم الحدود ، بالقبول عنهم في حد العلم ، والكلمات السفلية وهم النطقاء الستة باقامة شرائعهم في دار العمل ، فكان آدم عليه السلام ونوح قد اقاما شرائعها ، واقام بنفسه ما وضع بعدهما مما امر الله باقامته ، وقام هو بشريعته من الظاهر بما يستدل به على شرائع من يأتي بعده ، ودل عليهم بانفسهم ، وبلغ ذلك في الباطن الى من ينبغي ابلاغه اليه ، فاتم الكلمات ، ووفى بها كلها ، ولما اتم ذلك اقامه الله عز وجل إماماً ، وقال في كتابه :

« إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا »

وقد ذكرنا فيما تقدم تأويل الامام والامامة « قَالَ وَمَنْ ذَرِيَّتِي »
سأل الله ان يجعل الامامة في ذريته ، فقال عز وجل :

« لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ »

فأجابه الله سبحانه وتعالى في ان يصيرها فيمن لم يظلم من ذريته ،
واخرجها ممن ظلم ، والظلم في لسان العرب وضع الشيء في غير موضعه .
ولما اقام الله عز وجل ابراهيم عليه السلام نبياً مرسلًا بشريعة غير
شريعة نوح عليه السلام ، اقام لها في الظاهر اصولاً يدل باطنه على ما
تعبد الله به امته على حسب ما ذكرنا فيما اقامه كل نبي مرسل بشريعة (١)
جديدة ، فكان اصل شريعة ابراهيم (عليه السلام) البيت ، فبناه ونادى في
الناس ، واذن فيهم بالحج اليه ، والطواف به ، واقام له مشاعر ومعالم
ومناسك ، واشرك معه في بنائه ولده اسماعيل عليه السلام وهو اساس
شريعته كما قال الله تعالى :

« وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ »
وقال :

« وَعَهْدْنَا إِلَى إِسْمَاعِيلَ وَإِبْرَاهِيمَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
وَالْمَكَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ »

فأقاما البيت في حرم (٢) مكة حيث كان ولده اسماعيل ، واقامه
مثلا له ولكل امام بعده ، وحج الناس الى البيت ، وطوافهم به ،
مثلا ودليلا على انه كذلك يجب عليهم ، ان يأتوا الى الامام في كل
مكان قرب منه ، او بعد عنه ، ويلوذوا به ، ويحيطوا به ، ويطوفوا

(١) في نسخة (هـ) وردت (بشرع)

(٢) في نسخة (هـ) وردت (حريم)

حوله ، وقوله تعالى :

« وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ »

باطن رفعهما القواعد مثل على النطقاء الأربعة من بعدهما وهم : موسى وعيسى من ولد اسحق ، ومحمد والقائم صلوات الله عليهما من ولد اسماعيل فالقواعد أربعة وهم مثل على الأربعة حدود أي النطقاء الأربعة ، الذين يأتون بعدهم ، وقطعا بالحجر على ركبتين منه ، وذلك دليل على انقطاع النبوة من ولد اسحق بعد موسى وعيسى عليهما السلام وبقاءها في ولد اسماعيل ، وذلك ان الطواف في الاسلام يقع على ركنتين من البيت الذين مثلها محمد والقائم صلوات الله عليهما والركنان الآخران اللذان مثلها موسى وعيسى صلوات الله عليهما لا يقبلان ولا يلتزمان ولا يقربان ولا يطاف حولهما ، وانما يطاف من وراء الحجر الذي لصق بهما ، وحجز الطائفين عنها وعن لمسها ، كون أمرهما ينقطع ويبقى الطواف بالبيت على الناطقين الباقية شريعتها من ولد اسماعيل الذي نصب البيت مثلاً له في ابتدائه ، وللأئمة واحداً واحداً من بعده ، وجعل للبيت باباً واحداً مثلاً للباس وهو وصيه اعني الامام الذي جعل البيت مثلاً له وحوله اثني عشر باباً امثال النقباء الاثني عشر الذين يعرف الامام من قبل كل واحد منهم ، وهم الموزعون في الجزائر الاثني عشر ، كما يدخل الداخل من الباب الى البيت وجعل الطواف حوله سبعة أشواط ، وكذلك السعي بين الصفا والمروة ، وهو مثل للنطقاء السبعة ، والأئمة السبعة ، والحجر الذي نصب في الركن مثله يد الناطق ، واستلامه مثل مصافحة المبايع له . ولذلك جاء في الحديث ان الحجر يمين الله عز وجل . وان الله لما اخذ العهد على بني آدم أمر الحجر فالتقمه ، ولذلك يقول من يستلم الحجر « اللهم امانتي أديتها وميثاقي تعاهدته ليشهد لي عندك بالبلاغ » وأمر بعد الطواف بالبيت

بصلاة ركعتين ، وهما مثلاً على الطاعة للأمام والحجة ، وبأن يصلياً من وراء المقام ، ويجعل بين يدي المصلي ، وأنه لا تجوز الصلاة بينه وبين البيت . وذلك مثل على أنه لا يتوجه الى الناطق الا بوصيه ، ولا يقبل عمل من تعدها ورفضه ، وأنه اطاع الناطق وتوجه اليه ، لقوله عز وجل .

« أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ »

وأمرنا بعد ذلك بالشرب من ماء زمزم ، وإن يقبضوا ^(١) منه عليهم وذلك مثل لقبول العلم ، وابقائه وطلبه ، والصفاء والمروءة هما مثل الأمام والحجة ايضاً ، والطواف بهما مثل لطاعتها ، وعدم الخروج عن امرهما او مفارقتها وسيأتي شرح ذلك في باقي مناسك الحج عند تمام ذلك ، وانما قصدنا هنا الأخبار عن البيت لانه جمع كافة اصول الشريعة ، ودل عليها مثل ما جمعت ذلك السفينة ودلت عليه ، وكذلك الشهادة بحسب ما ذكرنا عند ذكرها .

وكما قلنا ان ظاهر الأصول مختلفة ومعناها فيما تدل عليه ومما جعلت مثل له ، فمن لم يعرف حدودها وبواطنها ، ولم يقم بإداء حقوقها ، لم ينفعه علم ظاهرها ، ولم يعلم حقيقة ما هو عليه كما يروى عن عمر بن الخطاب انه قبل الحجر الاسود وقال : اما والله اني أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولكني رأيت رسول الله يفعل مثل هذا ففعلته ، وقوله سبحانه وتعالى :

« وَعِذْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ »

يعني طهارة اسم الحرم من كل دنس ، « للطائفين » يعني : اللواحق الاثنى عشر اصحاب الجزائر الذين هم الطائفون ^(٢) بالامام في الجزائر كما

(١) في نسخة (هـ) وردت (ينظروا) . (٢) في نسخة (هـ) ورد (الطائفين) .

طافت أبواب المسجد الاثنى عشر بالبيت واحاطت به كل من جهة ،
وقد ذكرنا ذلك ، « والعاكفين » هم الائمة الملازمون المقيمون « والركع »
الأسس ، « والسجود » النطقاء ، « أَذْنٌ فِي النَّاسِ بِالْحِجِّ » يقول اعلن
الدعوة ليستجيب لك المستجيبون .

وبما ذكره الله عز وجل من امر ابراهيم قوله تعالى
« إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا
يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً »

قوله : « إِذْ قَالَ يَا أَبَتِ » يعني الذي كان اخذ عنه علم الظاهر من
علماء الظاهر ، فنسب الى ولادته من قبل الظاهر ، فلما انتهى ابراهيم الى
ما رقي اليه واتصل بمحدود الباطن ، خاطب الذي كان رباه بالظاهر
بحرضه على الدخول فيما دخل فيه بقوله :

« يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ
شَيْئاً » .

يعني من أخذ عنهم ذلك العلم الظاهر وهم كما قال الله عز وجل :

« صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ »

وقوله :

« يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ
صِرَاطاً سَوِيّاً »

يعني ما جاءه من العلم الروحاني المخزون .

« فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ »

اي ادلك على امام زمانك وهو الصراط السوي ،
وقوله :

« يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا » .
يعني لا تطع من هو ضد صاحب الزمان الذي عصى خالقه برده على
أمره ، وقوله :

« يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ
لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا » .

يعني تكون مثله في ولايتك له وقوله :

« أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ » .
يعني رؤسائه الظاهرين ، واسلافه الذين اخذ عنهم علمه .

« لَنْ لَمْ تَذَنْهُ لَا رَحِمَتِكَ وَأَهْجُرُنِي مَلِيًّا » .
يقول لئن لم ترجع عما انت عليه لأرمينك بالقبح فتباعد عني .

« قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي » .

اي دعا له بالسداد ، وقوله « سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي » اي استدعي
لك ، واسأله فوائده عليك ، وقوله تعالى :

« وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ » .
يقول آتيناه تأييده بالكلمة ، منّا ، وقد علمنا ما يتناهى اليه أمره .
وقوله تعالى :

« إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ » .

يعني الذي علمه علم الظاهر الذي قدمنا ذكره ، واما آباء النطقاء ،

فلا يكونون من الفكرة ، وقد قال رسول (ﷺ) : « نقلت من كرام
الاصلاب الى مطهرات الارحام ، والكرم التقوى فقال عز وجل :

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) .

والمتقون هم المؤمنون المخلصون ، فقال لأبيه الذي علمه علم الظاهر كما
قدمنا ، لأن الابوة في الباطن تكون للمؤمن وللکافر فقال لأبيه هذا
وقومه واهل نخلته من الظاهر .

(مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) .

يعني الذين مثلوا انفسهم وتشبهوا بأهل الحق وليسوا من اهل :

(قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ) .

يقولون على هذا أدركنا آبائنا :

(قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، قَالُوا
أَجِنَّا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ) .

يعنون أعندك حقيقة ما تقول ، ام ان قولك لا حقيقة معه .

(قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى
ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) .

يعني انه خالق الظاهر والباطن .

(وَإِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَآ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ) .
يعني عجزهم عن معرفة دعائم الدين وحدوده .

(وَتَاللَّهِ لَا كِيدَ أَنْصَانَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوُلُوا مُذْهَبِينَ) .

يقول ان ادبرتم عن الحق اريتكم كيف اكسر أصنامكم يعني أهل

الباطل ، الذين يأخذون عنهم ، علمهم واكثرهم بحجة الحق .
(فَجَمَلَهُمْ جَذَاذًا) .

يعني لما كلمهم وأقام الحجة عليهم فرقمهم وبدددم .
(إِلَّا كَبِيرُهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ) .

يعني رئيسهم وانه لم يفتحه بل تركه ليرجعوا اليه فيما كسره عليهم
فيعلمون ان لا شيء عنده ، قال اي الاتباع من فوقه لما سمعوا ان
اكابرهم قد اكتروا بالحجة عليهم ، ولم يكن يعلم اكثرهم من فعل
ذلك بهم .

(قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ) .
يعنون بدفمه حقهم بزعمهم ان اكابرهم أصحاب حق قال الذين
سمعوا منهم .

(قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) .
والفتى في التأويل المرشح المستعد للامامة .

(قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) .
فاحضروه معهم ليسمع المأ قوله ، وقولهم :

(قَالُوا أَأُتَتْ فَعَلَتْ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ؟ قُلْ بَلْ فَعَلَهُ
كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) .

يعني لما حضر ابراهيم سأله المأ قائلين أنت الذي كسرت اكابرنا
بججك ، فقرّ ربههم وقال لهم بل كبيرهم :

(فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ)^(١) .

اي اسألوم ان كان عندهم حجة فلما رأوا ان ليس لرؤسائهم ولا لكبيرهم حجة يدحضون^٢ بها حجة ابراهيم .

(فَارْجِعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ) .

اي رجعوا الى أكابرهم الذين كانوا يأخذون عنهم وقالوا لهم عندما رأوا انقطاعهم عن الحجة :

(إِنْ كُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ) .

اي بوضعكم الامر في غير موضعه .

(ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ)

يقول ثم نكسوا على رؤسهم يتفكرون في انكسار حجة رؤسائهم وعنفهم ابراهيم عليه السلام .

(قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ)

أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) .

يعني أنطيعون من دون الله من يحلل لكم ويحرم عليكم برأي نفسه ما تحللونه وتحرمونه اتباعاً له ، وقد ذكرناه في غير موضع .

قال رسول الله (ﷺ) لعدي بن حاتم وكان من العرب على دين

النصرانية ، ثم اسلم وسمع قول الله عز وجل :

« اخذوا أعبارهم ورببانهم أزبأاً من دون الله »

فقال عدي : ما كنا نعبدكم يا رسول الله ، فقال (ﷺ) : « ألم

(١) وردت بنسخة (س) (ينطقون) . (٢) وردت بنسخة (س) (يفضضون) .

يكونوا يخللون لكم ، ويحرمون عليكم ، وكنتم تستحلون ما احلوه لكم ، وتحرمون ما حرموه عليكم ؟ (قال : بلى) قال (صلعم) : فتلك عبادة منكم لهم وقوله تعالى :

« قَالُوا احْرِقُوهُ وَاَنْظُرُوا اِلٰهَتِكُمْ ، اِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ »

يعني اجماعهم على رفع امره الى سلطان رفاقهم والوقعة فيه عنده ، واحكام اياه عليه ، وهذا جائز في اللغة ، يقول الناس : احرق فلان فلاناً عند السلطان ، اي سعى به عنده ، وألهب صدره عليه ، بما اغضبه عليه .

(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ اِبْرَاهِيمَ)

يعني انه سبحانه جعل كيدهم ، وما اتوا به سلطانهم برداً في قلبه ، ولم يستعر له قلبه ، ولم يغضب عليه ، بل ناظره ، وما حجب به كما وصف الله عز وجل ذلك بقوله تعالى :

(اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِي حَاجَّ اِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ اَنْ اَتَاهُ اللّٰهُ الْمَلَكُ اِذْ

قَالَ اِبْرَاهِيمُ الَّذِي تُحْيِي وَيُمِيتُ)

(ظاهراً وباطناً قال الملك) : انا احيي واميت ، اي أعفو عمن استحق القتل فأحييه واميت من اريد قتله . هذا قوله في الظاهر ، وادعى ايضاً بحقيقة علمه ، وانه يحيي من انشأ فيه ، وان احب موته كسر عليه ، وأوقعه في الشك والخيرة ، واخرجه منه ، فيكون بذلك اماته .

(قَالَ اِبْرَاهِيمُ فَاِنَّ اللّٰهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا

مِنَ الْمَغْرِبِ)

عنى بالشمس كلمة الله التي اظهرها من ناطق الزمان ، وجعل غروبها في اساسه ، فان كنت صاحب الكلمة فغيرها من المستفيد ، (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) يعني الذي انقطع وانحصر .

(وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)

يعني من وضع الشيء في غير موضعه ، وقد اولنا ذلك . وكذلك فان هذا الملك ادعى ما ليس له ، ووضع نفسه في غير موضعها ، فلم يهده الله تعالى لرشده ، ومن ذلك قول ابراهيم عليه السلام .

(إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَاهِدِينَ)

يعني اقباله عليه بقلبه وجوارحه .

(قَالَ رَبِّي هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ)

يقول رب هب لي اولا مستجيبين مخلصين (فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) وقد ذكرنا ان الغلام هو المرشح للامامة ، والمستعد^(١) لقبول الكلمة ، وهو اسماعيل عليه السلام (فَلَمَّا بَلَغَ مِنْهُ السَّعْيُ) يعني ما سعى به في التربة .

(قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ إِنِّي إِذْ بُحْتُ)

اي آخذ عليك ميثاق الامامة ، واقيمك اماماً لشريعتي .

(فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ) يؤكد ذلك عليه لما يعلم من ثقل هذا

الامر وشدته وصعوبته ، وقد ذكرنا فيما تقدم ذلك .

(١) في نسخة (هـ) جاءت (والمستفيد) .

(قَالَ يَا أَبَتِ إِفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ)

يعني على حمل ائقال الملكوت (فَلَمَّا أَسْلَمَا) يعني استسلما كليهما ، ابراهيم بتسليم الامر ، واسماعيل بتسليمه منه واحتماله ، (وَتِلْكَ لَاجِبَيْنِ) اي اضجمعه وانزله منزلة القبول منه وخضع اسماعيل له .

(وَنَادَيْنَا أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا)
اي اشعرناه بالوحي بذلك ، اي صدقت امرنا ، وسلمت اليه .
(إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)

يعني جزاء من احسن بالقبول والاداء بمثل هذه الكرامة .
والذبح في الباطن مثله اخذ الميثاق ، لان الذبح يحدث الموت ، وهو سكون الحركات الجسدانية ، فرقي اسماعيل الى حد التأويل والستر ، والقيام بدعوة الباطن ، ونصب الحدود لها ، وأسكت عن المفاتحة والبيان والمناظرة بالظاهر ، ونصب لذلك اسحق عليه السلام دونه ، وكان اسماعيل في حد الاساسية ^(١) واسحق دونه في حد الامامة ^(٢) وذلك قول الله عز وجل « وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ » وجاء في الظاهر انه فدي بكبش ، والعرب تقول للرجل السيد الحامي عن قومه ، فلان كبش قومه ، والذبح في الباطن هو اخذ الميثاق كما قلنا ، وذلك يؤخذ على النبيين، والاسس والائمة متى اهلوا لذلك، كما انه

(١) في نسخة (س) جاءت حد (الاسوسية)

(٢) في نسخة (س) جاءت (خذ الامامية)

يؤخذ على المستجيبين في حدم الذين هم فيه ، فلا يأخذ النبي والاساس والامام شيء مما أهل له حتى يؤخذ عليه الميثاق في ذلك ، كما انه لا يفتح المستجيبين ، حتى يأخذ العهد عليهم فاذا صار النبي والاساس والامام الى حدودهم ، اشتغلوا عن الجسد باليمين ، وقهرت اجسادهم قوة التأييد ، واطلعوا من الملكوت على ما تصغر الدنيا وما فيها عندهم ، ففدى اسماعيل باسحق ، وورقي الى حد الاساسية ، وأهل الحق دونه في حد الامامية ، الذي كان اسماعيل دعي اليه ، فأجاب واستسلم لأمر الله ، وصبر على الكون بدون درجة ، ففداه الله عن ذلك بصبره ، واستسلامه لأمره ، ورفعته الى درجة الاساسية ، واكرمه بالنبوة والرسالة ، بقوله سبحانه وتعالى :

(وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ أَنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) .

وقوله تعالى :

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي أَرِنِي كَيْفَ تُنْجِي الْمَوْتَى ، قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قُلْ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ : فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْأً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَمِيًّا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

ففي هذه القضية تأويلين ، الاول دون الآخر ، فأحد التأويلين ان ابراهيم عليه السلام سأل في ابتداء امره ان يرى كيف يحيي المستجيبين

للدعوة من موت الجهل والغفلة والضلالة ، والرؤيا ههنا العطية والموهبة
مثل قول موسى عليه السلام :

(رَبِّ ارْنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ)

أي هب لي ذلك ، وتفضل عليّ به ، فسأل ابراهيم (ﷺ) مرتبة
الحجة وكان دونها ، وقد كان الله عز وجل وعده ان يقيمه اماماً ،
بقوله عز وجل

(إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)

فكان سؤاله هذا استنجازاً للوعد فقليل له (أَوَلَمْ نُؤْمِنْ) اي اولم
تصدق بالوعد كما حكاه الله عز وجل عن أخوة يوسف قولهم لابيهم «

(وَمَا أَنْزَلْنَا بِمُؤْمِنٍ لَّنَا)

اي بمصدق لنا (وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)

« قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبِي » اي يسكن لما تعلق به

(قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ)

يعني اعمد الى اربعة من المأذونين (١) بالمفاتيحة (فَصِرْهُنَّ أَفْكَ)

وبلغهم حدود النقباء ، وتوهم بنفسك بالمفاتيحة والتربية ، فاذا فعلت ذلك
بهم واكملت امرهم فأمر كل واحد منهم ان يستخلص لنفسه كما استخلصتهم
انت رجلين ، ويولي امرهما بعد ان ترفعهم الى حدود النقباء ، فيكونوا
اثني عشر نظير شهور السنة ، اربعة منها حرم (ذَٰلِكَ أَلَدِّينُ الْقَوْمِ)
الذي جرت عليه سنة الله في اوليائه .

(١) في نسخة (هـ) جاءت (المأذونون)

(ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جِزْأ)

اي اجعل بكل جزيرة من جزائر الارض واحداً منهم ، يعلو بها ،
بما ايدته به من الحق على جبلها ، وهو المتغلب عليها .

(ثُمَّ ادْعُوهُمْ يَا آتِينَكَ سَعِيًّا)

أي يا أتونك مطيعين وكل من فيها ، واعلم ان الله عز وجل حكيم .
فعمت دعوة ابراهيم عليه السلام اقطار الارض ، وكل امة تقرر
بالباري عز وجل ، وبالرسول فقد اقرت بفضله وأجابت دعوته ، والتأويل
الثاني قوله :

(أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى)

اي اطلمني كيف يرقى العبد من عبادك من حد الى حد التأييد ،
(قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنِ)

يعني جرى بما جرى عليك من ذلك وتصدق (١) به (قَالَ بَلَى)
قد صدقته وعرفته (وَلَكِنْ لَيْسَ بِي)

يعني اذا كان ذلك على من هو دوني ، وأحطت به اطمأن قلبي
(قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ)

أي اعمد الى اربعة من المأذونين بالمفاتيحة (فَصَرَّهُمْ إِلَيْكَ)

يعني ضمهم الى نفسك بالمفاتيحة والتربية ، فاذا فرغت منهم فقطعهم
بالكسر عما جمعهم عليه بالبيان .

(وَاجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْأ)

(١) في نسخة (هـ) جاءت (وتصدق)

اي أضف كسرك الذي كسرتة عليهم الى لواحقك واحداً واحداً .
(ثُمَّ اذْعُوهُمْ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا)

يعني اذا فعلت ذلك ادعهم بتأييدك فترى ان التأييد قد ظهر على جميع من ذرعتة في قلبه ، وكأنهم لم يسمعوا كسراً ، ولا قطعاً ، ولا شيئاً من ذلك ، ويجيبونك مسارعين عدواً ، فإذا رأيت ذلك ، فاعلم ان الله عزيز حكيم ، اي عزيز بما ابدع ، حكيم بما احكم .

ومن ذكره الله عز وجل في كتابه من كان في دور ابراهيم واسماعيل واسحق ، وقد ذكرنا مقامهما ، وقوله تعالى في اسمعيل انه كان صادق الوعد ومنهم لوط عليه السلام وكان من نقباء ابراهيم (ﷺ) .

فصل لوط . .

كان لوطاً من نقباء (حجج) ابراهيم (ﷺ) في جزيرة قد كثر علم اهلها ، واتسع ثم تداخلهم الفساد ، فعدلوا عن مراتب الحدود التي حددت ، والترقي في الدرجات التي نصبت فيهم ، وجعل بعضهم يفتح البعض بالتأويل والباطن ، ويكسر بعضهم على بعض ، فنهاهم لوط عن ذلك ، وامرهم بالالتزام بدعاتهم ، والاخذ عنهم ، وستر علم الباطن ، فلم يفعلوا كما امروا وهتكوا الستر ، ونقضوا الميثاق ، واجروا الحقيقة على مجرى الظاهر ، وزرعوه في غير موضع الولادة ، وتركوا ازواجهم الذين امرهم الله عز وجل باتيانهم ظاهراً وباطناً ، واكتفى بعضهم ببعض في مثل ذلك من الظاهر والباطن ، وذلك قول لوط :

« أَتَأْتُونَ الذِّكْرَ إِنَّا الذِّكْرَ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ » وَتَذَرُونَ مَا
خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ »

يعني المستجيبين لظاهر الدعوة المتهين للقبول .

« قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ »

عنى لنخرجنك من اضافة الدعوة اليك ، ولما أكثر عليهم لوط
الموعظة :

« قَالُوا : أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ »

اي يحفظون حدود الدعوة .

والقرية ههنا الدعوة برسهم ، وأضافوها الى انفسهم ، واستحلوا مثل
ذلك من ظاهر المحارم ، الذي هذا باطنه ، فنكح بعضهم بعضاً ، ودخل
معهم في ذلك حجة لوط ، وهو الذي كنى الله عز وجل عنه بامرأته ،
فبعث الله عز وجل ملائكة لهلاكهم ، وتدميرهم ، وحبسهم في صور
الآدميين ، ومروا بابراهيم ، كما امروا ان يبشروه بأسحق ويعقوب ، وذلك
قول الله تعالى :

« وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا فَقَالَ سَلَامٌ »

فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ خَبِيرٍ »

يعني انهم فاتحوه بالحقيقة ، فتوهم انهم من بعض المستجيبين ، ففاتحوهم
بذلك ، وانزلهم ، وذلك بحسب ما كان الناس يردون عليه لما اذن فيهم
بالحج ، فتوهم انهم ممن جاءوا لذلك وذبح لهم عجلاً^(١) وخذه ، اي

(١) في نسخة (هـ) جاءت (عجل)

شواه ، واتاهم به ، فلم يمدوا ايديهم اليه ، فلما رأهم كذلك انكرهم كما قال تعالى :

« وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ، قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ »

والمعجل في الباطن مستجيب له قوة المفاخرة ، احضرهم اليه ليفاتحهم بحسب ما كان يفعل فيمن اتاه ، فلما لم يدخلوا معه في الكلام ، انكرهم فكشفوا له عن امرهم ، وما امروا به .

« وَإِمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسَ رَنَاءًا بِإِسْحَاقَ ، وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ »

وامرأته في الباطن أساسه ، وكان قائماً فيما امر به يأخذون عنه ، ونال خطأ^(١) من ذلك المجلس ، وبما جرى فيه بين ابراهيم والملائكة . فتقوى بذلك وظهرت قوته فيه ، ففطنت الملائكة لما تأثر فيه ، فبشروه^(٢) بالعلو والرفعة ، وذلك ما قدمنا ذكره ، مما نقل اليه من حد الامامة الى حد الاساسية وبشروه باسحق ، وانه فدى به ، واخبروه ان يعقوب يصير بعد اسحق .

« قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ، وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ »

يعني حين كان الناطق يؤيدني ، ويعيني على العمل والاجتهاد في الدعوة ، وكنت حريصاً على ذلك مقبول القول عند القوم ، لم يجبني أحد ، فاليوم عندما امسك هو عني وعن تأييدي لبـلـوغي الى حيث

(١) في نسخة (هـ) جاءت (حظ) (٢) في نسخة (س) جاءت (فباشروه) .

بلغت وعجزت عن قبول ما كنت قادر عليه يستجاب لي ، ويكون لي الولد .

« قَالُوا أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعَ »
الى ما كان ارتاع منه ، وجاءته البشرى باسحق ويعقوب وما رقبيا اليه .

« يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ »

أي جعل يسأل في قوم لوط .

« وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنِ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ، قَالَ : إِنَّ فِيهَا لُوطًا »
يقول : ان في هذه الدعوة التي تريدون بها ما تريدون لوطاً وهو صاحبي ومؤمنون معه .

« قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لِنُنْجِيَهُ وَأَهْلَهُ (يعنون المؤمنين) إِلَّا إِمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِرِينَ »

يعنون حجته الذي هلك فيمن هلك ، وغدير وبدل انه يكون فيمن يحل عليهم العذاب .

ولما صاروا الى دعوة لوط وقصدوا اليه رأهم قومه ، فأسرعوا نحوهم قوله تعالى :

« وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يَهْرَعُونَ »

اي اسرعوا اليه .

« وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ »

وظنوا انهم ممن اتاه من المستجيبين ممن لم يدخل مدخلهم ، وظنّ لوط انهم كذلك من المستجيبين ممن لم يدخل مدخلهم . فاتوا ليفاتحوهم ، فخاف ان يفتنهم قومه ، ويصدوهم عنه الى ما هم عليه ، فقام الى من اتاه منهم .

« قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي »

يعني لواحقه يفاتحوكم وهم يكلمونكم بما تريدون ، وهنّ اطهر لكم اذا كانت مفاتيحتهم جائزة لكم ، وهؤلاء لا يحل لكم مفاتيحتهم .

« فَأَنذَرُوا اللَّهَ وَلَا تَنخَرُونِي فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ،

قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ »

اي مالنا عند لواحقك من حاجة ، وانك لتعلم انما نريد ان نرد هؤلاء عنك الى ما نحن عليه .

(قَالَ لَوْ اِنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ اَوْ آوِي اِلَى رَكْنٍ شَدِيدٍ)

يقول : ان استطعت على دفعكم ، وإلا لجأت الى الناطق عليه السلام فكشفت الملائكة عن امرها .

(قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا فَاسِرْ بِأَهْلِكَ

يَنْتَظِعِ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ)

يقول اذهب ^(١) باهل دعوتك المستجيبين لك الذين لم يغيروا ، ولم

(١) في نسخة (هـ) وردت (اذهبوا) .

يبدلوا في حدود المعرفة ، ومنازل البيان ، وقوله : **بِقَطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ** اي بمن بقي من لواحقك اهل الستر الذين لم يدخلو مدخل هؤلاء « **وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ** » يعني ما كان قبله من الظاهر قبل دخوله في الحقيقة « **إِلَّا أَمْرًا تُكَ** » يعني بطانتك ، وموضع شرك ، من لواحقك الذين دخل معهم ، فانه يصيبها ما يصيبهم من الانتقام لمساعدتها لهم .

(**إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**)

يعني ظهور امر ناطق انت متصل به .

(**فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا**)

يقول لما ظهر امرنا من جهة الناطق وهو ابراهيم (**جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا**) يقول : حططنا درجة من كان علا في الدعوة الى اسفلها وهو الظاهر

(**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ سَجِّيلٍ مَنْصُودٍ**)

يعني رميناهم بمسائل صعبة ، من قبل الناطق دفعتهم بالباطن الحقيقي قبل هلاكهم في الظاهر ، لئلا يخرجوا من الدنيا غير محجوجين (١) .

فهذا ما جرى لمن أمر بهلاكهم ، واهلكهم الله بالعذاب الظاهر والباطن ، كما فسقوا في الظاهر والباطن وعلى ذلك تجري الامور بالكيال ولو كانت في الباطن دون الظاهر ، أفي الظاهر دون الباطن لم يكمل بالحقيقة ، كما لا يتم شيء الا بظاهره وباطنه ، ولا يكون شيء من الاشياء الا وله باطن وظاهر .

(١) في نسخة (هـ) وردت غير (محجوجين) .

فَصَّةُ يَوْسُفَ وَيَعْقُوبَ

يوسف عليه السلام هو ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام ، انتهت الامامة الى ابيه يعقوب ، فأقام دعوته الظاهرة ، ثم نصَّب (١) لواحقه ، وأهل يوسف عليه السلام لمقامه ، وأخى له ، للاتصال به من اللواحق فلما بلغ يوسف وصار الى حده ، اتصل به التخييل من التأييد من قبل الله عز وجل ، فأراه ان الامامة ستصير اليه ، وان الامام وحجته ولواحقه سيخضعون له ، وبصيرون تحت امره بتسليم ذلك اليه ، فذكر ذلك لأبيه يعقوب ، وهو قوله :

« يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ »

فعلم يعقوب ان ذلك سيكون ، وأمره ان يكتُم (٢) ذلك عن اخوته بقوله :

« قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ
كِيدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ، وَكَذَلِكَ يَنْتَهِيكُ رَبُّكَ
وَيُعْلِمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ » .

يعني تأويل الكتب المنزلة ، ومنه قوله تعالى :

(١) في نسخة (هـ) وردت (أنصب)

(٢) في نسخة (هـ) جاءت (يتكلم) .

« اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا » .

وتأويل أخبار الرسل وكلامهم وهو حديث ايضاً :

« وَبِئْسَ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ

مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » .

واشتدت محبة يعقوب له ، وآثره على اخوته ، لما علم ان تخيل التأييد اتصل به ، وانه سيمصير الى ما ذكره ، وعلم اخوة يوسف بميل يعقوب اليه ، والى اخ كان له من لواحق يعقوب ، فاجتمع العشرة ، وقالوا :

« لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَاءَنَا

لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ .

يعنون ابوة الامامة ، وانه ضلَّ عن طريق الأئمة ، اذ أراد ان ينصب يوسف واخاه وما أصغرهم ودونهم في العلم ، فيما رأوه ، وانهم رأوا انهم أحق بذلك منه فحسدوه .

وقالوا : (أَقْتُلُوا يُوسُفَ) اي ألقوه في امرٍ لا يكون بعده مؤيداً

ولا يصلح لما أمَّله له يعقوب ، (وَأَطْرَحُوهُ أَرْضاً) اي ضموه الى احد من حسالة القوم فيفسده .

« يَنْحُلْ لَكُمْ وَجْهَ إِبَيْكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ »

اي يصفو لكم تأييد أبيكم ، وتنبوا من هذا الحدث فيما بعد ، وتصلحوا انفسكم .

« قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ »

كأنه استعظم الأمر لان قتله معناه قطعه من التأييد ، وذلك يفسد
النسل ، ويعظم من أجله الذنب ، ولكن :

« أَلْقَوْهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ
فَاعِلِينَ »

ما اجمعتم عليه ، يقول : القوه الى رؤساء اهل الظاهر ، فيكون
ممنوعاً مما رمت ، ولا تفسدوا عليه العلم ، ويلتقط كلامكم بعض المختلفين
في الظاهر ، فأتوا يعقوب عندما ارادوا الخروج الى جزائرهم .

« قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ »

اي نثقفه ونقومه لتكون له دعوة .

« أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعْ وَيَلْعَبْ »

اي يخوض في الظاهر مع اهل .

(وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) .

اي نحفظه من ان يذل بشيء قال يعقوب :

« إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ
وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ »

اي تغفلون عنه بمفاتحة من تفاتحونه ، وهو حديث العهد فيخرج
المسترق للسمع المحتال من اهل الظاهر لبعض ما عنده .

« قَالُوا لَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ »

اي اذا وصل اليه السارق بذلك ، فاننا نخسر ما أردناه من اصلاحه

ولكن انما أردنا ان ندرسه ، وان يباشر الناس ، ويعلم حقائق ما عندهم ، وما هم عليه ، فأذن لهم يعقوب في ذلك ، وأطلقه في الدعوة ، مآذونا يكاسر ^(١) أهل الظاهر .

فلما ذهبوا به ، واجمعوا ان يجعلوه في غيابة ألجب خرجوا وخرج معهم ، وبعثوا عن يعقوب ، واجمعوا على ان يلقوه الى رئيس من رؤساء أهل الظاهر ، يشغلوه به ليصده عما عنده ، ويتغلب عليه بقوة ما لديه من ظاهره ، فيصير في غيابة ^(٢) الظاهر ومهواته .

« وَأَوْصَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ »

يقول : اتاه تخيل من التأيد بمكرهم به ، وانه سيظهر عليهم ، ويحتج بما فعلوه على جميعهم ، وأتوا به الى رئيس من رؤساء الظاهر ، له علم هو به متمسح ، وقالوا ليوסף اكسر على هذا فلعلك تظفر به ، وقالوا لذلك الرجل هذا انسان قد علق بأمر وفارق الحق فيه ، فلعلك تكسب ثوابه في رده عما سبق اليه ، ومضوا وتركوه وانصرفوا الى يعقوب .

« وَجَاءَ آبَاهُمْ عَشَاءَ يَبْكُونَ »

اي أتوه سرأ يظهرن النعمة على يوسف .

« وَقَالُوا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِيقُ وَتَرَكَنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا »

اي خلفناه بما استودعناه من البيان (فَأَكَلَهُ الذِّبَابُ) ففأفلنا المسترق للسمع الذي حذرتنا منه ، فأخذ ما عنده .

(١) في نسخة (س) وردت (يكاسر) .

(٢) وردت في نسخة (س) (غيبة) .

« وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ، وَجَاهُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ »

اي اختلفوا عليه بما يوجب الشك فيه ، وهذا من الامثال التي ذكرها الله عز وجل انما يضربها لعباده ، فاما من حمل ذلك على الظاهر من لفظه ، فكيف يستقيم لتصديقهم ان يأكله الذئب والذئب لا يفترس الانسان ولو فعل ذلك لم يأكله كله ، ولو وصلوا الى قميصه لوصلوا الى باقي جثته ، وكانت الحجة تلزمهم فيما ادعوه من ذلك ، ولم يكونوا ليدعوا بحجة لا تقوم لهم .

قال يعقوب اذ انه قد علم ما صار الى يوسف من تحيل التأييد .

(قَالَ بَلْ سَوَّاتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)

ووثق يعقوب بما عند يوسف انه لا يفعل ما قذفوه به ، واقام يوسف عند الرجل يكاسره ^(١) (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ) اي قوم مختلفون في الظاهر الى ذلك الرجل الذي عنده يوسف ، يأخذون عنه ويتعلمون منه (فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ) اي زعيمهم في القول ، فدخل الى عند الرجل فوجد عنده يوسف (فَأَذَلَّيْ دِلْوَهُ) اي ألقى مسائله ، ففاتحه يوسف فأصاب فيه فضلا من القبول عنه ، فلصق به الرجل ومضى معه الى اصحابه ، وخلصهم دونه (قَالَ يَا بُشْرَى) اي ابشركم ، (هَذَا غُلَامٌ) اي رجل مرشح ، ومتهيء للامامة ، وقد سمعت منه ما لم اسمعه من احد

(١) في نسخة (هـ) جاءت (يكاسيه)

قبله ، واجتمع يوسف معهم ، وفاتحهم فأعجبوا به (وَأَسْرُوهُ بَضَاعَةً)
 اي جمعوا ما استفادوه من العلم بحسب ما امرهم ، وكانوا من اهل مصر ،
 فسألوه المسير معهم اليها ، وكان مأذوناً له في التوجه ، حيث شاء فمضى
 معهم ، وأروا الرجل الذي كان عنده يوسف (إِنَّهُمْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ)
 إنه لا حاجة لهم فيه لكي لا يتشبث به خوفاً عليه منه .

ولما صاروا في مصر وهي يومئذ مدينة القبط ، وفيها مملكتهم ،
 ورئيسها يومئذٍ صاحب امر دينهم ، وفارق يوسف حدود الشام الذي
 كان فيه يعقوب اماماً ، وكتب يوسف نسبه ، وأقام مع القوم الذين اتوا
 به ، وسألهم عنه ، فأنكروه فاعطاهم دراهم ، ورغبهم بها ، فاطلعوه
 عليه ، واحضروه له ، وفاتحه فأعجبه ما عنده ، فضمه الى حجته الذي
 أهله لموضعه ، وهي التي ذكرها الله تعالى انها امرأته ، وهو قوله تعالى :

(وَشَرُّهُ يَثْمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ، وَكَانُوا مِنَ الزَّاهِدِينَ ،
 وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ ، أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى
 أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا)

يقول : لعلنا ننتفع به اي بعلمه (او نتخذه ولداً) اي نصرفه الى
 ما نحن عليه ، فيكون لنا ولداً في الدين ، وذلك لما رآه من حسن
 بيانه وتوجيهه ، وذلك هو الحسن ^(١) الذي كان يوسف يوصف به ، فضمه
 حجة الملك اليه ، وحازه لنفسه وجعل يفاتحه ويعجب بما عنده ويعظمه
 ويكرمه ، وقد عز جانبه ، وقوي امره ، وذلك قول الله عز وجل .

(١) في نسخة (هـ) وردت (الاحسن)

(وَكَذَلِكَ مَكْنًا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ
الْأَحَادِيثِ)

اي نفيدته من علم التأييد .

(وَاللَّهُ غَائِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)
ولما بلغ أشده ، يقول : انتهى الى حدود التأييد (وَأَتَيْنَاهُ حِكْمًا وَعِلْمًا)
يعني اتصل التأييد به .

(وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا
عَنْ نَفْسِهِ)

أي أراد منه الذي هو عنده ، وهو حجة الملك المؤهل لمكانه ان
يطلعه على حكم الحقيقة ، وذلك لما رآه يرمز به ، ولم يكن يوسف
يفتح قبل ذلك الآن من قبل الظاهر الذي يؤيده العلم الحقيقي الباطن ،
فلما اتصل به التأييد ، رمز به واستشرق الذي هو عنده اليه ، ونزعت
نفسه نحوه ، وأكد له على نفسه انه لا يقبل من أحد الا منه ، ولا
يطلع على ذلك احد غيره ، وذلك قوله :

(وَعُلِقَتْ الْأَبْوَابُ وَقَالَ هَيْتَ لَكَ)

اي اقبل على ما أدعوك اليه ، قال يوسف :

(مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ)

بما امدني به من التأييد .

(إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ ، وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا)

اي همت به ان يفتحها بالعلم الحقيقي ، وهمّ هو ان يلقي ذلك لها .

(لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ)

اي تأييده ان يضع الحكمة في غير موضعها ، وعلى غير نطاقها ،
وحدودها ، وترتيبها ، هذا تأويل ما ذكره الله عز وجل من قصة
يوسف .

فأما ما نسبته اهل الظاهر اليه من امرأة الملك في الظاهر زوجته ،
وهمت به ، وهمّ بها ، اي وصل الهيجان بها ، وقعد منها مقعد الحناء ،
فقد عصم الله اوليائه من ذلك ، اذ هو الزنى الظاهر ، وقوله :
(وَاسْتَبَقَا أَلْبَابَ) يعني اراد كل واحد منهما ان يسبق صاحبه الى باب
صاحب ذلك المكان ، لاختباره عما جرى بينهما .

(وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ)

يقول شنع على ظاهر سيرته فتهكها .

(وَالتَّقِيَا سَيِّدَهَا لِذِي أَلْبَابٍ)

يعني الملك الذي له امر دعوة البلد ، ومقاليد دين اهله .

(وَقَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ

أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

يقول ما جزاء من هم بمفاتحة حجتك على غير الوجه والسبيل ،
الا ان يسكت عن المفاتحة ، او يعذب بالكسر ، والهدم عليه .

(قَالَ هِيَ رَاوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي)

يقول هي ارادت مني ان افاتحها .

(وَشَهِدَ شَهِيدٌ مِنْ أَهْلِهَا)

يعني احد شهداء الحق من اهل الدعوة .

(إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)

يقول ان كان الكلام الذي يذكر عنه من علم الباطن ، فقد صدق
فيا اللقاء اليه ، وفاتحه به ، وان كان من علم الظاهر فقد كذب ، وهو
من الصادقين ، وذلك قوله :

(وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذِبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ)

ولو كان فاتحها بالباطن ، لأظهره ومنكه .

(فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ)

اي ان ما ذكرته عنه هو من العلم الظاهر .

(قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِ كُنَّ إِنْ كَيْدِ كُنَّ عَظِيمٌ)

اي هذا كيد منك له عظيم وقال ليوسف .

(يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا)

يعني عن الکتبان ، واظهر ^(١) امرك ، وانشر دعوتك ، وقال

لصاحبه (وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ) يعني بما اردته به ، اذ سمعت الي
بأمره لتحملني الكره عليه :

(وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ)

يعني المأذونين في الدعوة .

(١) في نسخة (س) وردت (وظهور)

(إِمْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ، قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ، إِنْهَا لِنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

يقولوا ان حجة عزيز مصر دعانا ، وما نحن عليه ، وقد راود من تهيأ ، وانتصب لأن يكون اماماً ليدعو الى ما هو عليه ، ويدعي دعوتنا انه لفي ضلال مبين .

(فَلَمَّا سَمِعَتْ مَكْرَهُنَّ ارْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ)
يقول لما ابلغه ما قالوا فيه جميعهم اليه (وَاعْتَدْتُ لَهُنَّ مَتَكًّا)
اي اقامت مجلساً للمفاتيحة والمذاكرة .

(وَأَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا)
اي أفاد كل واحد حجة قاطعة ، مما عليه ليكن عندهم زيادة عن الذي لديه

(قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَّ)
يعني ليوسف اي القي عليهم ما عندك (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ)
اي فلما القى اليهم بعض ما عنده تعاضموا امره (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ)
اي انصرفت قلوبهم عن اولياء امورهم ، وما كانوا عليه الى ما فاتحهم به .

(وَقُلْنَا حَاشَا لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا)
يعنون : ما هذا كلام بشر جسدي ، ان هذا الا كلام الملائكة الروحانيين .

« قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِي فِيهِ ، وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ
نَفْسِي ، فَاسْتَعْصَمَ ، وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيَسْجَنَ
وَلَيَكُونَ مِنَ الصَّاغِرِينَ »

يقول لئن لم يظهر ما عنده ، لأقطعنه من المفاتحة ، ولأسقطه ^(١) من
درجته .

« قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ، مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ »

أي قطعي من المفاتحة ، أحبُّ إلي من ان اطلق لهم ما ينبغي اطلاقه
لثلمهم ، على غير الحدود الواجبة في ذلك .

« وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ »

أي مما راموا مني .

« وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ » ، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ

كَيْدَهُنَّ »

أي رفع عنه من أراد منه ما لا ينبغي له وعصمه من ذلك

« ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ »

يقول : بدأ لهم ولصاحبهم ان يقطعوه عن المفاتحة ويمنعوه عنها ، الى
مدة لينظروا في أمره ، لما شاع خبره بين الناس ، وخافوا ان يتغلب
عليهم ، واسكتوه من بعد ان ظهرت لهم آياته وعلموا صحته ما هو
عليه ، واسكنوا معه رجلا كانا قد استجابا لأمره ، وأهلها ان يكونا

(١) في نسخة (هـ) وردت (الاساقطة)

بعض أسبابه ، وذلك قوله عز وجل .

« وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا »

يقول اني أرى نفسي قائما بتأويل الظاهر ونشره .

« وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ »

يقول : اني أرى نفسي اني أقوم بحسن سيرة ولي امري ، وبشرها بما يكون عدة للمفاتيحين ، يعني من الرموز والاشارات بالتأويل الباطن ،

« أَنَدَيْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ، قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا »

يقول لا يصل اليكما امر وما تتالان من الحظ ، الا عرفتكما به ، قبل اطلعكما عليه .

« ذَلِكَ بِمَا عَلمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ، وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ »

فاظهر لهما امره ، واطلعهما على نسبه ، وأخبرهما ان الذي عنده من العلم ، انما صار اليه عن مربيته بالحكمة ، ففتح لهما بعض سره .

ثم قال لهما « يَا صَاحِبِي السِّجْنِ » اي يا صاحبي الكتان .

« أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ »

يقول ائمة تفرقوا واختلفوا ، يعني أهل الظاهر خیرام أمام واحد ، قام بامر الله لا اختلاف بما جاء به ، بل هو واحد الزمان ، قائم بامر الله الواحد القهار .

« مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ »

يقول : ما تعبدتم الا قوماً ، نصبتموهم انتم ، وعلمائكم بآرائكم فاملوا لكم ، وحرموا عليكم ، واطعتموهم في ذلك فعبدتموهم من دون الله، وهذا قول الله عز وجل .

« اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ »

وكقول رسول الله (ﷺ) لما قال له ما كنا نعبدكم يا رسول الله ، وكان القائل (عدي بن حاتم) فقال له الرسول (ﷺ) اما كانوا يحللون له ويحرمون عليكم فتأخذون عنهم قال : نعم فقال : تلك عبادة منكم لهم ان الحكم إلا لله ، أمر ان لا تعبدوا الا آياه ، ذلك الدين القيم ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون ، ففاتحهم من التصريف والتوقيف بما ثبتها به .

ثم قال :

« يَا صَاحِبِي السِّجْنِ »

اي يا صاحبي السر والكتان « أَمَا أَحَدُكُمْ » اي الذي قال له

« إِنِّي أَرَانِي أَعَصِرُ خَمْرًا »

فيسقي ربه خمرًا اي يكون من بطانته ، وصاحب سره ^(١) ، وبلي باطن علمه ، ويؤدي الى من دونه عنه ،

« وَأَمَّا الْآخِرُ فَيُصَلَّبُ فَيَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ »

يقول يقوم داعيًا شريفًا ، فينال المأذونون علم الرئيس من قبله .

« قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ »

اي قد تم هذا الامر لكما ، وقضيت به ، وأقتكما له .

« قَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ »

يعني عند صاحبه الذي سيلازمه « فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ » اي انساه

هواه الذي غلب عليه ان يذكره عند ربه « فَلَيْثَ فِي السَّجْنِ »

اي في الستر والكتات (بَضْعُ سِنِينَ) قالوا أربعة ، وقالوا تسع وذلك مثل الحدود التسعة : ومجموعهم أربعة . يقول : واحد اثنان ثلاثة أربعة اربع كلمات تجمع تسعة اعداد ، وقد تقدم ذكر هذا بتمامه .

« قَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعُ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعُ سُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَى يَابَسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ افْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِالرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ »

ان الملك الذي كان يملك مصر يومئذ ، تفكر فيما القى اليه يوسف عليه السلام من رموز ^(٢) الحكمة ، فجمع اهل بطانته وخاصته ، وقال

(١) وردت في نسخة (هـ) (سيرة) . (١) وردت في نسخة (س) (زبور)

لهم : اني أرى كذا وكذا ، وهو ما ذكره من امر البقرات السمات
ويعني بهم حجج الناطق « يَا كُلُّهُمْ سَبْعُ عِجَافٍ »

يعني حجج الائمة اي يصير علمهم اليهم ، فيكون ذلك هو السمن ،
وهو العلم « وَسَبْعُ سُتَبَلَاتٍ خُضَرَ » يعني الائمة السبعة ، الذين اخضروا
بالتأييد ، والبيان مثل الآخرين الذين انقطع التأييد عنهم بانقطاعهم .

« يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ افْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ »

يقول ان كان عندكم علم من التأويل ، فأخبروني به هذا سؤال امتحان
كان منه لهم لا سؤال استفادة ، لأنه انما أراد ان يوقفهم على عجزهم ،
ولمأتهم بالبيان ، من قبل يوسف عليه السلام الذي انكروا امره ، وذلك
لما أراد اطلاق دعوته ورغب الدخول في امره .

(قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ)

يقولون هذا تخليط من القول ، وما نعرف تأويله ، ولا معناه .

(وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا)

يعني من الرجلين المتصلين بيوسف (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) اي بعد حين .

« أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ »

أي الى يوسف فأرسله الملك ليحضره اليهم ، وطلب منه ان يبين ما
عنده ، ويطلق القول به .

« أَيُّهَا الصَّدِيقُ افْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَا كُلُّهُمْ سَبْعُ »

عِجَافٍ ، وَسَبْعُ سُتَبَلَاتٍ خُضَرَ وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى

النَّاسِ ، لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ : قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا
حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ فِي سُبُلِهِ «

فجاءه الرسول بجوابه يقول : ان علة هؤلاء الحدود المعدودين ان النطقاء
سبعة ، وقد أقاموا أسسهم السبعة ، ليزرعوا الحكمة في أديارهم ، بقلوب
المستجيبين لهم فما حصدوه ، اي نالوا ثمره ، أقروه في معاده ، ولم
يبدروا ليحيوا به الحياة الأبدية .

« إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ »

يعني ما تفضلت به الأسس على الائمة ، فإنه لا ينتقل اليها ثم يأتي
من بعد ذلك سبع شداد ، يعني الائمة بين كل ناطق وناطق .

« يَا كُلُّنَا مَا قَدَّمْتُمْ لَهْنَّ »

اي يصير ذلك العلم اليهم فيعطونه حججهم .

« إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُخْضُونَ »

الا ما تفضل به الائمة على الحجج من العلم فانه لا يصل اليهم ، فأخبر
عن أدوار النطقاء ، وأدوار الائمة ، كيف تكون ، وعن العلم كيف
ينتقل فيهم .

« ثُمَّ يَأْتِي مِنْ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ فِيهِ يُغْصَرُونَ »

يعني أنه يأتي من بعد هذه الادوار القائم المنتظر ، وهو قائم الزمان
الذي ينفي بعصره كل تقليد ، ويخرج ما فيه من المعاني اللطيفة ، والعلم
الحقيقي ، كما يعصر العنب والزيتون وغير ذلك من الحبوب ، فيؤخذ
صفوه ، ويرمى بكدره ، ففتح يوسف هذا للرسول ، وهو صاحب

الحجر الذي وعده ان يقيمه هذا المقام، واطلقه ^(١) واذن له بالمفاتيحة ^(٢) ،
فأتى الى الملك واصحابه ، واخبرهم بذلك فسمعوا منه ما لم يخطر بقلوبهم
وأرسل اليه ليأتيه ، ويفاتحه بعد ان بسط عند أهل خاصته حاله ،
وعرفهم فضله ، لئلا يأخذوا ذلك عليه ، كما أخذوه على صاحبه من قبل .
قال يوسف لذلك الرسول :

« إِزْجَعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ ، مَا بَالُ النَّسْوَةِ الَّتِي قُطِعَ
أَيْدِيَهُنَّ ، إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ »

أراد من الملك ان يؤكد عندهم امره ، ويحتج عليهم به لئلا يكون لهم
فيه بعد ذلك ، مقال ، فانصرف اليهم بذلك ، والى الملك ، فغفرهم الملك
وسألهم عما راموا منه ، بقوله :

(قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَأَوْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ
اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ)

وقال صاحب الملك اي صاحب امره وحجته ، الذي كان يوسف
عنده .

(الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ إِنَّا رَأَوْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ
الصَّالِحِينَ)

يعني كان صادقاً بما قاله يومئذ .

(ذَلِكَ لِيَعْلَمَ إِنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَإِنَّ اللَّهَ لَإِيْهِدِي كَيْدَ

(١) في نسخة (س) وردت (واطلعت) .

(٢) في نسخة (هـ) وردت (بالمفاتيحة) .

الْحَانِينَ وَمَا أُرِي. نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي
إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ، وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ اسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي)
يقول استعداه لنجاة نفسي ، وأسلم أموري كلها إليه ، فأتي به .
وقال له الملك .

(إِنَّكَ أَلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ)

قال يوسف للملك بعد ان واثقه ، واخذ عليه العهد ، كن انت على
ما أنت عليه من ملكك ، وظاهر امرك .

(اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ)

يعني جد الاساسية الذي امله يعقوب له ، وأقامه فيه ، أبسط
للدعوة ، واقم حدودها ، وأمر بها ، ففعل فأقام يوسف لواحقه في
الجزائر ، وفشت دعوته ، وانتهى خبره الى أبيه ، بما فتح له ، وصار
اليه ، وذلك قول الله عز وجل .

(وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ، يَتَّبِعُوا مِنْهَا
حَيْثُ يَشَاءُ)

يعني تمكينه من الاساسية ، فينزل نفسه منها حيث يشاء ، فوسع
علمه بذلك غير ممنوع من شيء منه ، فعلت دعوة يوسف ، واتصلت
وغزت وظهرت بظهور امر الملك وسلطانه اذ صار اليها ، وضعفت دعوة
يوسف ، وانقطع لواحقه الذين فعلوا بيوسف ما فعلوا عن الحكمة ،
ورفضهم المستجيبون لهم من قبل ، وصاروا في غمار الناس ، واقبل
الناس من كل جهة الى يوسف يقتبسون منه ، وجاء كذلك أخوه يوسف
فيمين جاء اليه ليعرفوا ما عنده ويستفيدوا منه ، اذ قد انتهى اليهم

عنه من نشر الحكمة ، وبلاغة القول ، لما ليس عندهم ، وهم لا يظنون انه هو صاحب ذلك ، وهو قوله تعالى :

(وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ)

يعني انه عرف حدهم ، وهم انكروا حده ، وما صار اليه من التأييد والحكمة ، ولم يعرفوه حقيقة المعرفة ، واعرض هو عن تعريفهم نفسه .

(وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ)

يقول : افادهم ببعض ما عنده ، وما ينبغي ان يفيدهم به ، ولم يكن اخوه الذي جهزه يوسف للاتصال به معهم ، فجعل يسألهم عن احوالهم حتى اخبروه خبرهم ، وان لهم اخاً من أبيهم .

(قَالَ أَتُونِي بِآخِ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرُونَ إِنِّي أَوْ فِي الْكَفْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ)

يقول : ان لم تأتوني به لا افتحكم ولا أكلمكم بشيء من الحكمة ، « قالوا سناود عنه اياه وإننا لفاعلون قال لفتياناه » يعني دعائه :

(اجْعَلُوا بَصَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا ، إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

يقول اجيبوهم في مسائلهم ، ليعرفوا جوابكم ، فلعلهم ان يعرفوا حقيقة الحق ، فاذا انصرفوا الى اصحابهم ، فيكون ذلك مما يدعوه الى الرجوع ، « فلما رجعوا الى أبيهم ، يعني فلما انصرفوا الى يعقوب ، أخبروه بالخبر :

(قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّمَنْغ فَسَادَ الْكَيْلِ ، فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا
نَكْتَلْ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

اي أرسله معنا يفتح لنا ، ونستفيد ، لانا لم نسطر شيئاً من الحكمة ،
ومنعنا من المفاتحة ، وإنا سنستفيد بسببه .
وقد قيل لنا ذلك :

(قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ
قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)
(وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ)

يعني تذكروا ما جرى من مسائلهم .

(وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ)

اي وجدوا ان دعاة يوسف قد أجابهم جواباً بجملاً :

(قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بَضَاعَتَنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ
أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا)

اي نستمد لاهل دعوتنا « ونحفظ أخانا » من ان يصل اليه من
المخالفين ، مثلما صار الى يوسف قبله (وَزَرَدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ) .
اي زرداد بعلم إمام يؤخذ من قبله (ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ) .
اي ما كان عندهم ، وما صار اليهم ، قبل هذا الخطاب من كثير
ما عنده :

(قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَأَتُنَبِّئَ

بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ، فَلَمَّا أَتَوْهُ مُوْتَقِنِينَ ، قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا
نَقُولُ وَكِيلٌ ، قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا
مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ)

امرهم ان لا تقصدوا داعياً واحداً باجمعكم ، ولكن تفرقوا على الدعاة^(١) ،
لتعرفوا ما عند كل واحد منهم ، وفي وجه آخر ، لا تسألوا عن نوع
واحد من العلم ، ولكن يسأل كل واحد منكم عن نوع .

(وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ)

يقول ليس بانتسابكم لي تعطون ما يجب لكم .

(وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ^(٢) مَا كَانَ يُغْنِي
عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ،
وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمَهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

يقول وجدوا ان ما قاله لهم أبوهم انه لا يغني عنهم من الله من شيء ،
فلا يعطوا بانتسابهم اليه إلا ما يجب لهم من المفاتحة .
وقوله :

(وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُونُسَ أَوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَخُوكَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

اي ضمه اليه ، وقربه الى نفسه ، واطلعه على ما ينبغي ان يطلعه
عليه ، بما اختصه به دونهم من حده ، واخبره انه لا بأس عليه من
مكرهم وحسدهم المعروف منهم قديماً له .

(١) وردت بنسخة (هـ) (الدعوة) (٢) وردت بنسخة (هـ) (أباهم) .

(فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ)

يعني أعطاهم ما استوجبوه من العلم .

(جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ)

يعني ما أتاه من مرتبة الدعوة وحظ التأييد دونهم ، كونه اطلعهم على ما لم يطلعهم عليه .

(ثُمَّ أَذِنَ مُؤَذِّنٌ آيَتَهَا الْغَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ)

يعني قال داع من الدعاة ، انكم قد أخذتم الحكمة ^(١) ، مما ليس من حدكم ، ومن حيث لا يجب لكم أخذها .

(قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ، قَالُوا نَفَقْدُ

صَرَاعَ الْمَلِكِ)

يعني بالصراع تقدير الحكمة التي يؤتها الناس على الترتيب والمقدار .

(وَلَمَّا جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ)

اي كل من صار اليه ، وحازه على حسبه وجاء به على وجهه فله منزلة حمل الأمام .

(قَالُوا تَا اللَّهَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا

كُنَّا سَارِقِينَ)

اي ما جئنا لنفسد في حد التأويل ، ولا نسرق منه ما لم نعطه ، ونحن ولد يعقوب ، وانما جئنا لنستعيد ما اعطيناه .

(١) في نسخة (س) وردت (الاحكام) .

(قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ، قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ
وُجِدَ فِي رَجُلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ)

يعنون من وجد معه ما لم يعطه ، ومد يده الى ما ليس له . والى
حد غيره يسلب ما كان عنده اولاً وآخرأ ، مثلما كان الحكم في
عصر آدم .

(كَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ)

اي من وضع الشيء في غير موضعه .

(قَبْدًا بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ)

يقول جعل يسألهم ويستخبرهم واحداً واحداً ، قبل أخيه فلم يأتون
بشيء من حظ التأييد ، ولم يجيبون الا بما القى اليهم ، ثم سأل أخاه ؟
فأجاب : بما ليس عندهم ، واتى بما يوجب حظ التأييد دونهم ، وذلك
قوله تعالى :

(اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ)

يعني الكلمة .

(كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ،
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَزَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي
عِلْمٍ عَلِيمٌ)

يقول كذلك اعطينا ليوسف الهداية ، الى افادة اخيه (١) ، وتأبيده

(١) في نسخة (هـ) وردت (اخاه)

على سبيل الناطق ، وهو في سلطان الملك ، فيأخذه اليه ، ويقيمه مقام
المؤيدين، تلطفاً منه يأذن الله له في ذلك بالتأييد الذي ألهمه به ما فعله .

« قَالُوا إِنْ يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ »

يعنون ان يكن هذا قد تعدى الى حد غيره ، ولم يعط ذلك فقد
فعل اخوه ذلك من قبله ، فقد سرق من ابيه حد غيره .

« فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ : أَنْتُمْ

شَرٌّ مَكَانًا »

يعني في قولهم الزور .

« وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ »

« قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ »

اي عزيز بما وهبه الله .

« إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا »

اي قد بلغ في الحكمة مبلغ الائمة ، وله حرمة جده .

« فَخَذُّ أَحَدَنَا مَكَانَهُ »

اي في تحطيرك عليه حد المفاتحة ، او اقامته لما شئت ان تقيمه له .

« إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ قَدْ

وَجَدْنَا عِنْدَهُ مَتَاعَنَا »

اي العياد بالله ان نأخذ بجل هذا الامر ، الا من جعل الله ققوله فيه .

« إِنَّا إِذَا لِنَظَّالِمُونَ »

اي اذا فعلنا ذلك نكون وضعنا الامر في غير موضعه .

« فَلَمَّا اسْتَيْسَاسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا »

اي اعتزلوا يتناجون « قَالَ كَبِيرُهُمْ » يعني اكثرهم علماً وهو الذي اشار عليهم في الاول بان لا يقتلوا يوسف .

(اَلَمْ تَعْلَمُوا اِنَّ اَبَاكُمْ اَخَذَ مَوْتَقًا مِنْ اَللّٰهِ)

يعني في ضمانهم بان يأتوا به .

(وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ)

يعني ما جرى من امرهم فيه ، يذكركم بذلك .

(فَلَنْ اَبْرَحَ اَلْاَرْضَ) اي مستقري الذي انا قائم فيه .

(حَتّٰى يَأْذُنُ لِيْ اَبِيْ) اي ولي امري .

(اَوْ يَخْجِكُمْ اَللّٰهُ لِيْ وَهُوَ خَيْرُ اَلْحَاكِمِيْنَ)

يعني بما يشاء .

(اَرْجِعُوْا اِلٰى اٰيِنِكُمْ فَهَوُلُوْا يٰۤاَبَانَا اِنَّ اِبْنَكَ سَرَقَ)

اي اخذ من غير حده ، ومدّ يده الى ما تجاوزه ، فأرتهن بعقله :

« وَمَا شَهِدْنَا اِلَّا بِمَا عَلِمْنَا »

اي هذا الذي ظهر لنا وعرفناه .

« وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِيْنَ »

اي ان في ذلك ما غيب امره عتّا ، فانا لم نحفظه ولم نعلمه .

« وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيْهَا »

اي اهل الدعوة التي كنا معهم .

« وَالْعِيرُ ^(١) الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا »

اي السيارة وهم المختلفون في الظاهر اي اسأل عن ذلك الموافق والمخالف ، فانه امر قد ظهر علينا ، واشتهر ، وعلمه القريب والبعيد « وَإِنَّا لَصَادِقُونَ » بفعلهم بما اشار به عليهم ، وقالوا ذلك ليعقوب ، فلم يقبله منهم .

(قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا)

اي حدثتكم انفسكم فيها ، بما ليس هو كذلك في الحقيقة .

(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا)

اي يبلغا مبلغا من التأييد .

(إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

(وَتَوَلَّى عَنْهُمْ) اي قطع عنهم امره .

(وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ)

يقول اسفي عليه ان لم يكن ما انقطع عني صار اليه .

(وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ)

اي انه انقطع عندما كان يتصل به من مادة الاصلين ، وصار ذلك الى يوسف .

(قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا)

(١) وردت في نسخة (هـ) (العيار)

اي تشرف على الهلاك (وَتَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ)
اي لا تزال تذكر يوسف ، حتى يذهب ما عندك ، وما انت فيه ،
فاعرض عن ذكره ، واقبل على نفسك .

« قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ »
أي إنما أقول ذلك فيما بيني وبين الله ولا أذكره الى من دونه .
« وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ »

اي اني اعلم من حفظه لأمره ، وأنه وان قطعه عني لم يخرجني عن
يوسف ولم يبعد عنه .

« يَا بُنَيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسِبُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ
رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرِينَ »
يقول اختبروا الامامة ، أين حلّت ، والبابية ^(١) لمن صارت ، ولا
تياسوا من فوائده رحمة ، فإن اليأس المحض من ذلك كفر ، ولكن متى
تداخلهم اليأس ، فيرجون الفرج ، وذلك قول الله عز وجل :
« حَتَّى اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا فَجَاءَهُمْ
نَصْرُنَا »

فلم يياس الرسل من فوائده رحمة الله واذا تداخلهم اليأس فمن الناس .

« فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ »

اي على يوسف .

« يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ قَدْ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ »

(١) في نسخة (س) وردت (الباباوية) .

يعنون النقص من الفائدة .

« وَجِئْنَا بَبَضَاعَةٍ مُزَجَّاةٍ »

اي مسائل ضعيفة لا تؤدي بنا الى علم ما تؤمله من علم الحقيقة .

« فَأَوْفِيْنَا أَلْكَيلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يُجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ »

اي تفضل علينا من قبلك من الفوائد ، ما لعلنا لا نحسن السؤال عنه ، ولا تنتهي اوهامنا اليه .

« قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ »

يقول هل تأملت ما جرى منكم في أمر الأمام ، وبابه ، وانكم ارتكبتم ذلك يجهل منكم قدرها .

« قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُّوسُفَ »

اي انت الامام .

« قَالَ أَنَا يُّوسُفُ وَهَذَا أَخِي »

وكشف لهم عن حده من الامامة (١) ، وحد أخيه من البابية (٢) ،

وانه أول اللواحق له « قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا » يعني يهذين الحدين .

« إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ »

يعني من اتقى ان يشرع في حد غيره ، وصبر عن ذلك ، وما تشوق نفسه اليه ، مما هو فوقه لم يضيع ذلك عند ربه .

« قَالُوا تَا لَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ »

(١) في نسخة (هـ) وردت (الامامية)

(٢) في نسخة (س) وردت (الامامية) .

أترك بالامامة دوننا ، وان كنا قد اخطأنا فيما أردناه من دفعك عن مقامك .

« قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ »
اي يحو عنكم ، ويستر عليكم .

« اذْهَبُوا بِشَيْبِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا
وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ »

يقول اذهبوا بجد الامامة التي البسني الله اياها ، فآلقوا ذلك على وجه ابي ، فان التأييد يتصل به فيصير الى ما كان عمي عنه

« وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ »
اي بأهل دعوتكم اجمعين ، فردوهم اليّ

« وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ،
لَوْلَا أَنُ تُفِيدُونَ »

يقول لما أتوه ، وقد انفصلوا من فوائدهم ، أحس يعقوب بالتأييد ، من جهة يوسف .

« قَالُوا تَا اللَّهُ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ الْقَدِيمِ »
اي ما كان عليه قبل ان يتصل به شيء من امر الله .

« فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ »
يعني الخيال المتصل به الذي كان يعرفه .

« أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا »

صار مؤيداً كما كان .

(قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قَالُوا
يَا أَبَا نَارًا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ، قَالَ سَأَسْتَغْفِرُ
لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

سألوه الستر ، والدخول في الامر ، فوعدهم ان يسأل ذلك لهم .

« فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ »

يقول دخلوا في ولايته . (آوي اليه آويه) اطلعها على حده .

« قَالُوا : ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ أَمِينٌ . »

يقول ادخلوا في الدعوة ولا تخشوا السقوط ان شاء الله تعالى :

« فَدَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ »

يعني ابويه الذين توليا دعوته ، جعل لهما حظاً من الدرجة التي

اختص بها « وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا » يعني خضعوا بالاقرار له بما أناه الله
من حد التأييد ، وقبلوا عنه ما جاء به .

« وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلَ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا »

اي حقق لي ربي ما كان قد ألقاه اليّ أولاً ، ورأيت ان

اطلمك عليه .

« وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ »

اي من حد الحرمان والمنع .

« وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ »

أي مما كنتم أبتدأتم به الى الأخذ عني .

« مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي »
يعني ما تقدم منهم .

فصل ابوب . .

كان ابوب عليه السلام من ائمة دور ابراهيم (ﷺ) وقد ذكره الله عز وجل في كتابه ، فقال :

« وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ
بِنُضْبٍ وَعَذَابٍ »

عنى بالنصب الشر ، وبالشيطان ضده في زمانه ، وكان من الفراعنة المتغلبين ، وقد استضعفه وتغلب عليه ، واستمال اهل دعوته ، فمالوا عنه اليه ، ودفعه عن مكانه ، واسقطه في أعين الناس ، ومن ذلك قوله تعالى :

« وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ »

وفي الحديث ان ابليس تسلط عليه ، فقتل أولاده عن آخرهم ، وذهب بجميع نعمته ، وما كان له من حيوان ومال ، ثم ابتلاه في بدنه وذهل ، وسرت فيه الديدان ، ورمى به على مزبلة ولم يعد يقرب منه أحد غير امرأته .

فتأويل ابليس هو ضده في زمانه ، وقتله أولاده ، هو صرفه اهل دعوته ، والديدان مثله مثل الذين كانوا استجابوا له ثم تولوا عنه ، فهم

يأكلون من لحمه اي ينالون من علمه ، وليسوا من شكله ، ولا على صورته .
وفي الحديث ايضاً انه كان يرد ما يقع من الديدان ^(١) عن بدنه اليه ،
ويقول له كل من رزقك الذي رزقك اياه الله .

تأويل ذلك انه كان ينبئهم من العلم رجاء ان ينتفعوا به ، ويرد من
تزع منهم عنه اليه ، وان كانوا على غير طريق استقامته ، وامراته التي
صبرت عليه ، واقامت معه هي صاحبة سره وحجته ، ومثل الضر الذي
اصابه مثل عجزه عن القيام بالدعوة ، وإقامة اللواحق والدعاة ^(٢) ،
والمزلة مثل ظاهر شريعة متقدمة نسبت اليه ، فصار لذلك لا يقربه
مرتاد ، ولا يدنو منه مستجيب ، ولا يقبل عليه راغب ، ولا يقدر
على اقامة شيء من امر دعوته ، لتغلب ضده عليه ، وذلك هو البلاء
العظيم .

فلما استجاب الله عز وجل دعاءه ايده من العلم الحقيقي ببادء امده
بها ، وهو قوله تعالى :

« أَزْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ »

اي بادر بإقامة حد من حدودك لنشر هذا العلم فانه يغسل كل قدر
من كان جهل الامة قد اضيف الى ظاهر دعوتك ، ففعل فانصرف اليه
أهل دعوته ، وصار اليه غيرهم ، وهو قوله .

« وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولَى

الْأَلْبَابِ »

ففرج الله عنه ، واطهره على عدوه ، واستقامت له دعوته ، وفي

(١) في نسخة (هـ) وردت (الدود)

(١) في نسخة (س) وردت (والدعوه) .

الحديث انه اغتسل من الماء فبريء جسمه ، وان الله ردّ اليه من مات من اهله وولده ومواشيه ، وحيواناته بعد ان ماتوا .

تأويل ذلك ان اهل دعوته عادوا اليه ، ودعوته صلحت له ، وفي الحديث ايضاً : انه كان تقم على امرأته ، واقسم ان سوف يضربها ، فلما زال عنه البلاء ، وعلم حسن مقامها معه ، ندم على ذلك وقد قال الله تعالى :

(وَخُذْ يَدَيدِكَ ضَعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ)

وتأويل ذلك انه كان اطلع على ان بابيه احدث عليه شيئاً مما كان داخله من النقص ، فحلف انه سيقطعه ، فلما فرج الله عنه ندم على ما سبق من اليمين الذي حلفه حفظاً منه على بابيه ، وصبره عليه وثاب اليه ، مما كان منه ، فقبل له : اجمع لواحقك فاكسر هذا الذي حلفت عليه ، بحظه الى من هو دونه ، ولا تحنث^(١) ، وابقه في درجة اللواحق ، ولا تسقطه بغير جرم ثبت عليه ، بل ارجع عنه ، وتب اليه منه . والضمث الجماعة من الشيء ، كفضبان النبات تجمع ، وذلك مثل جمعه اللواحق ، وقوله تعالى :

(إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا)

يعني بابيه الذي تقم عليه وصبر الباب على ذلك وقوله تعالى :

(نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ)

اي انه راجع الى ما يرضي الله عز وجل ، وغير راضٍ على ما يكرهه جل ذكره ، وذلك ما كان من الانابة والتوبة بما كان فيه .

(١) وردت في نسخة (هـ) هكذا ولا (تحنث) .

فَصَّة شَعِيب . .

شعيب صلوات الله عليه . كان في آخر أدوار ابراهيم ، وبه اتصل موسى صلوات الله عليهم ، وهو الذي أتم له لواحقه ، وقد كان عجز عنها ، وسنذكر ذلك في موضعه عند ذكر موسى ، وكان شعيب بمدين^(١) اماماً منصوباً يدعى اليه ، وأحد دعااته موسى ، وكان في مصر يدعو اليه ، وكان من امره ما كان ، وسنذكر ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى ، ومما ذكره الله عز وجل من امر شعيب قوله تعالى :

(إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا)

يعني أخاهم بالولادة الجسدية ، واخوة الدين كما ذكرنا في قصة هود وصالح ، ولم يذكر الله سبحانه تعالى بذلك إلا من كان من الائمة في ادوار المرسلين فنسبهم الى ابوة ذلك النبي على ما قدمنا ذكره في قصتي هود وصالح :

(قَالَ يَا قَوْمِي اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)

فهذه دعوة النطقاء اجمعين الى الظاهر بالتقليد .

(قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ)

يعني بالبيننة نفسه وامامته .

(١) في نسخة (هـ) وردت (بمدينة) .

(فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ)

باطن ذلك القيام بما يوجبه الناطق ، من حد الظاهر ، لانه ميزان الله الذي يوزن به اعمال المخلوقين ، واقبلوا بعد قبول الظاهر على ولاية بابه المنصوب لتأويل الظاهر ، فانه مكيال الله الذي تكال به الحكمة للخلق :

(وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ)

يقول لا تردوا امر الله الذي أتاكم ، فتبخسوا الناس حظهم منه يردكم اياه .

(وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا)

يقول لا تفسدوا في الاساس الذي اقامه الناطق لتأويل شريعته ، وظاهر ذلك محرم مثل باطنه ، وهو النقص في الكيل والوزن ، والفساد في الارض .

(وَلَا تَعْدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ)

الصراط في اللغة الطريق ، وكذلك هو في التأويل طريق الدين ، وأوله الذي يقصد منه هو الناطق امر الله العباد بقبول حده اولا ، وهو الظاهر واستعماله ثم يتمشون على ذلك الى حد الاساس ، وهو الباطن ، فيصيرون اليه لان الباطن انما يكون تأويل للظاهر ، فلا ينبغي ان يسبق التأويل للظاهر ، لانه انما يتأول المتأول ويشرح ما قد سبق من الظاهر .

ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى :

(لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ)

فالشمس مثل الامام ، والقمر مثل الحجة ، فالامام هو السابق ،

وكذلك الناطق والاساس ، فالاساس يلحق الناطق ويدركه ، والحجة كذلك يلحق الامام ويدركه ، لان الامام يلحق الحجة ، ولان الناطق يلحق الاساس ، ومثل النهار الظاهر لان الاشياء فيه تظهر ، وهو حد الشمس ، وبطلوعها يكون ، مثله ان الظاهر هو حد الامام ، وحد الناطق ، والليل مثل الباطن والكتان لان الاشياء فيه تستر ، وهو حد الحجة ، وحد الاساس ، والحجج هم كالمراحل في الطريق ، فذلك معنى الصراط في الباطن ، واصله الناطق في عصره ، والامام في زمانه ، واللواحق حدوده ومراحله ، وكذلك الطريق الى البيت الحرام .

وقد قدمنا ان مثله الامام ، والحاج مثله المستجيب وبيته مثل داعيه الذي يأوي اليه ، ويسكن الى قوله ، كالبيت الذي يأوي اليه ساكنه ، ويسكن فيه ، ويستره ، فاذا اراد ان يرقى الى معرفة حد الامام ويبلغ درجة الصالحين ، لزم الطريق من بيته اي من داعيه ، ومثل ذلك هو أرقاء الداعي اياه في حدود المعرفة باللواحق والآيات التي جعلت لهم شواهد ومعالم ، فلا يزال ينتقل من مرحلة الى اخرى ، وهو على الطريق الى ان يبلغ البيت الحرام ، وذلك حد الامام فإذا انتهى اليه وعرفه ووقف على حدوده ، وطاف به ، وقضى مناسكه ، وأدى فروضه ، انصرف الى بيته على الطريق ملازماً له اي عاد الى داعيه فأوى اليه ، فان عدل عن الطريق او عن مرحلة من مراحله في انصرافه اخطأ بيته ولم يكن له مأوى ، وفرق بينه وبين اهله كما يكون كذلك من عدل عن الحق فانه يفارق المؤمنين وينقطع عن الامام ولواحقه ومادته فهذا هو الصراط المستقيم الذي امر الله عباده ان يسألوه الهداية اليه ومثله في الباطن .

فكان قوم شعيب يصدون الناس عن دعائه ولواحقه ، ومن قصد

اليه ، ويتواعدونهم ، ويخوفونهم ، وذلك قوله تعالى :

(وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تَعِدُونَ ، وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ

اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَتَبْغَوْنَهَا عِوَجًا)

اي تريدون عوج هذا السبيل بصرف من سلكتها ^(١) عن حدودها ، والاستقامة عليها ، الى ان يبلغ غايته فيها .

والصراط ايضاً في وجه التمام واصله من العلو ومنتهاه اول الحدود العلوية ، وقد قدمنا ذكرها ايضاً الى اتصالها بالرسول ، ثم بالاساس ، ثم بالامام بعده ، ثم ببابه ، ثم بلواحقه ، ثم بدعائه ، ثم بالمأذنين لهم بالكسر على المستجيبين ، وارتقاء المستجيب هو بعلمه بهذه الحدود ، وذلك من حده الى الحد الاعلى ، وكل حد من هذه الحدود هو حد الصراط لمن فوقه ، اي الى الطريق بين المرحلتين ، والطريق واحد ومراحله وحدوده ينزل فيها الماشي عليه ، فيأوي اليها ، ويسكن فيها ، ويستريح بها ، وينال من الطعام والشراب ما يحويه ويقوم به ، ويقويه على سفره ، كذلك ينال المرتاد ^(٢) في هذه الحدود من العلم والحكمة ما يحمي به روحه ، ويقويه الى بلوغ غايته ، التي يجد عندها الحياة الدائمة الابدية ، ومثل ذلك على التقريب من المعقول ، مثل المسافر وما يحده في المناهل ، مما يقتات به سائر ليلة مبيتة بذلك المنهل ومسافة ما بينه وبين المنهل الذي يليه ، فلا يزال كذلك حتى ينتهي الى مكان مستقره ، الذي قصد اليه ، فيكون له فيه قوته ، ما دام فيه .

والشواهد والدلائل والايضاحات في هذه كثيرة اقتصرنا منها على

(١) في نسخة (هـ) وردت (سالكها) .

(٢) وردت بنسخة (س) (المرتاع) .

ما يوجب هذا الحد الذي شرحناه من حدود التأويل ، واشبعنا القول في ذكر الصراط اذ جرى ذكره لما افترض الله من سؤاله في كل ركعة من الصلاة في كل يوم وليلة ، وعند كل استفتاح تلاوة يقرأ بها بفاتحة الكتاب آية الهدى . وذكر :

(صِرَاطَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)

فانه استثنائهم من ان يكون لهم صراط يقصدون اليه غير امام زمانهم ، وان كانوا ربما سلكوا بين مراحل ، ونزلوا فيها كما يكون بعض اهل الجهل والضلال ربما ركنوا الى بعض حدود اولياء الله وسألوه عن بعض ظاهري دينهم ، واخذوا عنهم ، وعن اولياء الله كما قد اخذوا عن علي ومن بعده ، الى جعفر الصادق بن محمد صلوات الله عليهم ، ومن بعدهم ، مثل من اخذ عنهم من العوام وهم لا يعقدون بامانتهم ، ولا يقصدونهم كذلك ، ولا يعرفون فضلهم .

ومثلهم في ذلك مثل من سافر الى مكة ممن هو على غير الملة ، او من لا يريد الحج ، ويبتغي غرض الدنيا من التجارة وغيرها ، فسلك^(١) الطريق ونزل المناهل ، وآوى اليها ، وأكل ، وشرب فيها ، وليس قصده حج البيت الحرام ، ولا يخطر بباله فضله ، ولا فضل طريقه ومناhle ، وما قد قدر الله عز وجل عليه ذلك لقوله لا شريك له .

(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ)

(١) في نسخة (هـ) جاءت (فسلم) .

ثم نعود الى ما ذكره الله عز وجل من قول شعيب نسقاً على ما قدمنا ذكره .

وبيان ذلك في التأويل ، وهو قوله :

(وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا (فِي إِبْتِدَاءِ أَمْرِكُمْ فَكَثُرَكُمْ))

الله عز وجل باستجابة الناس الى ما اتم عليه فالיום بعد ان كثرت ، ومن الله عليكم بالقوة ، والكثرة هي ما قد غيرتم وخالقتم .

(وَاَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)

يعني الذين افسدوا على الرسول والائمة مثل ما افسدتم ، وما اعقبهم الله من عذابه .

(وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ ، وَطَائِفَةٌ

لَمْ يُؤْمِنُوا ، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)

يقول : ان كان من لم يكن آمن من جماعتكم قد انكروا ما دخلتم فيه ، فاصبروا حتى يحكم الله بيننا بحكمه كما حكم فيمن قبلنا ، ولا تترددوا اليهم على ادباركم .

(قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ

وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا)

يعنون من هذه الدعوة التي اجمعنا عليها (أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا)

اي ترجعون الى ما نحن عليه من محض الظاهر بلا تأويل .

(قَالَ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ)

يعني لذلك الرجوع .

(قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مَكَرِكُمْ بَعْدَ أَنْ نُنَجِّيه
اللَّهُ مِنْهَا)

اي لقد قلنا الكذب على الله ان نحن انكرنا التأويل وكذبنا به .
(وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ
رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا)

اي ما يكون لنا ان نعود الى الظاهر المحض ، وندعي التأويل الا
ان يشاء الله ان يجعل للمفسدين ظاهراً يبدوون به ، فهو اعلم بمن ينبغي
ذلك له .

(رَبُّنَا افْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ)
ومن ذلك قوله :

(قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقْتُمْ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ)
يعني بذلك قول الذين سمعوا التأويل ، ممن كان استجاب لدعوته ،
ثم خالفه اي كلامك الذي جاءنا به دعائك من التأويل هو كلام غريب
لا نفهمه .

(وَإِنَّا لَنَرَاكَ مَيِّتًا ضَعِيفًا)
اي ضعيف الحجة .

(وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَحَمْنَاكَ)

اي لولا من اقام على امرك ممن استجاب منا لك لرميناك بالقبح من
القول ، وكسرنا كلامك ^(١) ، لكننا متى فعلنا ذلك بك ، كنا قد

(١) في نسخة (س) جاءت (كلامكم)

قلنا فيهم مثل ما نقول فيك ، وهم منا فختلف ونتعاجز ، وتنفرق
ولا ندري ما يكون بعد ذلك (وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)

ولكن الذين يعزون علينا اكثر منك هم الذين اقاموا على امرك منا .

(قَالَ يَا قَوْمِي اذْهَبِي اَعِزِّي عَلَيَّكُمْ مِنْ اللَّهِ وَاتَّخِذُوهُ
وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)

يعني هؤلاء اعز عليكم من الله ، فقد قلم فيه ما عسى ان اردتم
ان تقولوا لي ان كنتم كذبتم بآياته ، وأوليائه .

(وَيَا قَوْمِي اَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ)

اي اعملوا على حدكم من الظاهر واني عامل على حدي منه ومن تأويله
بن اقته له .

(سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ
وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ)

وقال في موضع آخر :

(وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ)

قال عز وجل :

(وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ
الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ)

كان لم يقنوا فيها بالامس .

(أَلَا بُعْدًا لِلَّذِينَ كَمَا بَعُدَتْ ثَمُودُ)

وقال في موضع آخر .

(فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ ، إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)
فالصيحة هي قرع الحجة لهم بحجج التأويل والرجفة ارجاف قلوبهم
بذلك ، وقطعهم من حجة يحدونها عليه ، وذلك لما اراد الله عز وجل
هلاكهم فاحتج صاحب الزمان عليهم ، ليخرجوا من الدنيا معذبين
بعذاب الحجة محجوجين ، وبعذاب الظاهر مهلكين ، فأثم عذاب
الله ، فأهلكوا عن آخرهم ، كما ذكر الله سبحانه صلاة هلاكها ظاهراً
وباطناً ، كما اهلك من قبلهم وذلك هو الهلاك الكامل (١) .

(١) كانت الامامة تجري بطريق التسلسل من اب الى ام بدون شذوذ
ولكن في عهد ابراهيم اختلف هذا النظام ففرض الله ان يكون من ذرية الناطق
ابراهيم ائمة مستودعين معروفين بين العامة قائمين بوظائف الدور كما يجب وان
يكون من ذريتها ناطقين هما موسى وعيسى وهؤلاء تسلسلوا من اسحق بينما تبقى
الامامة المستقرة في اسماعيل وولده الى نهاية الدور الكبير ويكون من ذريته
محمد وقائم الزمان ولا يكون هؤلاء إلا من أب الى ابن بينما المستودعين يجوز
ان تنتقل الامامة بينهم من اخ الى اخ او ابن عم على شرط ان يكون من عائلة
اسحق ولهذا فاننا نورد اسماء الائمة المستودعين ثم نتبعهم بالمستقرين . (اسحق)
هو ابن ابراهيم الخليل ولد عام /١٠٠/ من ولادة ابراهيم وامه ساره ، كان يقيم
بين الشام وبيت المقدس وكان اساساً مستودعاً وستاراً على الاساس المستقر
اسماعيل اخيه ، توفي عام /٢٨٠/ من ولادة ابراهيم وقد عاش /١٨٠/ عام ودفن
في بيت المقدس بعد ان سلم الامر لولده يعقوب عليه السلام . (يعقوب) ولد
عام /١٦٠/ من ولادة جده ابراهيم وكان يقيم بين الشام وبيت المقدس
ثم هاجر الى مصر مع جميع افراد عائلته وتوفي فيها سنة ٣٠٧ ابراهيمية
ونقل جثمانه الى بيت المقدس وقد عاش /١٤٧/ عاماً وسلم الامر الى ولده
يوسف . (يوسف) ولد عام /٢٥١/ ابراهيمية بين الشام وبيت المقدس ثم هاجر
الى مصر قبل والده يعقوب وقصته في القرآن واضحة وقد توفي في مصر ودفن
فيها وعندما هاجر موسى من مصر ببني اسرائيل الى صحراء التيه نقل جثمان

يوسف معه واحتفظ به هناك ثم انه بعد وفاة موسى نقله يوشع بن النون ودفنه بالقرب من نابلس وكانت وفاته عام / ٣٦١ / ابراهيمية وعاش / ١١٠ / سنوات وسلم الامر لولده (افرايم). لم نعثر على تاريخ ولادته ولا وفاته ولكن المعروف عنه انه ولد له في مصر (رازح) هو ابن العيص اي (عيسو بن اسحق بن ابراهيم) وقد استلم الامامة المستودعية بعد افرايم بن يوسف. (أيوب) هو ابن موسى بن رازح بن عيسو بن اسحق بن ابراهيم الخليل وكان يقيم بموقع يدعى (البتيانة) من أعمال دمشق لم نعثر ايضاً على تاريخ ولادته ولا وفاته ولكنه استلم من عمه رازح الذي كان وصياً على افرايم وسلم الامر لولده يونس وقد عاش / ٩٣ / عاماً. (يونس) واسمه ايضاً يونان وبشر بن ايوب وفي القرآن (ذا النون) ارسل الى اهل نينوى مقابل الموصل تاريخ ولادته ووفاته مجهولتين ولكن قد سلم الامر الى شعيب . (شعيب) لم يذكر التاريخ شيء عن نسبه وتاريخ ولادته ووفاته يسمى في التوراة رعوثيل ويثرون كان يقيم في مدين وقد توفي بعد ولادة موسى وان موسى اتصل به ويعتبر من الأئمة المستودعين المتمين لدور ابراهيم اما ائمة الاستقرار فهم : اسماعيل ولد عام / ٨٦ / من ولادة ابراهيم وامه هاجر وهو ابن / ١٣ / سنة وكانت ولادته ما بين الشام وبيت المقدس ثم نقله والده الى مكة المكرمة مع والدته هاجر وكان عمره يومذاك ما يقارب العشرين عاماً ، تزوج امرأة من قبيلة جرهم وقد ساعده والده على بناء البيت وتوفي في مكة عام / ٢٢٧ / من ولادة ابراهيم وعاش / ١٣٧ / سنة وسلم الامر الى ولده قيذار وقيذار سلم الى سلامان وسلامان الى بنت وبنت الى الهميسع والهميسع الى يقدم ويقدم الى يقدم ويقدم الى « أد » وهو متم دور الاستقرار بعهد ابراهيم كما انه والد عدنان الامام المستقر ومقيم دور موسى ايضاً.

الفصل الرابع

(وفيه تأويل قصص موسى وهرون وطالوت وداؤد
وسليمان ويونس وعمران وزكريا ويحيى صلوات الله عليهم)

قصة موسى

بسم الله الرحمن الرحيم

لما انقضى دور ابراهيم (عليه السلام) وكان خاتم دوره شعيب عليه السلام
أراد الله سبحانه وتعالى ، بعث ناطق كما سبق في تدبير حكمته ، وكان
موسى صلوات الله عليه ، وهو من بني اسرائيل الذين صاروا من يعقوب
الى يوسف بمصر ، وكانوا قبلا مع يعقوب في بلاد الشام ، ثم هاجروا
معه الى مصر ، وكان موسى من ولدها ، ونشأ فيها ، وكان القبط
يومئذ ملوكها ، وفرعون صاحب امرها ، وكان لشعيب فيها داع يدعو
سراً الى ما هو عليه خوفاً من فرعون ان يبدو ذلك في ملكه ، ولضعف
امر شعيب الذي قدمنا ذكره ، فأراد الله اظهار موسى فيها ، وايدته
بكلمته ، وبعثه بالسيف ، والبيان ، ومقاتلة فرعون مصر والاستظهار

بكسر ما هو عليه من انتحال دعوته الى دين الله الذي بعث فيه موسى وأوحيت له الحكمة ، والمنزلة ، والتأييد ، والقوة ، لانه متوسط النطقاء ثلاثة منهم قبله ، وهم آدم ونوح و ابراهيم ، وقد ذكرنا قصصهم ، وثلاثة بعده ، وهم عيسى ومحمد وقائم القيامة من ولده (اي محمد) ، وسوف نذكر بعد هذا من امرهم صلوات الله عليهم اجمعين .

ولما كان موسى وسطهم ، والوسط من كل شيء أقوى من الطرفين ، فان موسى اتصل بداعي جزيرة مصر ، وهو تحت حكم فرعون يكتم ايمانه ، كما قال جل ذكره فيما وصفه به وقد كان وسم نفسه بالظاهر باتباع ما عليه فرعون للتقية ، وكان الزمان زمان ضيق وشدة على المؤمنين ، وكان فرعون عندما رأى ضعفهم ، ادعى الامر لنفسه ، واقام الدعوة باسمه ، واستمال الناس اليه ، وحول الدعاة الى رسمه .

وذلك ما ذكرناه في قصة شعيب ، وانحراف اكثر اهل دعوته عنه لما استألمهم فرعون الى امر الدنيا بالرغبة والرغبة ، فلم يبق على الحق الا القليل من المؤمنين ، واستتر شعيب بمدين من ارض الحجاز ، وانقطع عنه التأييد ، وذلك ما جاء في الحديث انه عمي .

فلما صار امر فرعون ما صار اليه كان اكثر من بقي على الدين بمصر بنو اسرائيل وخدمهم وكان منهم دعاة الى شعيب ، قد عرفوا فأحضرهم فرعون الى عنده ، وامرهم بان يصرفوا الدعوة اليه ، واطهر شعيب البراءة من ذلك فأجابوه ورخص شعيب بذلك ، فكانوا يدعون الى فرعون في الظاهر ، وكانوا يأخذون الواحد بعد الواحد من المستجيبين ، فإذا رأوا فيه قوة للقبول ثبتوه على دعوة الحق ، فإذا اتصل بفرعون خبر احدهم امر بقتله وذلك قوله تعالى .

« يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ »

فالابناء امثال المستجيبين ، والنساء امثال الدعاة (١) ، الذين ظاهره
 بما ظاهره به من القبول عنه ، والدعاء له ، وكان موسى عليه السلام
 من استجاب لبعض دعاة شعيب الذين كانوا بصر تحت سلطان فرعون ،
 يظهرون الدعوة اليه ، فلما رأى ذلك الداعي في موسى من القوة والقبول
 ما رآه اطلعه على امر شعيب ، وامر من قبله ، وما جرى في ادوار
 الانبياء ، وكيف دارت النبوة فيهم ، واطلعه من الحكمة على ما يجب
 له في جده ، وكل ذلك يلحق عنه ويقبل منه .

فلما رأى ذلك الداعي فيه قوة القبول ، اطلعه على امر صاحب
 الزمان وشاوره في ان يرقيه الى حد البلوغ ، ووصف له حاله ،
 فارتاب (٢) صاحب الزمان في امره (اي امر موسى) وخاف عليه من
 عدوه فأوحى الله اليه ان يأمر ذلك الداعي بتربيته ، وان يرقيه الى حد
 التأييد ، وان الله سيؤيده بكلمته ، ويبعثه رسولا الى خلقه ، وذلك
 قوله تعالى .

« وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالِقِهِ
 فِي الْإِيمِ (٣) وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ
 الْمُرْسَلِينَ »

وام موسى هنا في الباطن الداعي الذي دعاه ، والوحي كان من
 صاحب الزمان الذي امره بذلك ، فنسب الوحي اليه ، لما كان يتصل
 به الامر عنه ، وفي مكان آخر قوله :

(١) في نسخة (هـ) وردت (الدعوة) .

(٢) في نسخة (هـ) وردت « فأتاب »

(٣) في نسخة (س) وردت (أليم)

« إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ »

والتابوت يشتمل على ما فيه ، وله بيان ، وهو حد التأييد وذلك قوله تعالى .

« وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ ، وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ »

« فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ »
يعني خذ عليه ميثاق النبوة ، ثم اطلقه في الظاهر ، لينظر ويتصرف فيه ، فانه يلقيه الى حدوده في اطراف الظاهر .

« يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ »

اي يستخلصه احد اعداء الدين نفسه .

فأدى شعيب الى ذلك الداعي ، وفعله بموسى ، واذن له في الكلام بالظاهر من امر فرعون ، وان يكسر له من وجده قويا في أمر دينه ، ويدله عليه ، فبلغه ذلك الداعي ، واطلقه مأذونا مكاسراً ، ورخص له في اظهار امر فرعون للتقية بحسب ما هو على ذلك وانه متى ناظر ، او كاسر من يرى فيه موضعاً للقبول ، اطلعه على بعض الشيء ، فاذا استحکم امره ورآه متهيئاً للقبول صرفه اليه ليأخذ عليه العهد ، فصار موسى في حد المأذونين ، وبشر بمجد التأييد ، فشرع في حده اي حد المأذونين ، وهو يظهر أمر فرعون فيناظر عليه ، فإذا اتفق له من يرى فيه قبولاً وقوة يقين ، انكسر له ثم التقى مما في يديه فمضى رآه قد قوي أطلعه على شيء من الحقيقة ، حتى يستحكم امره ، فيرفقه

الى داعيه الذي اطلقه مأذونا ، فيأخذ عليه العهد كما يفعل المأذونون ، وأنه صار الى بعض الحدود الذين هم في اطراف الظاهر ، وقد استحکم امرهم عند فرعون ، وهو لا يعلم بهم ، ويكاسر بعضهم ، فجاءه مستجيب فأطلعه على بعض ما عنده ، مما عرفه فسعى به الى فرعون ، فأحضره ليقتله ، كما كان يقتل من كان هو في مثل حاله ، وكان باب فرعون قد عرفه وكلمه فيما يظهره ، فرأى فيه ما اعجبه ، وسمع من بيانه ما استحسنة .

ثم حضر مجلس فرعون عندما جيء به اليه ليقتله ، فسأله فيه ، وأخبره عما شاهده منه ، وعلم من تضاده في أمرهم ، فقال له ان كان كما قيل فنحن ندعوه الى ما عندنا فله قوة وبيان ، فيكون لنا ومن حلتنا وذلك قوله تعالى :

« فَأَلْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا »

وهذا قول المسألة فيه ان يقال كيف يلتقطون شيئا ، يعلمون انه يكون لهم عدواً وحزناً ، وانما قتلوا الانبياء لعلمهم بذلك ، قالت العامة يعني يكون حق ولو كان لهم عدواً ، وحزناً من التأويل الذي أقروا به ، وغيروه حرفاً بحرف عند اضطرارهم الى المعنى .

« إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ »

يعني الذين اتوا به واستخرجوا ما عنده وقوله تعالى :

« وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي ذَلِكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ

يَنْفَعَنَا أَوْ يَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ »

فأجابه فرعون الى ذلك ، وأمره بأن يكون عنده ، ويدعوه الى ما

هو عليه ، ويربيه في دعوته ، فأخذه اليه ، وبلغ ذلك داغيه ، فاغتم وخاف عليه ان يستفزه باب فرعون ، فيطلعه على شيء مما هو عليه ، ويستميله ^(١) بدنياه ، فأرسل مأذوناً كان له مثله ، ممن يدخل على باب فرعون ليتصل به ويعرف حاله ، وما هو عليه ، وذلك قوله تعالى .

« وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَالَتْ لِاخْتِهِ قُصِّيه فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ »

واقبل عليه باب فرعون وادناه منه واختصه وجعل يقنعه ان فرعون امام واجب الطاعة ، ويأتيه بزخارف القول ، فسر لذلك ، واذن له باب فرعون ، فكان موسى على ما عليه الدعاة المخلصون المستورون في ذلك العصر ، يظهر أمر فرعون وقبوله ، ويدعو من اتاه في الظاهر اليه فإذا أحسن بمن فيه مكنة ^(٢) وقوة ، دعاه الى الأمر الحقيقي .

فاجتمع اليه يوماً جماعة من أهل دعوته منهم من قد اطلعه على امره ، ومنهم من لم يطلعه بعد ، فجلس لهم ، وناظر بعضهم بعضاً ، وتكلموا عنده ، فبدر ممن كان اطلعه على ما عنده ، قول احتج به على رجل ممن لم يطلعه على امره ، فرأى موسى ان الذي كان على امر فرعون ، قد علا بالحجة على صاحبه ، فأدركته الحمية ^(٣) للدين ، فاصبح عليه بحجة قاطعة فاسكنه بها ثم تاب اليه رأيه ، فقدم على ذلك ، وخاف ان يظهر امره آخرأ ، كما ظهر أولاً ، ورأى انه قد تعدى وكشف ذلك في مجلسه

(١) وردت في نسخة (هـ) (ويستميله)

(٢) وردت بنسخة (هـ) (امكنة)

(٣) في نسخة (س) وردت (الحجة)

وكان كثيرون ممن هم على امر فرعون وذلك قول الله عز وجل .

« وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ »

يعني لما بلغ حدود الدعوة ، ووليها ، وعلم حدها ، وحكمها ، وهو راعيه ، وكان احد نقباء شعيب وصاحب جزيرة مصر ، ومن له الحق ان يطلق الدعاة .

ثم قال تعالى :

« وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا »

اي دخل دعوته ، والذين فيها اكثرهم اغفل ما هو عليه .

« فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ، وَهَذَا مِنْ

عَدُوِّهِ فَاسْتَمَاتَهُ الَّذِي هُوَ مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ »

اي اتى اليه لما لزمته حجة خصمه ، فاستنجده .

« فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ »

يعني احتج على قوله ، وعلى تمويهات ^(١) سحره ، وعصمه الله عز وجل من القبول عنه ، فلم يرَ باب فرعون فيه اثراً للقبول ، وان كان يقبل منه في ظاهر الامر ، ويحييه الى ما يقول ، وقد ذكر ذلك المأذون الذي كان الداعي بعثه ليختبر حال موسى ، وكان من خاصة باب فرعون ، ويحضر جميع ما يجري بينه وبين موسى .

ولذلك اختصه الداعي لمكانته من حجة فرعون ، واختصاصه به ،

(١) وردت في نسخة (هـ) (تموينات)

فأُسر إليه باب فرعون ما رآه على موسى ، و أظهر إليه امره من قلة
القبول عنه ، فقال المأذون : انه عبراني ، ولك دعاءة من العبرانيين
وهم اهل بيته ، ومنهم فلان يعني الداعي الذي بعث به ، وانت
تعرفه ، وتعرف صحة اعتقاده لهذا الامر ، فلو صرفته إليه ، فهو
اصلح لسياسته ، واقوم له ، لانه يخاطبه بلسانه ، ويكسر عليه من
حيث يعرفه ، فيكون على ما تحبه . وتستريح انت من تربيتك ، ومن
تبعته ، قال له : لقد صدقت ، وأصبت ، واحسنت ، فيما قلت ،
وارسله معه إليه ، وذلك قوله تعالى

« وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ »

اي الاستفادة من الذين يعلمون ، ما كان قبل الشريعة « قَالَتْ أُخْتُه »
اي المأذون الذي هو في مثل حاله ، والداعي ابوها في الباطن هل
ادلکم على اهل بيت يكفلون لکم وهم له ناصحون .

« فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ، وَلَا تَحْزَنَ »

فانصرف موسى الى داعيته ، وزاد امره عنده ، ورأى فيه من
الاقبال والقوة ما سره ، فأطلقه داعياً بعد ان عرف باب فرعون بانه
استجاب له وحسن امره عنده ، وشاوره في ان يطلقه في الدعوة له ،
بحجته القاطعة فأمسكته .

« قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ »

يعني ما كان منه من الاظهار .

« قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ »

قال هذا حيث تاب الى رأيه ، فعلم انه قد اظهر من الحكمة (١) ،

(١) وردت في نسخة (هـ) (الاحكام) .

ما لم يكن سبيله ان يظهره ، الا في وقت وجوب اظهاره ، فوقع فعله ذلك في نفسه غير موقعه ، وافر بانه قد ظلها .

وقد تقدم ان الظلم في اللغة ، وضع الشيء في غير موضعه ، وكان موضعها حفظها الحكمة ، وسترها عن غير اهلها ، فلما باح بما باح به ، استغفر ربه من ذلك اي سأل ان يستره برحمته ، وذلك هو رجوعه الى مربيه ، وسؤاله اياه ان يسأل امام زمانه ان يستغفر له الله عز وجل وقد قال تعالى .

« وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا »

فلا يقبل الله استغفار مستغفر الا من جهة اوليائه ، فغفر الله له كما قال سبحانه .

« إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »

وقوله :

« قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ »

يعني بقوله « رَبِّ » امام زمانه المستغفر له حيث اعتقد الهجرة اليه وترك ما كان فيه من معاونه فرعون ، وقومه باظهار الدعوة لهم ، والتجرد لامام زمانه بعد الهجرة اليه ، وذلك عندما حس بنفسه القوة .

« فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا »

يقول اصبح من غد ذلك اليوم خائفاً مما كان منه في امسه ، وجلس لاهل دعوته ، فعاد صاحبه بالامس لمناظرة رجل آخر ، لما قويت نفسه فعلا عليه اما الآخر فاستمد من موسى ان يحتج له ، فقال له ذلك الرجل الذي هو على ظاهر امر فرعون .

« قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ نَقْتُلَكَ كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُحِينَ »

يقول اتريد ان تحتج له عليّ كما فعلت بصاحبي بالامس ، فقطعته ما تريد فيما ارى ، الا ان تكون عالياً على حجة الملك ، متجبراً يقهر اهل دعوته ، وما اراك تريد الاصلاح له .

واتصل الخبر بفرعون وحجته فأمر بطلبه ليقته ، فجاءه المأذون الذي سمع ذلك من باب فرعون واندزه ، فهرب وقصد قصر شعيب بالحجاز متخفياً ، وذلك قوله تعالى :

« وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْمَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ، فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّي نَجِّنِي مِنَ الْفَوَاحِشِ الظَّالِمِينَ »

وقصد قصر صاحب الزمان شعيب .

« قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ »

اي مالك امري كما يقول العرب رب ومربي ورب البيت ورب العبد اي مالكه ومولاه ، ان يجعلني من جملة من يستعين به من المتصلين به ،

الذين هم الطريق اليه من الحدود ، وقد ذكرنا ذلك عند ذكر الصراط ، وكذلك قول ابراهيم .

« إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدُنِي »

يعني مالك امره ومربي بالحكمة .

« وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ »

اي علم ذلك الحد .

« وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ »

يقول : وجد جماعة من الدعاة يفتحون الناس .

« وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَرُودَانِ »

يقول اصاب دون الدعاة رجلين من المأذونين ، قد تهما لهما جماعة

من المستجبين وهما سائران بهما الى الدعاة ، فسألها موسى عن حدهما فاخبراه .

« قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يَصْذَرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا

شَيْخٌ كَبِيرٌ »

اي لا نفتح أحداً حتى ينتهي هؤلاء الذين استجابوا هؤلاء الدعاة الى غاية ما يجب لهم ، فنورد هؤلاء عليهم ، حينئذ فيسقونهم اي يفتحونهم .

وكان موسى مطلقاً في الدعوة حيث توجه « فَسَقَىٰ لَهُمَا » اي دعا

من اتيا به وفتحهم ، واطلعهم على انه احد دعاة شعيب ، وسأل المأذونين الذين سقا لهما ، ان يعرفاه امره ، وقصد باباً من أبوابه ، وذلك قوله :

« ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ قَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَتَيْتُكَ مِن خَيْرٍ

فَقِيرٌ ، فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا عَلَى اسْتِخْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ »

يقول احد المأذونين اطلقه ^(١) في دعوتك نقيبا ، فانه قوي على ذلك مأمون عليه ، فسأله شعيب ان يكون داعيا من قبله بقوله .

« إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَبْجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتُ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُلْشِقُ عَلَيْكَ سَنَدُفِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ، قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ »

يقول اني أريد ان اطلقك نقيبا ، واجعل اليك امور دعوتي وذلك ما جاء في الحديث انه استأجره على رعاية ^(٢) غنمه ، وذلك لما اطلعه الله عليه من حاله ، وما امله له من الرسالة على ان تقيم لي ثمانية من النقباء ، وان اتمهم الى عشرة ، يكون ذلك فضل منك ، لا شرط يلزمك .

« وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُلْشِقُ عَلَيْكَ »

وانقطع نقبائه ، وهلك اكثرهم ، واتخذ موسى نقيبا ، على ان يتخذ له عشرة من اللواحق معه ومع الذي اخذ عليه فيكون معه اثني

(١) وردت في نسخة (س) (طلعة)

(٢) وردت في نسخة (هـ) (رقابة) .

عشر نقيباً ، وذلك كما امر صاحب الزمان اذا وجدهم وقدر عليهم وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم ونحن نذكر إن شاء الله تمامه في موضعه في المستقبل .

وربما ضعف صاحب الزمان عن هذا العدد ويجوز ان لا يبقى الا وحده ، وربما تهيأ له البعض ، وعجز عن البعض ، واكثر الاحيان يكلف صاحب الزمان اربعة من أبوابه ان يقيم كل واحد منهم اثنان ، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم .

وان مثل الاربعة مثل الاربعة الاشهر الحرم ، وامثال الثمانية ، الاشهر الباقية من السنة .

فكلف شعيب موسى ان يقيم له عشرة نقباء ، او ثمانية يستنبطهم ويطلبهم من يصلح لذلك وهذا عسير شديد على من يطلبهم ، ولكن لما علم من تأييد الله تعالى ، وما امله له من الرسالة ، وقد رآه يقدر على ذلك ، ويحده فأحب ان لا يفارق الامر ، الا وقد تم له وكل ، فأجابه موسى الى ذلك واقام بامر دعوته وصار حجة له وأقرب ابوابه اليه فكان في اوله ظاهرياً ثم استجاب لداعيه ثم انتقل الى ان صار نقيباً ، ثم صار حجة قريباً .

وكذلك ينقل الله اوليائه على الصراط المستقيم ، وهو الخلق الآخر بعد ان نشأ بالخلق الاول لانه سبحانه وتعالى لم يخلق الكامل دفعة واحدة ، بل رقام خلقاً بعد خلق ، كما ذكر في كتابه فأخرجهم من الارض بما يغذيههم به الى ان صاروا نطفاً في اصلاب الرجال ، ثم نقلهم الى ارحام النساء ، ثم خلقهم فيها علقه ، ثم مضغة ، ثم عظاماً ، ثم كسى العظام لحماً ثم اودعهم الارواح ، واخرجهم من الارحام اطفالاً لا يعلمون شيئاً ، فعلمهم على ايدي عباده ، ونقلهم كذلك في العلم درجة

بعد درجة ، فسبحانه من مقدر قدير ، بيده الامر واليه المصير .
وتولى موسى امر شعيب ووفى له بما جعله على نفسه ، وأقام له
عشرة من اللواحق ، وسئل رسول الله (ﷺ) عن اي الاجلين
قضى موسى ، قال أتمها وافضلها وذلك قول الله تعالى :

« أَيُّمَّا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُذْوَانَ »

يعني بين اقامة عشرة من الحدود ، او ثمانية في مدة ما اجله له ذلك
فقضى الاكمل وهم العشرة، واحيا الله به دعوة شعيب ، وكثر المستجيبون
له ، وعظمت دعوته ، وحضرت نقلة ^(١) شعيب ، وانقضت ايامه بعد
ان اكمل له امره بموسى ، فقبض شعيب ، وسار موسى من بعده بأهل
دعوته في عدد عظيم من الحجاز يريد الشام مستقراً له ، ولينزل بأهل
دعوته ، ويصيروا الى موقع الحصب والسعة عن ضيق الحجاز وقلة خيره .
فلما انتهى الى « الطور » ^(٢) وهو جبل من جبال الشام اتصل به
حد تأييد النبوة من قبل الله جل ذكره ، وكان يومئذ بعده اماماً ، ثم
اتاه الوحي من الله بالرسالة ، وذلك قوله تعالى .

(فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ
الطُّورِ نَارًا)

ومثل النار مثل حد الناطق من نور التأييد ، يقول احسن بنور
التأييد في نفسه ، ومثل الطور مثل مرتبة الناطق ، وهي نفس الرسالة .

(قُلْ لِأَهْلِهِ آمْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا
بِخَبَرٍ أَوْ جُزْءٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ)

(١) في نسخة (س) وردت (انتقاد)

(٢) في نسخة (س) وردت (الاطوار)

يقول امكثوا على ما انتم عليه ، فاني شعرت بتأييد الرسالة لعلي
أتاكم منها ، اذا اتحدت بنور تستضيئون به ، وتناولون فضله
(فَلَمَّا آتَاهَا) اي تأملها .

(نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ)

يقول من مرتبة الناطق اللطيفة لان التأييد الجاري من العلو من
الاسفل على ثلاثة اقسام فأفضله قسم الانبياء ، والذي يليه قسم الاسس
ثم قسم الائمة ، فأراد باليمن الاعلى ، وهو مد الرسالة .

(فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ)

وهي الامانة (مِنْ الشَّجَرَةِ) اي من ازاء الحد ، وكل هذا تأكيد
لعلو مرتبته ، وفضل القسم الذي اتاه .

(أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)

وذلك اتصال من الكلمة بموسى عن الله عز وجل ، فأضاف هويته
سبحانه الى كلمته التي اظهرها له ، من الحد بالوحدة لا بالذات ، لان
ربه تعالى يحل عن ان تحيط به الجهات ، او ينعت بالحلول والذات .
وقال في موضع آخر :

(فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا)

يقول اطلع موسى على ان الحد المتحد به من التأييد هي البركة التي
من نالها صار بها مباركاً ، وكذلك تعم البركة من حولها ، من المتصلين
بالأصلين المباركين ، من اللواحق ، والاجنحة ^(١) ، قوله سبحانه .

(إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)

(١) جاءت في نسخة (هـ) وردت (والاجانح) .

فتأويل سبحانه الله التنزيه لله باري البرايا عز وجل عن ان يشبهه شيء دونه ، وان ينعت بالحلول في مكان دون مكان ، او ان يضاف اليه شيء مما يجري على المحدثات ، او ان ذلك يجري عليه ، وانما يجري ذلك بقوة حكمته وقدرته ، لا شريك له .

وقوله تعالى :

« يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »

اي أخبار من المؤدي اليه عن كلمة الباري ، انه العزيز الذي لا وجود له على سبيل الاحاطة ، ولا سبيل الى انكاره ، مع عدم ذلك ، بل كلمته التي صارت علة كل شيء ، وعرفه من عرفه .

« وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ »

فمثل العصي حده من الأمامة التي نالته من صاحب الزمان الماضي امره ان يلقيه على ما خص به بعد ذلك من العلوم ، وصار ما ناله من امام الزمان شبيهاً بالعصي ، وامره باقامة اساسه ، فصارت العصاة مثلاً له .

« فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ »

فأول ما بان له من حجته اظهار ما ينبغي اظهاره ، مما هو ستر للباطن فخفي عليه ، وظن انه ظاهري محض ، فكسر عليه بظاهره ، وهو قوله :

« وَلِيٍّ مُّذْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى »

وذلك اعطاءه ظهره ، فقبل له .

« يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ »

اي قد آمنت ان يكون حجتك ظاهرياً ^(١) بغير باطن ، فأقبل عليه
بالباطن المحض ، فنبى عنه فلما أقبل عليه بالباطن ، بان له منه ما سكن
اليه هذا وجه .

وفي بعض التأويل ان الجان حية ليست بعظيمة ، وقوله
« وَلِي مُدِيرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ »

اي مرّ ولم يرجع اليه ، يريد ان قوة الكلمة على قمع من خالفه ، وان
حجته تنفخ ناراً ، وانه لا يفتح احداً ، إلا وقد أفحمه بالحجة ، كالحية
الصماء التي لا تأتي على شيء الا اهلكته ، الى قوله تعالى :

« أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ »

يقول ان موسى لما رأى ذلك هاله ، وقدر في نفسه انه ليس له تلك
القوة ، فناداه المؤدي اليه عن الباري قوله تعالى .

« يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ
ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ »
يقول من ظلم ووضع الحكمة في غير موضعها ، ثم استغفر من ذلك ،
فاني غفور رحيم .

« وَادْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ »
عني باليد اساسه ، وصاحب سره ، يقول : اطلعه من جهة ظاهر
شريعته على سر ما اوتيت .

« تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ »

اي أنك متى اطلعته على ذلك يخرج الى بيانه ، بإيضاح نير من

(١) في نسخة (س) وردت (باطنياً)

التأويل واضح ، لا يشك فيه احد ، ولا يدفع بيانه وايضاحه .

« فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ »

يقول قد أيدت بتسع آيات ، فاذهب رسولاً الى فرعون ^(١) ، وقومه والتسع آيات هي ماله من القوة ، وما ايد به ممن تحته ، وذلك حده من الاصلين العلويين ، وحد من دونه الى المستجيبين ، وقد ذكرناها في غير موضع .

« إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ »

يقول كانوا في الحقيقة فخرجوا منها ، وذلك هو الفسوق ، كما قال سبحانه .

« فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ »
وقوله تعالى :

« وَاَضْمِمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ »

الجنح اليد ، وهو أساسه ، يقول : اضمه اليك فيما ايدت به ، ولا تخاف من كسر ظاهرك ، لانه يقوي برهانك بحجة التأويل الذي يقيمه .

« فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ »

يقول ما يأتيهم من البيان الظاهر والباطن وتقوم به انت واساسك الى هرون .

« قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ »

يعني ما جرى له من قصة مع الرجل الذي قام عليه البيان وقد

(١) في نسخة (هـ) وردت (فراغة)

مضى ذكره ، فأخاف ان جثتهم بالظاهر وحده احتجوا عليّ به فأكون
محجوباً فيصيبني ما أصاب الذي أقمت عليه الحجة ،

« وَأَخِي هَرُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا »

كون الحجة معه ، فأرسله معي رداً كي يصدق بتأويله الظاهري .

« إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ »

قال :

« سَنَشُدُّ عَضْذَكَ بِأَخِيكَ ، وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ

إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ »

يقول سنشد أمر ظاهرك بأخيك ^(١) ، يعني بما معه من التأويل ، فلا
يصلون اليكما بحجة ، ومعكما آيات الله ، فانتما ومن اتبعكما على ذلك
الغالبون .

فأرسل الله موسى الى فرعون يدعوهم الى الايمان بالله ، والدخول في
دعوته ، وأيده بأخيه هرون ، وأقامه لتأويل ظاهره ، وأشركه في
البيان معه .

وكذلك جاء عن محمد (ﷺ) انه لما نزلت هذه الآية .

« وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ، هَرُونَ أَخِي أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي »

« وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي »

قال (ﷺ) « وانا اقول يا رب كما قال موسى : رب اجعل لي وزيراً

من أهلي ، علياً أخي ، أشدد به ازري ، واشركه في امري .

وسار موسى فيمن تبعه ، ومن آمن به ، بأمر الله عز وجل الى

(١) في نسخة (هـ) وردت (باخاك)

فرعون ، ومن معه الى مصر ، ونزلوا بساحته ، فدعاه موسى الى الأقرار بالله ، والتصديق برسالته ^(١) ، وذلك قول الله تعالى

« فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ ، قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى ، وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ »

يعنون بأبائهم الذين اخذوا عنهم دينهم ، وعنوا بالسحر كلام موسى وبيانه الذي دعاهم به ، فقالوا: هذا احتيال وخداع منك ، تريد ان تملئنا به اليك ، وليس بحقيقة علم ولا هدى .

« وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِي ، وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ »

يعني عاقبة دور الرسل وذلك كما تقول دار الدور ، فدار هو فعل ماضي ، فاذا ادخلت على دار الالف واللام قلت الدار ، فيظن السامع ان المراد بمعنى الدور التي وحدتها دار ، وهذا من الرموز الخفية التي لا يوجد معناها إلا عند أولياء الله ، وله شرح طويل في اللغة العربية ، وانما حسن فيه دخول الالف واللام وليس من شأنها الدخول على الافعال فحسن ههنا لانه رمز . ومنه قوله تعالى : « إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ » فإذا اسقطت الالف واللام من الغار ، زال عنها معنى المغارة ، أو الكهف ، أو القرية ، وجاز فيها معنيان احدهما ان يكون اسم نكرة ، والآخر ان يكون فعل ماضي من غار الرجل ، وغار على وزن دار ، وفي هذا بيان وحجة .

« إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ »

(١) في نسخة (هـ) وردت (برسائله) .

وقد تقدم شرح الظلم ، والفلاح والبقاء ، وهو الغنيمة ، والنصر .
 « وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي »
 يعني بالملأ عظماء اهل دعوته ، ومعنى قوله ما علمت لكم من اله ،
 يقول ما اعلم لكم اماماً غيري .

« فَأَوْقَذَ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا »
 يقول لصاحب امره ، واعظم دعااته ، ومقام حجته ، وهو هامان^(١)
 اجعل لي شريعة ، وتأسيساً اشبعه بالبيان .

« لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى »
 اي الذي ايد منه .

« إِنِّي لَأُظَنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ »
 فأما ما حمل اهل الظاهر هذا القول على انه عمل الآجر ، وبنى
 منارة ليرقى منها الى السماء ، فهذا مستحيل في القول ان يرومه أحد ،
 ويرى انه يبلغه .

« اسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَظَنُّوا
 أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُدْجِعُونَ »

يقول استكبروا عن حجة موسى ، وان يطلبوا بيان ظاهره من قبله ،
 بعد تصديقهم بظاهر موسى ، فيصح عنده ما انكروه منه .

« فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ »
 واليم البحر وهو مثل الظاهر ، يقول القيناهم في اختلاف ظاهرهم ،
 وحرمناهم عليهم البيان ، فاغرقناهم في فتنة ظاهرة .

(١) في نسخة (هـ) وردت (هيان)

وفي وجه من التأويل في قول الله عز وجل .

« وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا
إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى »
يقول انه أحس في نفسه بتأييد الطف من التأيد الذي ايد به في حد
الامامة ، فأمر من اتبعه على الامامة ان يمشوا على حده معتقدين غير
مفارقين بشيء منه ، وان احس هو زيادة في نفسه ، وان يتبعوه على
ذلك الحد ، حينما يأتيهم بخبر صحيح ، بما أحس به ، أو يجد من التأيد
الذي أحس به هدياً يهديهم به الى ما رقى اليه .

(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ)

يقول ناداه الحد العلوي التالي بلا واسطة من الحدود التي بينه وبينه

(إِنِّي أَنَا رَبُّكَ)

اي مربيك ومؤيدك من قبل الباري جل وعلا بما جعله في حدي من
التأييد للرسل (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ) يقول اخلع ما كنت عليه من ظاهر
غيرك ، والنعل مثل للظاهر ، والخسف مثل للباطن ، ومن ذلك كانت
النعل تستعمل في الظاهر للشيء ، والتصرف في الخارج ، فاذا صار من
يستعملها كذلك الى مكان قراره ، وآوى الى مجلسه ، القى نعله ولا
يلقي الخف ، بل يستعمله في الداخل والخارج ، ويجلس به ، ويركب ،
ويمشي ، ويصلي ، فالنعل تنزع في اكثر من ذلك . فأخبره التالي انه
جرى في حده من تقدير الباري عز وجل ان يبعثه بشريعة مجددة تنسخ
شريعة من قبله .

(إِنَّكَ بِالْوَادِي الْأَمْدَسِ حُدُوهُ)

اي انك قد رقيت الى حد النطقاء

(وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى)

اي لما أتى من عند الباري من قوله تعالى لك .

(إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

يقول : اجعل عبادتك لله الواحد ، وأدع الى ذكره ، والصلاة مثل الدعوة ، والذكر الرسول ، اي ادع الى نفسك ، فانت ذكرى الذي اذكر به من قبل تذكيرك ، وهذا يؤيده قول الله عز وجل لمحمد (ﷺ)

(وَتَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)

وقوله تعالى :

(وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ)

وقوله :

(وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا)

ويشهد برد الامر والسؤال الى الأئمة من اهل بيت رسول الله (صلعم)

قوله تعالى :

(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

يعني اهل الرسول وهم الأئمة صلوات الله عليهم .

وقوله سبحانه .

(إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُجْزِيَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا

تَسْعَى ، فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ

فَتَرَدَّى)

عرفه بقائم القيامة ، وقرره على التصديق به ليكمل به عدد النطقاء اخواته ، ونهاه ان يصدق من لا يؤمن به ، ممن اتبع هواه وقوله (أَكَادُ أَخْفِيهَا) تأوله اهل الظاهر عن طريق اللغة على وجهين ، قال بعضهم : (أَكَادُ أَخْفِيهَا) اي أكاد اظهرها ، يقال خفي الشيء اذا ظهر ، وانشدوا شهادة لهم لأمراء القيس حيث قال :

« خفاهنّ من انفاقهنّ كأنما : خفاهنّ ودقّ من سحبٍ مركبٍ ،
يصف فيه الفرس انه اظهر بقوة وقع حوافره ^(١) على الارض ، ما يأوي في احجرتها من الدواب ، والهوام ، كما يظهرهم سيل المطر اذا هجم عليهم فيها ، فيخرجون منها ، وهذا التأويل يكون باطن اخبار الله عز وجل عن قرب ظهور ^(٢) امر القائم سلام الله عليه ، لان موسى هو متوسط النطقاء كما ذكرنا ، فقد تجاوز نصف المسدة الى القائم ، وكل شيء قطع نصفه فقد قرب من اخره .

والتأويل الثاني قالوا (أَكَادُ أَخْفِيهَا) اي أكاد أخفيها عن نفسي ، فكيف اظهرها لغيري ، وقد تعالى باري البرايا سبحانه عن اضافة النفس اليه ، كإضافتها الى المخلوقين ، وقد اضاف ذلك الى بعض المتشبهين تعالى عن قولهم علواً كبيراً ، وهو يقول جل من قائل .

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)

فما جاء من اضافة النفس المضافة الى الباري تعالى عن ان يضاف ذلك اليه كإضافة الى خلقه ، فانه يراد بالنفس التالي ، وهو اللوح الذي اثبت

(١) في نسخة (هـ) وردت (خذافره) .

(٢) في نسخة (هـ) وردت (ظهور) .

فيه ما هو كائن الى يوم القيامة ، وسمي نفساً كما يكون العلم مستودعاً في النفس .

وكذلك زعموا ان الله تعالى تجلّى الى الجبل ، ودخل في شجرة وتكلم منها بكلام البشر تعالى عن قولهم علواً كبيراً ، وانما الذي كلمه هو الحد العلوي الذي اتحد به ، والشجرة مثل حده منه الذي اتمت اليه . وقوله تعالى : (إِنِّي أَنَا اللَّهُ) يعني ان حده الذي ناداه بذلك كان عن الله ، كما يقال في اللغة نادى السلطان بكذا ، وانما نودي باسمه وعن امره ، فيقول المنادي في ندائه من فعل كذا ، عوقب بكذا ، وهو قائل ذلك ، والمعلوم ان المنادي الذي نادى بذلك كان ندائه عن امره ، وقوله سبحانه وتعالى :

(وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَا مُوسَى)

قلنا في التأويل ان اليمين حد الناطق ، وقد قيل له في موضع آخر.

(أَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ)

ولا يقال للشيء انه في شيء ، ما لم يكن قد اشتمل عليه ، واشتمل احدهما على الآخر ، والمشتمل عليه الطف من المشتمل ، ومن ذلك القول زيد في الدار ، فزيد الطف من الدار ، والدار اكثف من زيد ، فلذلك صح ان يكون فيها ، وتشتمل عليه ، ولهذا نظائر يطول شرحها وقوله :

(وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَا مُوسَى ؟)

بين ان اليمين فائضة على ما سئل عنه ، يشهد بذلك قوله « القها » وقبضه عليها انما يكون بباطن يده ، وكانت العصا حداً لطيفاً من

حدود التأييد ، أيد به ، وهو الطف من حد باطنه ، اذ ان ظاهر
اليمني دليل على الظاهر ، وباطنها دليل على الباطن ، والعصا الطف منه
لانه اشتمل عليها .

ولذلك قيل له ما في باطنك الذي ايدت به .

(قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا)

يقول : هي مادة ما ايدت به من اللطافة المستوية ، التي لاعوج (١)
فيها ، فوصف ذلك على قدر مبلغ وقوفه عليه ، ولما سئل عن ذلك كان
سؤال من امتحن عن حده ، ومعرفته به (أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا) اي اعتمد عليها

(أَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي)

يقول : افيد منها امتي واسوسهم بها .

(وَلِيَّ فِيهَا مَارَبُ أُخْرَى)

اي منافع أخرى لنفسي اعتمد عليه ، واعمل به .

(قَالَ أَلَيْهَا يَا مُوسَى فَاَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْمَى)

يقول القها على أساسك ، اي علمه اياها ، ليكون هو القائم بها ويؤيد
هذا قوله تعالى :

(فَالْقِهِ فِي الْيَمِّ)

وقوله :

(يَلْقَوْنَ السَّمْعَ)

فكل هذا يقول العرب فيه الق لانه لا يجوز ان يقال ذلك الا لمن

(١) في بنسخة (هـ) وردت (لاعاج)

يلقى من اليد فقط ، قال الله سبحانه وتعالى :

(وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمَا الْغَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ)

وهو مشتق من القيت اي جمعت ، يعني الشئتين من اللقاء ، والشيء الملقى هو المطروح ، والمطروح متروك ، وقد قيل له (خُذْهَا وَلَا تَخَفْ)
وانتنت العصا وهي في الحقيقة علم لطيف ، وسبيل العلم ان يذكر ،
فانتنت باضمار انها فائدة وحجة بينة وآية .
وقد قال عز وجل بعد ذكر العصا .

(وَأَضْمُهمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ
آيَةً أُخْرَى)

فكانت العصا آية اولى ، واليد آية ثانية .

(فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى)

اي هي لقوتها كالحیوان .

(قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ)

يقول ضمها اليك ، اي انسبها الى نفسك ، فهي من قبلك .

(وَأَضْمُهمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ)

فاليد ههنا مثل الاساس ، والجناح مثل القوة التي اوتيتها .

(تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ)

ان يظهر بالبيان الواضح الحسن الذي الاسوء ^(١) فيه .

(آيَةً أُخْرَى)

(١) في نسخة (هـ) وردت (لا شيء)

يعني ان الآية الاولى اتته من الباري جل ذكره ، والمرة الثانية بقدره
منه الى من دونه ، وهو اساسه فكان في الأول آية من الله عز وجل
اليه ، وفي الثانية آية منه لاساسه .

(لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى)

يعني حد القائم يوم القيامة ، اي نريك ذلك في وقته ، فتراه كما
اريناك في وقتك ما رأيناك

(إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى)

يقال طغى الماء اذا علا وارتفع ، فالطغيان مشتقة منه ، وهو انه
ترفع عن ان يأخذ العلم عن موسى وحجته عليها السلام ، ومنه قوله
عز وجل مخبراً عن فرعون .

(وَاسْتَكَبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)

وقوله :

(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ)

وذلك استكباره عن اخذ الحقيقة عن الاساس .

(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي)

يعني بالتأييد الذي وهبته لي .

(وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي)

يعني في ابلاغه .

(وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي)

يعني عقدة الميثاق مني ، ومن اساسي ، عند المناظرة يحاجهم
بالحقيقة وعلم الباطن .

(وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِ هَرُونَ أَخِي)

تقدم تأويله ، ويرجع بنا القول الى ذكر خطاب موسى وفرعون .
وقوله له :

(إِنِّي رَسُوْلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ)

وقال في موضع آخر .

(فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقَوَّلاً إِنَّا رَسُوْلَا رَبِّ الْعَالَمِيْنَ)

يقول لموسى وهرون عليها السلام .

(أَن أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَآئِيْلَ)

اي اطلقهم من حكم مملكتك ودعوتك ، فانهم قومي ، واهلي ،

وذريات النبوة ، وقال في موضع آخر : (لَا تَعَذِّبْهُمْ)

يعني بما تدعوهم اليه من اتباعك ، واعتقاد امامتك .

(قَالَ فِرْعَوْنُ : أَلَمْ نُزَيِّكْ فِينَا وَلِيْدًا)

يقول : أَلَمْ تكن فيمن استجاب لدعوتنا ، وولدت فينا ،

وربيت بعلنا .

(وَلَيْسَتْ فِينَا ، مِنْ غَمْرِكَ سَيِّدِيْنَ)

(وَقَفَلْتَ فَعَلَتِكَ أَلَّتِي قَفَلْتَ ، وَأَنْتَ مِنَ الْكَآفِرِيْنَ)

يعني ما اظهرت من الكسر على الرجل ، الذي كسرت عليه ،

والاحتجاج الذي احتج به يقول ، فكفري حينئذ لما ظهر منك خلاف

ما كنت عليه .

(قَالَ فَعَلَّتْهَا إِذَا وَإِنَّا مِنَ الضَّآلِّيْنَ)

يقول : كنت حينئذ مغفلاً عن الذي ايدت به اليوم ، ورزقته ،
ووهب لي من حد النبوة ، وكنت لا اعرفه ، ولم اهتم اليه ، ومن
ذلك قول الله تعالى لمحمد (ﷺ) .

(وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى)

اي ضالاً عن سبيل النبوة ، فهذاك بالتأييد اليها ، ويؤيد ذلك
قول موسى .

(فَوَهَّبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ)

(وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ إِنَّ عِبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ)

يقول وهذا الذي وصفت انه نعمة (١) ، فمُننت علي بها ، وانت
قد استعبدت بني اسرائيل ، وانا احدهم ، فقهرتنا على امرك ، واستعبدتنا
لنفسك ، اي نصبت لنا نفسك اماماً ، واجبرتنا على طاعتك ، فليست
تلك نعمة تمن علي بها ، اذ كنت قهرتنا ، واجبرتنا على ذلك ، وهذه
حننة ، وليست نعمة (٢) ، كما زعمت .

(قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ)

يسأل موسى عن ماهية الباري ، وعن الصفات .

(قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنتُم

مُوقِنِينَ)

(قَالَ لِمَنْ حَوَالِهِ أَلَا تَسْمَعُونَ)

يعني الا تسمعون الى جواب موسى ، وكيف اجابني بخلاف ما

(١) في نسخة (هـ) ورت (نقمة)

(٢) وردت ايضاً في نسخة (هـ) نقمة .

سألته عنه ، ان أسأله عن الباري ما هو ؟ وهو يجيبني انه رب السموات والأرض ، يستجمل موسى في الجواب .

قال موسى نعم .

(رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ)

قال فرعون :

« إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ »

لأن موسى اجابه بما لم يسأل عنه .

« قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ »

كل ذلك يعني الصفات الذاتية عن الباري عز وجل ، ويصفه بالوحيته .

« قَالَ لَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ »

يقول لئن توليت اماماً غيري ، لاحرم من عليك المفاتيح (١) ، فارجع

الى ما كنت عليه ، من اعتقاد ولايتي ، يدعوه الى الرجوع الى امره ، الذي كان يظهره للتقية منه ، اذ انه كان في سلطانه .

« قَالَ مُوسَى أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبينٍ »

يقول : او لو جئتك في الظاهر ، الذي انا عليه ببرهان بين (٢)

« قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ » ، فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا

هِيَ يَشْعَبَانِ مُّبينٍ »

يعني اظهر ما ايد به من البيان والحجة ، فإذا هي قانعة دامغة .

(١) وردت في نسخة (هـ) (الفاتحة)

(٢) وردت في نسخة (هـ) (بيني)

« وَتَزَعُ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْنُضَاءٍ لِلنَّاطِرِينَ »

يقول واطهر اساسه البيان ، فإذا به بيان نور واضح ، فأفحم فرعون .

« قَالَ الْمَلَأُ مِنْ حَوْلِهِ إِنَّهُ لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ

مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ ، فَمَاذَا تَأْمُرُونَ »

يقول ان هو الا رجل معه جبل من القول ، ومخرقة يريد ان يخرجكم بها من ملتكم ، فماذا تأمرون ؟

« قَالُوا أَزِجُّهُ وَأَخَاهُ »

يقول اخرهما ولا تفاتحها بشيء :

« وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ »

يعنون أهل دعوته ان يجمعهم اليه .

« يَا تَوَكَّ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ »

اي من كان على مثل حال هذا من الكيد ، والمخرقة من ينتحل ما

انت عليه ، فتقاومه به ، ويأتي بمثل ما اتى به ،

« فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ »

اي لموعد مفهوم .

« وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ »

يعني المائوسين بعلم فرعون هل انتم مجتمعون .

« لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ »

« فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ ، قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنْ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا

نَحْنُ الْغَالِبِينَ »

يقول السحرة ما قالوه ثقة منهم بأنفسهم ، لانهم لا يرون أحداً يرد
ما أقاموه من حجة ، وسألوا فرعون ان غلبوا موسى ، ان يأجرهم
تقدمة ، ومنزلة (١) .

« قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لِمِنَ الْمُقَرَّبِينَ »

في الدعوة والمرتبة .

« قَالَ لَهُمْ مُوسَى ائْتُوا مَا أَنْتُمْ مَلْفُونُونَ »

وقال في موضع آخر :

« قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ ، وَأَمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى »

يقولون : اما ان تلقي علينا مسائلك ، او نحن نلقي عليك مسائلنا

« قَالَ لَهُمْ مُوسَى بَلْ ائْتُوا ، فَأْتُوا حَيَاتِهِمْ وَعَصِيهِمْ »

يعني كلامهم المنظوم من البيان ، وكلامهم الظاهر ، وذلك ان لكل
نحلة (٢) ظاهر ، ولين انفرد بذلك فيما يضطرهم الأمر لتأويله ، ولا يأخذون
من عند اهله ، تأويل يتأولونه هم لانفسهم ، وهو فاسد غير صحيح ،
ولا بيان فيه للمتأمل المسترشد ، فأتى السحرة (٣) بظاهر فرعون ،
وتأويله على هذا المعنى .

« وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ »

اعجاباً منهم بأنفسهم .

« فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ »

(١) في نسخة (س) وردت (منازل) . (٢) وردت في نسخة (هـ) (نحلة) .

(٣) في نسخة (هـ) وردت (الساحرة) .

وذلك ما أيد به من البيان ، فاذا بذلك البيان يبطل افكهم ، وقال
في موضع آخر :

« فَإِذَا حَبَّالَهُمْ وَعَصِيَهُمْ تَخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْمَى ،
فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى »

يقول تخايل له ان الذي أتوا به من مخاريقهم بشبه الحقيقة ، وخاف
على أساسه الغلبة .

« قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ، وَآتَوْنَا مَا فِي يَمِينِكَ ، تَلَقَّفْ
مَا صَنَعُوا ، إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سَاحِرٍ »

واليمين باطنها يلقي الشيء منه ، فباطن اليمين الاساس في وجه من
وجوه التأويل ، وظاهرها مثل على الناطق ، فالقبض والبسط بباطنها ،
والانتفاع بجميع ما ينتفع به ، بسلامة ظاهرها من الحوادث ، ينصر
باطنها ، فالظاهر على هذا الشكل مفتقر للباطن وهو يؤيده ، ويشده ،
والباطن كذلك مستتر بالظاهر كامن ^(١) فيه ، والظاهر يدل عليه ،
ويشهد له ، فقليل له (اي لموسى) قل لاساسك ان يلقي اليهم من التأويل
الحقيقي ، وقد ذكرنا قوله :

« وَأَحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي »

إنه انما أراد هذا به ، ففاتحهم موسى بالظاهر ، وفاتحهم هرون
بالباطن ، كما سئل موسى كذلك ، وقد ذكرناه قبل هذا .
فاتهم ما لم يشكو فيه انه هو الحق ظاهراً ، وباطناً ، وذلك بما
أباحه الله لموسى من اظهار التأويل الباطن لمن لم يقبل ظاهره لشدة الرموز

(١) وردت في نسخة (س) (كائن) .

من الحجة ، فأذعنوا له ولم يكن عندهم في ذلك دفاع غير الاقرار والخضوع ، وذلك قوله تعالى : « فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَجْدًا » .

« قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى »

قال فرعون :

« آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ »

يقول صدقتم به قبل ان آذن لكم ، واذن في حدي ، ودعوتي :

« إِنَّهُ لَكَيْدٌ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ، فَلَا تَقْطَعْنَ أَيْدِيَكُمْ مِنْ

خِلَافٍ » .

يقول لأقطعن عنكم مادة الاصلين العلويين ، والسفليين .

« وَلَا صَلِّبَتْكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخِيلِ »

يعني اشهار امرهم عند لواحقه لانه كان نصب دعوة بترسيم الائمة ،
وادعى الامامة .

« قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ، إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا

رَبُّنَا خَطَايَانَا إِنَّا كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ »

وقوله تعالى :

« وَأَوْصَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ »

والاسراء السير بالليل ، يقول : ايدهم بعلم الباطن ، والستر ،

وذلك مثل على الليل « إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ » يقول ان فرعون وقومه

يتبعونكم بالحجج ، فأيد اصحابك ، وعلمهم ، وأوقفهم على الحقائق .

« فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ »

يعني موسى ومن معه .

« وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ »

« وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ »

يعني انه جمع عليهم جمعاً آخرأ ، ليحاجوهم اذ قد غاظه ما كان من وفى آمن معه ، فأتى اصحاب فرعون الذي بقي منهم في الظاهر الذي معهم ، وذلك قوله (فَأَتَبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) والاشراق من شروق الشمس ، وهو النهار ، ومثله مثل الظاهر ، يقول : اتوهم بالظاهر .

« فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ »

اي نظر بعضهم الى بعض عند المناظرة .

« قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ »

يقولون : انا لمدركون بالحجة ، لاننا انما كنا نناظر في الباطن ، واتانا هؤلاء بالظاهر .

« قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ

بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ »

والبحر مثل علم الظاهر ، ضربه موسى بالتأييد الذي ايد به من الظاهر ، فتمعص (١) ما اتوا به ، وفرقه ، وقطعه بحقه ، ومميز بين الحق والباطل منه ، ثم قال عز وجل :

« وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ »

(١) في نسخة (هـ) وردت (فهضم)

يعني انهم اغرقوا في حجب ظاهرهم ، فهلكوا فيه في الباطن ، واغرقوا كذلك في الظاهر ، كيلا يفارقوا الدنيا ، الا وقد قامت عليهم حجة اهل الحق ، بحسب ما جرت فيه سنة الله فيمن قبلهم من الأولين امثالهم ، وكل هذا وما مضى ، ويأتي من ذكر الباطن غير الامثال ، فله ظاهر قد كان .

والأمثال دلائل واشارات الى ما وقع عليه التمثيل ، فلذلك كان كما قال رسول الله ﷺ « لكل آية ظاهر وباطن » فجردنا في هذا التأليف ذكر الباطن ، والأمثال ، وتركنا الظاهر اكتفاء منا بظهوره ، ومعرفته اكثر الناس به ، وانا ذكرنا جملة ما قصدنا تأويله ههنا في كتاب « دعائم الاسلام » الذي الفنا هذا الكتاب في تأويله ، وبالله نستعين .

وتكلم فرعون بلفظ الايمان ، وقد ادركه الفرق ، ولم يقبل الله منه ذلك قوله تعالى :

الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ
بَبَدَنِكَ

يقول نشهر امرك عند الناس ، ان الذي كنت تدعيه من علم الباطن دعوة باطلة ، وانه ظاهر محض ^(١) ، وذلك ان مثل البدن مثل الظاهر ، والروح مثل الباطن ، وقوله تعالى .

« فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى »

يعني ما اظهره موسى لفرعون مما ايد به الباري جل ذكره .

« فَكَذَّبَ وَعَصَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى »

(١) في نسخة (هـ) وردت (محض)

يعني انه جمع قومه ، وأقام الدعوة فيهم لنفسه ، بانه هو امام الخلق في وقته .

« فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى »

فنكال الاولى هو اظهار ما اظهره من فساد دعواه ، واظهار ما كان يوم به الخلق من انه صاحب حقيقة وباطن ، ونكال الآخرة ما يجازي به ، ويصير من العذاب .
وقوله تعالى :

« وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَظَفُّونَ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَعَارِبِهَا

التي بَارَكْنَا فِيهَا »

يعني الذين استضعفهم فرعون ، وقومه اورثهم الله علم الائمة ، والحجج ظاهرهم وباطنهم بقدر ما يجري في حدودهم وطبقاتهم .

« وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا

وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) .

يعني ان كلمة الله ظهرت اليهم عن الناطق عنه بها ، وابطل الله امر فرعون وقومه ، وما بنوه في الدين من البيان الواهي الضعيف ، لذي مثله مثل العريش الذي يشبه بالبית ، وليس هو كذلك .

(وَجَاوَزْنَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ)

يقول اعليناهم على علم الظاهر وامواجه ، وخلصناهم من الغرق فيه ببيان التأويل :

(فَأَنزَلْنَاهُ عَلَى قَوْمٍ يَعْلَمُونَ عَلَى أَنْصَامٍ لَّهُمْ)

يقول مروا بقوم لهم رؤسا اقاموهم لانفسهم ، يأخذون عنهم علم الظاهر .

(قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ)

اي اقم لنا رئيسا يفيدنا برأيه ، واختيار ظاهر ما تحتاج اليه على حسب ما هؤلاء عليه ، قال لهم موسى :

(إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَبْهَلُونَ)

ان هؤلاء متبرء مما هم فيه ، وباطل ما كانوا يعملون .

يقول ان عاقبة هؤلاء الهلاك .

(قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا)

يعني وإله العالمين بما ارسله به اليهم من الظاهر ، والباطن ، فيسألون بعد ذلك ان يردوا الى رأي البشر ، وكان هذا من قول بني اسرائيل لموسى بعد ان أهلك الله فرعون وقومه ، وتوجه موسى ببني اسرائيل يريد بهم الشام مقر ابائهم ، واخرجهم معه ، فلما ابطل موسى عندهم علم التقليد للبشر من دون الرسل سألوه ان يقيم لهم من يعلمهم العلم الحقيقي الذي هو من قبل الله تعالى ، فأوحى الله اليه ، وهم يومئذ اثني عشر سبطاً ^(١) ، ان يقيم لكل سبط منهم نقيباً يعلمهم ، وذلك قوله جل ذكره :

(وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِمِصْرِكَ الْحَجَرِ

فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَمْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)

(١) وردت بنسخة (هـ) (اسباطاً)

فالعصا ههنا كما ذكرنا مثل التأييد الذي ايد به ، والحجر مثل اساسه الذي يخصه من التأييد المتحد به ، مما يجب له منه فيقيم اللواحق لكل سبط منهم رجلا ، قد عرفوه انه مشربهم يعني انهم يستفيدون منه ، والعلم مثله مثل الماء كما ذكرنا فيما تقدم .

فاتصل كل سبط منهم بصاحبه ، ونصب لهم الدعاة يعلمونهم التأويل ، ويفزّوهم بالحكمة ، بعد ان عرفهم موسى ظاهر الرسالة ، وما تعبدوا باقامته منها ، وقوله تعالى :

(كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)

يقول تناولوا من البيان والعلم قدر احتمالكم شيء بعد شيء ، فالأكل مثل التناول للضعيف الاحتمال ، كما يكون الأكل لمن لا يمتليء من الغذاء إلا بعد مدة ، كذلك كان ضعيف القوة لا يحتوي الحكمة إلا بعد مدة ، والشرب مثل التناول للقوي الاحتمال كما يكون الشارب الذي يتناول منه في وقته بسرعة ، وان اجتمع القوي والضعيف عند السماع فانه لا ينال كل واحد منها إلا بقدر احتماله كما انه لو اجتمع على الطعام والشراب جماعة مختلفون في الصحة والهمة لم ينل كل واحد منهم إلا بقدر احتماله ، وذلك في ضاهره ، وباطنه مختلف ، لاختلاف قوى البشر اذ لا يكاد يجتمع منهم اثنان على مقدار واحد ، فلا يزيد أحدهما عن صاحبه فيه إلا بقدر ما ينقص عنه ، كما ان ذلك لا يتفق في ظاهر الصورة ، وان كانت متشابهة ، فلا بد من فرق بين كل صورتين .

فلما نصب لهم هرون اللواحق ، وأقام لهم الدعاة ، لبيان التأويل ، وما تعبدوا به ، اتوا موسى فقالوا له : إنا لا نصبر على المقام على محض التأويل وحده ، فاسأل الله لنا على لسان اساسك الذي أقمته لنا فنونا

من العلوم الظاهرة تتنفس فيها ، ليكون لنا خوض في المذاهب ،
ونتصرف في العلوم ، وذلك قوله :

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْمِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَصُلِهَا ، وَقَتَائِهَا ، وَثُومِهَا ، وَعَدَسِهَا
قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى هُوَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ)

يقول : تطلبون ما هو أدنى ، وأقرب ، وتستبدلون بما هو خير منه :

(اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ)

يقول أرجعوا الى ظاهر الناطق ، تجدون فيه ما طلبتم .

ومصر ههنا مثل للناطق ، ومنه قول الرسول (ﷺ) « انا مدينة
العلم وعلي بابها » فأعرضوا عن التأويل ، وعن من نصب لهم لتأديته ،
وانصرفوا الى الظاهر ، فخاضوا فيه ، وفي لجج مجوره ، وتيار أمواجه ،
اذ عدموا التأويل ، وخرجوا الى ظاهر الماضين ، وصاروا الى القول
بالآراء والتقليد ، وما تزينه لهم الانفس الى ان سألوا موسى كما وصف الله
تعالى عنهم يريهم الله جهرة وقال الله عز وجل :

(فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ)

والصاعقة الموت ، وذلك موت الحواس عن العلم الحقيقي الذي به
حياة الانفس ، فماتت عن خواطرهم ، وصاروا كما قال تعالى وهو
اصدق القائلين .

(أَمْوَاتٌ غَيْرَ أَحْيَاءَ وَمَا يَشْعُرُونَ إِيَّانَ يُبْعَثُونَ)

ثم من الله عليهم بالحياة ، فأمر موسى باقامة اللواحق والدعاة ثانية
لهم ، بحسب ما كانوا عليه ، ونصب لهم ذلك هرون عن امره ،

فأنعشهم ذلك ، وأحياهم ، وهو قوله تعالى وهو اصدق القائلين .

(أَمْوَاتٌ غَيْرَ أَحْيَاءَ وَمَا يَشْعُرُونَ إِلَّا أَنْ يُبْعَثُونَ)

ثم من الله عليهم بالحياة ، فأمر موسى بإقامة اللواحق والدعاة ثانية لهم ، بحسب ما كانوا عليه ، ونصب لهم ذلك هرون عن امره ، فأنعشهم ذلك ، وأحياهم ، وهو قوله تعالى :

(ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمْ
الْغَمَامَ)

يقول : جعلنا بينكم وبين الحدود العلوية حد الناطق الجسداني ، تستظلون به ، وتستفيدون من نوره آمنين من ان يحرقكم لطافة الحدود العلوية .

(وَزَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)

(وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ)

المن مشتقة من الامتنان ، قال الله تعالى :

(فَمَنْ لَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابُ السُّمُومِ)

وقال :

(بَلِ اللَّهُ يُمِّنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)

من اخذ العلم عن اولياء الله وحدودهم ، فقد نال المن والسلوى ، وجميع الطيبات .

وزعم اهل الظاهر ان المن هو (الترنجين) ^(١) ، والسلوى هو طائر

(١) في نسخة (س) وردت (الترونجون)

يشبه (السَّمَان) (١) وهو طائر لم تعرف حقيقته .
والحقيقة هو ما ادت اللواحق ، وما ادت الاجنحة من العلم الذي
يغذون به العا من حدهم .

(كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)

اي خذوا ما اوتيتم من العلم طيباً مما رزقتموه .

(وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)

يعني بما صرفوه من القول الذي سمعوه ، وما اعرضوا وما تركوه .
واما قوله تعالى :

(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا)

تأويله ان القرية بمعنى المدينة ، والمدينة كما ذكرنا مثل الامام ،
لأنه جمع من العلم والحكمة ، مثل ما تجمعها المدينة من الخيرات والنعمة ،
وذلك ما امروا به من قبول ظاهر موسى ، وما شرع لهم من شرائع
الدين ، وهو قبول تقليد وطاعة بلا بيان ولا حجة .

(وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا)

ومثل الباب الاساس كما ذكرنا من قول رسول الله (ﷺ) « انا مدينة
العلم وعلي بابها » فأمرُوا باقامة الظاهر والباطن والخضوع لاساس موسى
وهو هرون في ذلك الوقت (وَقُولُوا حِطَّةً) قال : اهل الظاهر معنى
حطة اي حط عنا ذنوبنا ، ولو كان هذا القول يحط الذنوب لم يبق
مذنب إلا غفر له ، بل هي كلمة تدل على الانحطاط والخضوع لحدود
الناطق ، أي أقروا بمن في وقته من اللواحق ، ومن بعده من الائمة في

(١) في نسخة (س) وردت (السمنة)

دور الناطق نخط عنكم الذنوب ، وذلك قوله :

(نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ)

يعني العاملين يزيدهم ما وعدهم به من الثواب بعد المغفرة .

(فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ)

فالظلم كما قلنا في اللغة هو وضع الشيء في غير موضعه ، يعني انهم بدلوا اسم الامامة ، فوضعوا فيها غير اهلها ، ووضعوا اهلها في غير موضعهم .

وقوله عز وجل .

(وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ، وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِّمَّاتٍ)

(رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)

وذلك انه أمر بأقامة اربعين حداً ، عشرة من فوقه وهي الحدود العلوية ، وقد ذكرناهم وثلاثين من دونه ، وهم الحدود السفلية ، النقياء الاثنى عشر ، واللاواحق الاثنى عشر ، والاثمة لأن السابع منهم يصير ناطقاً ، فهؤلاء ثلاثون حداً يعبدون الله ، امر موسى باقامتهم من دونه ، واتهم الله عز وجل الى الاربعين بالعشرة العلوية التي هي من فوقه ، فاشتغل موسى باقامتهم ، واستخلف أخاه هرون على بني اسرائيل ، وهو قوله تعالى :

(وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخِيفْنِي فِي قَوْمِي)

ولما خلوا بانفسهم وغاب عنهم موسى في الذي امره الله تعالى به من اقامة الحدود فتنوا ببعض ابناء اللاواحق ، وأمثال اللاواحق في الباطن البقر ، وأولادهم هم الذين أخذوا عنهم وربوهم أمثال أولاد البقر التي

هي العجول ، وواحدما العجل فاتخذ قوم موسى رجلا من أبناء اللواحق
أماما ، أقاموه لانفسهم ، وذلك قوله تعالى :

(وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ)

يقول اتخذوا مما تحلوا به من حلية الايمان كلاما حفظوه ، وجمعوه
لاحد المستفيدين من اللواحق ممن لا يحسن البيان له خوار اي كلام لا
بيان فيه ، كما يكون الخوار وهو الصوت الذي يخرج من قبل الحياشيم^(١)
لا تقطعه اللهوات ، واللسان والشفتان ، فيكون كلاما بينا بلا بيان .
وقوله تعالى :

(أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ)

اي لا يكلمهم بكلام الحقيقة (وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا) من سبل الحق .

(اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ)

اي وضعوه في غير موضعه .

وقد ذكرنا ان الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه ، فنصبوه
مكان هرون ، وذلك قوله تعالى :

(فَقَالَ هَذَا إِلَهُكُمْ ، وَإِلَهُ مُوسَى فَتَسِي السامريُّ رَبَّهُ)

(أَفَلَا يَدْرُونَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ، وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا ،
وَلَا نَفْعًا)

(وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ، وَإِنَّ

رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي ، وَأَطِيعُوا أَمْرِي)

(١) وردت في نسخة (هـ) (الحياشيم)

(قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى)

فلما أقام موسى الحدود الذي امره ^(١) الله عز وجل بإقامتها ، وهو لا يدوي ما صنع فوقه من بعده ، وقد ذكرناهم ، وذلك قوله تعالى

(وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بَعَثْرَ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ)

(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّي أَرِنِي)
أَنْظِرْ إِلَيْكَ

وذلك ان موسى لما اشتغل بإقامة الحدود ، اي ميقات ربه الذي وقته له ، وهو حده العلوي ليفيد بحسب ما حدده ووقته له في الموضع الذي تغشاه بالوحي فيه ، استخلف هرون على قومه ، وأقامه لتأدية الظاهر الذي كان يقوم هو فيه ، والباطن الذي هو حد أساسه ، هرون فحسده السامري ، وكان ممن يحضر عند موسى ، ويظهر له القبول عنه وهو في باطن امره على خلاف ذلك ، فاستمال ضعفاء قوم موسى ، وعرضت لهم بما كان فرعون ينتحله ، ويقول من الباطن به ، واشتق له تأويلا ، ونصب بإزاء هرون رجلا من بعض المستجيبين عن مال اليه ، وهو المضروب مثلا بالعمل ، وتقدم ذكره .

فافتتن اكثر قوم موسى من بعده وذلك قوله عز وجل .

(وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى)

(١) وردت في نسخة (س) (تعبده) .

(قَالَ هُمْ هَؤُلَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّي لِتَرْضَى)

(قَالَ فَأَمَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ ، وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ)

وسنذكر تمام هذا الكلام في موضعه بعد تأويل ما قد قدمنا ذكره من قوله جل ثناءه .

(قَالَ رَبِّي أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ)

فرب موسى هنا المراد به مربيه بالحكمة ، وهو حده العلوي الذي تفشّاه بالوحي عن الله جل ذكره ، وهذا معروف في لسان العرب يقولون لملك امر الشيء ربه ، كما يقولون رب العبد ، ورب الدار ، ورب الثوب واشباه ذلك ، ومن ذلك ما حكاه الله عن يوسف عليه السلام لرسول الملك الذي جاء عنه .

(إِذْجَعْ إِلَى رَبِّكَ فَأَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّلَّاتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ)

وقوله :

(أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا)

وقوله موسى :

(رَبِّي أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ)

يعني بذلك النظر في جميع ما عنده من العلم ، الى آخر حدود المعرفة ، وذلك انه سأل النظر في حده الذي يتصل به من فوقه ، والتظر في اللغة يكون بغير رؤية البصر ، كما يقول القائل لغيره انظر في امري فسأل موسى زيادة في رؤيا العلم فوق ما اوتيته وحدد له .

اما ان يكون موسى سأل النظر الى باري البرايا جل ذكره ، وهو من العلم في حد النبوة ، وذلك يتنافى عن هو دونه في العلم ان يرى

ان ذلك يتبيأ له ، او ان في قوة البشر النظر الى الملائكة لانه ليس في قوة البشر الكثيف الجسماني ان ينظر الى الملك اللطيف الروحاني ، ولا ان يسمع كلامه ، كما يسمع كلام البشر امثاله ، ولا يتحد ما يتحد به النبيين عن حدودهم العلوية من الملائكة ، الا عن مشقة شديدة تنالهم في ذلك اذ ليس في قوة طباعهم الثبات لذلك ، ومنه ، قيل ان رسول الله (ﷺ) كان اذا تغشاه الوحي اخذه سبات ، وكرب ، وارفض عرقاً ، وثقل جسمه ، حتى لا يستطيع حمله ، واستغرق ذهنه حتى لا يعرف في الظاهر من بحضرته ، ولا خطاب من يخاطبه ، حتى انهم قالوا عنه في ابتداء امره انه يحن وذلك قوله :

« مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ »

ولو ان انسان كلمه بعض الحيوان الذي شاهده، وألفه ، او الشجرة ، او الحجارة وهو يراها ، ويعرفها لم يكن في قوة طبعه ، ان يحتمل ذلك فكيف بان يكلمه ما لم يعرفه ، ولا ألفه ، او ان يرى ذلك ، ولذلك قال الله وهو اصدق القائلين :

« فَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلِكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيْسُونَ »

قال جلّ وعلا :

« وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا

يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ »

(الى قوله)

« وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ »

قال اكثر المفسرين من اهل الظاهر ، انما عنى بذلك جبريل ، وان رسول الله (ﷺ) رآه مرتين ليلة اسرى به وقد ذكرنا ان الاسراء انما كان بروحه ، وكذلك قال اكثرهم في كيفية نزول الوحي ، ومن قال منهم انه كان يرى جبريل فانما زعموا انه كان يتمثل له في صورة دحية الكلبي ، كما قال المشبهون انه رأى الله باري البرايا جل ذكره ، وكما زعموا ان الله سبحانه نزل من السماء ، ودخل في شجرة ، ولكم موسى كلاماً كما يشاهدون من كلام البشر ، تبارك الله جل جلاله ، وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، واكثر الروايات في ذلك على ما ذكرنا ، وانه (ﷺ) كان يذكر انه سمع صوت الوحي كحس السلسلة .

وذكر في الخبر عن موسى عليه السلام انه سمع من الشجرة صوت كصوت الهر ، ومثل ذلك انما كان كذلك للطاقة الملك ، وانه ليس كالبشر الكثيف ، وكان كلام البشر انما غلظ لخروجه عن الصورة الجسمية ولطف ورق ما خرج عن الروحانية ، لانه لم يجر في آلة ، وانما غلظ كلام البشر لخروجه من ضيق وهو الخلق الى سعة الفم ، كخروج الصوت دقيقاً من ثقب البوق (١) ، فإذا صار الى طرفه الواسع الذي هو نظير الفم غلظ ، لذلك زعمت العامة ان موسى انما سأل ان يرى الله عز وجل وتقدس عما يقولون ، ونزه اوليائه عن ان يجهلوا مثل هذا من قدرته تعالى ، وعجزهم عنه .

وقوله :

« كَلِمَةً رَبُّهُ »

ذكرنا انه حده العلوي ومريبه بالتأييد من قبل الله عز وجل ، وعن

(١) وردت في نسخة (هـ) (البون) .

امره تبارك اسمه وكلامه عنى به ما تغشاه من الوحي ، وذلك معلوم في اللغة العربية التي نزل القرآن بها كقولهم وعظت الدنيا اهلها ، وخاطبتهم عن ابنائها ، وانذرتهم ، وحذرتهم ، وليس ذلك عن كلام كان منها .

قوله تعالى :

« لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي »

فالجبل مثال اللواحق ، فقال الحد المتحد بموسى لما سأله جميع ما عنده بقوله :

« أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ »

فقال له ذلك ما لا تقوى عليه ، لأنه ليس من حدك ، ولا تحتمله قوتك ، فان شئت ان تعرف ذلك فزد انت احد لواحقك مما عندك شيئاً فوق حده ، فان رأيت ثبته له ، واحتمله فسوف تحتمل انت ذلك مني .

« فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ »

هذا القول فيه تقديم وتأخير على ما يجري في لسان العرب ، يقول : (فَلَمَّا تَجَلَّى لِلْجَبَلِ) يعني اللاحق « ربه » يعني موسى مربيه بحكمته ، وذلك عندما فعل موسى عليه السلام .

« جَعَلَهُ دَكَّاءَ »

يقول تضعضع ، وتكدك (١) ، ولم يحتمل ما زاده موسى عليه ،

(١) في نسخة (هـ) جاءت (وتكدكد)

وضعت قوته عنه فتلاشى ، فلما رأى ذلك موسى هاله ، وعلم انه لو اعطي ما سأل ، لكانت تلك حاله .

« فَخَرَّ مُوسَى صَبَعًا »

مغشياً عليه من خوف مما تجرأ عليه في سؤاله من ادراكه غير منزلته .

« فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ »

فنزّه الباري جل ذكره عن ان يأمر بوضع شيء في غير موضعه ، وتاب بما عرض له فيما سأل ، وافرّ انه اول من صدق وآمن انه لا سبيل لاحد الى قبول ما ليس من حده .

« قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي »

فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ »

يقول : بعثناه الوحي من الله عز وجل ، يخبره انه ايد بالرسالة بالظاهر ، والدعاء الى القبول عنه بالتقليد والتصديق ، وقوله تعالى :

« وَبِكَلَامِي »

يعني بالبيان الذي ايد به ، وذلك تاويل ما دعي اليه بيانه ، ليثبت ذلك عند من اخذه تقليداً عنه ، وتصديقاً له ، وسماه عز وجل بكلامه ، ونسبه اليه تعظيماً له ، كما قال جل من قائل :

« وَاعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَلِلَّهِ خُمُسُهُ »

وقوله تعالى :

« خُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ »

يقول : خذ ما اعطيت ، واشكر عليه ، ولا تتناول الى ما ليس لك .

ثم قال تعالى :

« وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا »

فالألواح بالتأويل اللواحق الذين يثبت الأساس عندهم علم التأويل ، وقد ذكرنا اعدادهم ومحلهم ، يعني ان جعل فيما اثبت في حد اللواحق كل شيء يحتاج اليه من دونهم من علم وبيان وموعظة .

« وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا »

يعني بالبيان وهو التأويل الذي به يثبت ظاهر التنزيل ، ويصبح في القلوب والعقول ، وبه تثبت الحجة على من انكر احكام الشريعة ، وطعن في ظاهر تعبد اهلها به من اهل الملل والزنادقة وغيرهم ، الطاعنين على شريعة الاسلام .

فالتأويل الباطني هو الذي يشهد للظاهر ، ويثبت صحته لمن انكر وشك فيه بجهله بمعانيه ، والمراد به ، وما جعل عليه دليلا ، ومثلا له ، كمثل من انكر معنى الطهارة ، بالماء ، والصعيد والصلاة ، وما فيها من الركوع والسجود ، والتوجه الى القبلة ، وصوب البيت الحرام ، والحج اليه ، والتطواف به ، والوقوف في مواقف الحج ومشاعره ^(١) ، وغير ذلك ، مما تعبد الله عز وجل الخلق به ، وما احله لهم ، وما حرمه عليهم مما يطول ذكره ، وما اخرج كثيراً ممن لم يعرف تأويله ،

(١) في نسخة (س) جاءت (وشاعره)

وما ضرب مثلاً له الى الزندقة اذ انكره ، وقعد ممن صدقه ، ولم يعرف حقيقة تأويله من احد العلماء ، وفضل المعرفة ، واخرجهم الى تشبيه الباري جل ذكره بخلقه ، والى استعمال آراءهم ، وقياسهم ، واهواءهم في دين الله ، وتحريم ما امله ، والكذب على رسول الله ، وتحريف التأويل بآرائهم الى ما زينته لهم عقولهم ، وهذا سبيل العامة كلهم .

ومن طلب التأويل من قبل اوليائه الذين نصبهم له ، وأودعهم علمه ، وعلم منهم ما افادوه اياه ، ووحد الله حق توحيده ، ونفى عنه تشبيه المشبهين ، وعلم حقيقة ما تعبد الله عز وجل به عباده ، مما احله لهم ، وحرّمه عليهم ، وعلم الصحيح من السقيم ^(١) من الاخبار عن رسول الله وغير ذلك مما اختلف فيه الناس ، لان التأويل يوضح ذلك ويبيّنه ، وهو عياره ، وميزانه والشاهد عليه ، وله .

فلذلك كان احسن الحديث وافضل العلوم ، وامر الله عز وجل موسى ان يأمر قومه بالاخذ به ، وهو الذي عناه بقوله تعالى :

« إِنِّتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ »

وقوله تعالى :

أَنْزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ «

ورجع موسى كما قال الله عز وجل .

« إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَانَ أَسَفًا قَالَ يَا قَوْمِي أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ

(١) في نسخة (هـ) جاءت (المسقيم)

مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ مَوْعِدِي »

وذلك لما ارتكبوه من بعده من اتخاذهم العجل ، واعراضهم عن هرون ، وما اقامه من ظاهره .

« قَالُوا مَا خَلَقْنَا مَوْعِدَكَ بِمُلْكِنَا »

(اي باختيارنا)

« وَلَكِنْ جِئْنَا بِكُلْبَلَاءٍ مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ »

اي حمل علينا كلام من كلام فرعون شبه علينا به ، وزينه لنا ، حمله بتأويل اقامه لنا .

« فَقَذَفْنَاهَا » اي رفضنا هاتيك المسائل ، لما تبين فسادها .

« فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ »

يقول كذلك كان ما القاه اليينا السامري اي هو فعل ذلك بنا ، وانما كان هذا قول الراجعين عنه ، الذين تبين لهم فسادهم قبل مجيء موسى اليهم الذي حكاه الله تعالى بقوله :

« وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ

يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرَ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ »

« وَأَلْقَى الْأُلُوحَ مُوسَى »

كما ذكر الله عز وجل عنه .

« وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ

اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي

مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ «
وقال في مكان آخر :

« قَالَ يَا هَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ
أَفَصَبَيْتَ أَمْرِي ، قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي
إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي »

فإلقاء الألواح تأويلها انه اسكت اللواحى والدعاة عقوبة لقومه لما
احدثوه من بعده ، وقد ذكرنا ان مثلهم مثل الألواح التي فيها العلوم ،
وكذلك سمي الحد العلوي الذي اثبت فيه العلم اللوح المحفوظ ، وقد
ذكرناه فيما تقدم واخذه اي برأس اخيه اخذ الظاهر من يديه الذي كانت
رئاسته به لاستخلافه اياه عليه ، ولحيته مثل الباطن الذي اقيم له لئلا
يتصل شيء من ذلك عنه بلواحقه اذ كان قد قطع الدعوة ورفع البيان
عن امته جزاء لما احدثوه من بعده ، وخاف هرون ان يكون ذلك عن
موجدة من موسى عليه فاستغفر له موسى .
وذلك قوله :

« رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَاَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ »

اي استرنا برحمتك لا كما زعمت العامة اهل الظاهر ان موسى ضرب
الارض بالتوراة التي انزلها الله عليه ، وكان من ألواح الزمرد حتى
تكسرت لما غضب على قومه ، واخذ بلحية اخيه وبرأسه يحرقه اليه على
الارض ، فقد نزه الله موسى عن ان يفعل مثل هذا الفعل بكتاب انزله
الله او بأخيه وهو نبي كريم قد قرنه الله بالرسالة ، ولو نسب مثل هذا
الى بعض قائله في كتاب جاءه من بعض اخوانه انه ضرب الارض به ،

او عمل مع عبد من عبيده ، واخذه بلحيته ، او برأسه ، وجرّه اليه ، لنفى ذلك عن نفسه ، واستوحش ، واغتم من ان يذكر بمثله ، ويهون عليهم ان ينسبوا ذلك واشباهه الى اولياء الله الذين اصطفاهم الله من خلقه وابذائه الذين نصبهم لعباده واليه انه رضى بذلك من فعلهم تعالى الله ونزه اوليائه عن افكهم .

ثم قال موسى للسامري ما حكاه الله تعالى من قوله :

« فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ »

اي ما امرك هذا الذي احدثته وفتنت الامة به .

« قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَنْصُرُوا بِهِ »

رأيت رؤيا من قبل نفسي خلاف ما رأيتم انتم يعني موسى وهرون ولواحقه من قبل التأييد الذي ايدهم به .

« فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا »

يقول : رأيت بنفسي قوة الرسالة والتأييد ، فادعيت ذلك ، ونصبت

العجل لي باباً ، واطلقت له الدعوة والمفاتيح بما « سَوَّأْتُ لِي نَفْسِي »

ثم نبذت ذلك اي تركته وزعمت العامة ان السامري رأى جبريل قد

اتى الى موسى راكباً على حمار فأخذ قبضته من اثر المواضع التي وطئ

عليها حمار جبريل فأفاده ذلك علماً دعاهم اليه ، ورمى ذلك التراب

عليهم فحسن قوله عندهم ، ولولا ان يطول الكلام لذكرنا مع كل تأويل

مثل هذا من فساد ما اتوا به ، وما تألوله ^(١) ، ولكنه موجود وقد

سمعه من سمع الحق ، وتبين بذلك فساده عنده ، انشاء الله .

(١) وردت في نسخة (هـ) (قالوه)

ولما رجع السامري عن الذي كان عليه لم يسع ^(١) موسى الا ان فعل
به مثل ما فعل باصحابه من حرمانه المفاتيح ، وذلك قوله :

« قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ
لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ »

اي اخرج من امرنا الذي شبهت به على الناس ولا تفتح احداً فيه ،
ولا يفتحونك .

« وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ »
يعني موعد الآخرة .

« وَاَنْظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ، ثُمَّ
لَنُنْفِثَنَّ فِي أَلَمٍ نَسْفًا »

فاله ههنا العجل الذي نصبه الها لقوم موسى من دونه ، وعكف
عليه اي اقام على ذلك من امره ، يقول لنذهبن بالباطل الذي اقمنا عليه
بظاهر ما نحن دون باطنه ، والظاهر مثل اليم ، وهو البحر كما ذكرنا
في غير موضع فيما تقدم استخفافاً من موسى بباطله الذي لم يحتاج الى
كسره بباطن الشريعة ، بل يكتفي بذلك بظاهرها ، لضعف ذلك
الباطل وفساده ووهي امره ، وكان من قوم موسى من لم يفتن بالمعجل ،
وبقي على طاعة هرون ، ومنهم من افتن به ، ثم تبين لهم فساد
فتركوه ، واستحكمت الفتنة في اكثرهم ، فبقوا على ما كانوا عليه ،
واستثقلوا الفروض التي اتاهم بها موسى ، وركنوا الى ما كان فرعون
اباحه لهم فاستحكم امر الفتنة فيهم ، فرأى موسى ان تركهم والاعراض

(١) في نسخة (هـ) وردت (لم يسع)

عنهم بما يقوي اسباب ذلك فيهم ، فاقام فيهم هرون مقامه من التآويل ، وامره بنصب لواحقه وحدوده ، فأكمل ذلك وهو قوله تعالى :

« وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ »

يعني انه ضم اللواحق اليه .

(وَفِي نُسْخَتِهَا)

فنسختها هنا هرون الذي استنسخ مما عنده من اللواحق وانزلهم على حدودهم منه .

(هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ)

يعني المؤمنين الخائفين المطيعين لولي زمانهم فأنصب موسى على قومه يدعوهم الى الدخول في امر اساسه ، وهو ما حكاه الله عز وجل بقوله :

(يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا

تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ)

يعني ادخلوا في امر اساسي وحجتي وقد ذكرنا ان ذلك مثل الأرض ، ولا تترددوا عنه الى ضده فتخسروا ما سبق لكم من الاعمال الصالحة .

(قَالُوا يَا مُوسَى إِن فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنُودُكَهَا

حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ)

يعنون ان الذين اقاموا على امر هرون قد صارو لهم اعداء ، وباينوهم ^(١) ، فقالوا : لا نكون معهم على امر واحد ابداً .

(١) في نسخة (س) وردت (وبايعوهم)

(قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ عَلَيْهَا ادْخُلُوا
عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ)

فالباب ههنا هو هرون كما قال رسول الله (ﷺ) « انا مدينة
العلم وعلي بابها »

(فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ)

اي تغلبونهم على امرهم لكثرتكم ، وتكون المنزلة والحال لكم ،
وذلك لانهم انقوا ان يدخلوا في امر هرون ، وقد احدثوا ما احدثوا ،
فيكونون ادون ممن لم يحدث حدثا في الحال والمكان عنده .

(وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

اي اجعلوا اعتمادكم على الله ان كنتم صادقين .

(قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ

نْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ)

يقولون : اذهب انت والرب الذي اقمته لقومك يعنون هرون ،
فاحتجنا على من خالفكما ، وذلك اعتدادهم بانفسهم لكثرتهم ، وقلة من
اتبع موسى من المؤمنين .

(قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ

الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)

يقول: لا تجمعنا مع من فسق ، اي زال عن امرك ، ولم يقطع موسى
بالثبات على من بقي على امره من قومه ، ولم تبق لهم ، فلم يذكر انه
يملك الا نفسه واخاه ، ومثل هذا من موسى لقومه قوله :

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِي إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ
بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ)

يعني انزلتموها في غير موضعها ان اطعمتم من لم يأمر الله بطاعته .

(فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ أَفَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ)

يقول اغلبوا عليها اي نفوسكم فيما دعتم اليه من الباطل ، واقهروها
على الحق ، وأميتوها عن الباطل ، وانزل الله سبحانه وتعالى عليه
الوحيد لقومه والاحتجاج الدافع المرجف للقلوب ، فجعل موسى يسترحم
لهم رجاء ان يرجعوا عما هم عليه من الضلال ، وذلك قوله تعالى :

(فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمُ
مِّن قَبْلُ)

يعني بما احدثوا في وقته .

(وَإِيَّايَ)

يعني بما وقع فيه من الخطأ عند قوله :

(رَبِّي أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ أَتَهْلِكُنَا إِيمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ
هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ
وَلَيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَكَتُبْنَا لَنَا فِي
هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدَّنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ
بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

الرُّسُولَ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ
لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ^(١)
وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ ،
وَنَصَرُوهُ ، وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ)

آخر الله عز وجل موسى انه لن يرحم من اتباعه الا من ادرك محمد
وآمن به ، وصدقه بآياته وهم ائمة .

(وَاتَّبَعَ النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ)

وهو بيان التأويل الذي يستضاء به ، وبمن اودعه إياه .

(فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

اي الناجحون الناجون من العذاب من قوم موسى ، ومن آمن
بالآيات من قبله ، وهم ائمة موسى وحجته .

ثم ذكر الله عز وجل لعنه ومسخه اياهم ، وما به من العذاب اي
بالمسخ ثم تواعدهم في غير موضع من كتابه قوله تعالى :

(ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا)

وقوله :

(لَا تَعْمَدُوا فِي السَّبْتِ)

(١) في نسخة (هـ) وردت (امرهم)

اي لا تتعدوا الى ما حظر عليكم ، وقوله تعالى :

(وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا)

يعني العهد الذي اخذ عليهم ، وقوله تعالى :

(فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ)

وقوله :

(وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)

وقوله :

(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ)

وقوله :

(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ)

يعني بمسخهم قردة انقلاب وجوههم ، التي كانوا تصوروا بها في الدين ، فانقلبت الى صور الكفر ، الذي هو اقبح الصور ، كما ان القردة والخنزير اقبح صور الحيوانات ، فكثير من هو على هذا التنزيل خنزير ، وهو في صورة البشر ،

ثم رفع الله عن قوم موسى فضيلة الاساسية وما فيها من بيان التأويل ، وذلك قوله تعالى :

(فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ)

اي يرتابون ، ويشكون في الاساس ، وقبض الله هرون من بينهم ،

وانقطعت مادة التأويل والبيان ، وتأهوا في الارض كما قال الله عز وجل ، وقد سبق في حكم الله سبحانه وتعالى ، ان لا يقيم الائمة الا من نسل الاساس ، ولم يدع هرون ولدأ يصلح لذلك وكان الذي خلفه لم يصلح لذلك ، كونه طفلاً ، وطال الأمر بقيام موسى على ذلك من عدم قيام البيان والاساس المقام له ، وعرفوا فضل ما حرموه ، وتلاوموا فيما اقترفوه ، وتدارأوا به ، فأمر الله موسى ان يأمرهم ان يختاروا منهم رجلاً يصلح ان يكون حجة لموسى فيهم ، وذلك قوله :

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْجُوا بَقَرَةً

قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءاً أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)

والبقر في التأويل امثال الحجج ، والذبح مثل اخذ العهد ، اي اختاروا رجلاً منكم يؤخذ عليه عهد الحجج ، ويقام لكم حجة ، فنسب الذبح اليهم ، اذ كانوا هم يقيمون ذلك .

(قَالُوا أَتَتَّخِذُهَا هُزُوءاً)

يقولون اهتأأ بنا متى كانت الامة تقيم الحجج .

(قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)

اي لو فعلت ذلك برأى لكنت جاهلاً ، ولكن الله امر بذلك وجعل ذلك اليكم اذا كان مرجعه الى ولد هرون بعد ذلك ، ولو نصبه الله عز وجل لثبت ذلك له وكان لولده من بعده .

(قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ)

اي يبين لنا الرجل الذي هو حجة لك في حياتك ، ويكون وصيك بعد وفاتك ، فاسأل الله ان يدل علينا بصفته ، لنقف عليه بها ، فانا لا ندري من نختار لهذا الامر .

« قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بُكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ
ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ »

يقول : لا كبيرة مسنة ، ولا بكر^(١) صغيرة ، يعني ليس ممن صار
الى التأييد بالعلم ، ولا ممن هو حديث في ذلك ، ولكن يكون متوسط
بين ذلك الحالين .

« قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا »

اي ما مجرى كلام هذا الرجل الذي نختاره ، وصفه بيانه ؟

« قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْهَا تَسُرُّ
الْأَنْظَارِينَ »

يقول : هو لاحق حسن البيان صافيه ، لا يشوب بيانه كدر
ولا تغيير .

« قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ؟ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ
عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ »

يقولون زدنا من البيان فان من يصلح ان يكون حجة يشبه امره
علينا ، ونحن نهتدي بالبيان لما كلفناه ان شاء الله .

« قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي
الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَةَ فِيهَا ، قَالُوا : أَلَا نَحْنُ بِالْحَقِّ فَذَنِّبُوهَا
وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ »

(١) في نسخة (هـ) وردت (بقرة)

يقول هو حجة لا يذل لاهل الظاهر بالكلام ولا لهم عنده حال .

« وَلَا تُسْقِي الْحَرْثَ »

اي لا يفتحهم بشيء من البيان .

« تُمِيرُ الْأَرْضَ »

اي تحرثها يقول يعمل بتأويل الاساس ويصلح امره .

« فَذَبِّجُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ »

لما تعاضموه من ذلك .

فأوصى اليه موسى ونصبه خليفة لولد هرون الى ان يبلغ استحقاق
الامامة فيسلم الأمر اليه وكانت ذلك عندما قربت نقلته ولا ينبغي
ان يبقى الناس بلا ولي فقام يوشع بن النون بالوصية والخلافة .

ثم قال جل ذكره .

« وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ خُجِرٌ مَّا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ ، فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ »

عنى بقوله :

« قَتَلْتُمْ نَفْسًا »

اي دفعهم الامام عن حقه ، وهو هرون عليه السلام ، وظلمهم
اياه ، وقد ذكرنا فيما تقدم ان الظلم مثل القتل يقول دفعتم الامام عن
حقه ، ونصبتم من قبل انفسكم ضداً له في مقامه ، ومنعتموه عن نصب
اللاواحق ، ونشر البيان والتأويل ، وعقدتم ذلك فيما بينكم ، ودرأ

بعضكم بعضاً فيه ، وكنتموه عن ضعفاء الامة ، وأوهمتموهم انه هو
الاساس الحق .

« وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ »

والتدراً هو التدافع ، وقد تقدم القول ان قوماً منهم رجعوا عن
امر السامري لما بان عواره ، وان طائفة منهم كانوا على طاعة هرون
مقيمين لم يتبعوا شيئاً من امر السامري ، وهم اقل عداء ، فن اتبع
السامري فأنكر اهل الطاعة على اهل المعصية ما احدثوا ، واقاموا الحجة
عليهم فلم يقبلوها ، وذلك بتأييد هرون لهم ، واذنه بذلك وهو
قوله تعالى :

« وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِي إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ
وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي »
فكان جوابهم كما اخبر الله عز وجل .

« قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ مُوسَى »
فدفعوه عن حقه ودفعوا من اطاعه عن درجاتهم ومقاماتهم وهو
قوله تعالى :

« مَا دَرَأْتُمْ فِيهَا »

اي تدافعتم فهذا ما كان جرى بينهم وبين ذوي القوة بالعلم .
فاما الضعفاء والجهال فكنتموهم ولبسوا عليهم الحق بالباطل كما اخبر
عز وجل .

« وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ »

يعني من حق الامام وليكم وهذه كانت سبيل امة محمد (ﷺ)

في وصيه وأساسه علي كما قال (عليه السلام): [لتسلكن سبل الأمم قبلكم حذوا النعل^(١) بالنعل والقذة والقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه] وسمي الاساس نفساً لان مقامه من الناطق مقام نفسه، وكذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعلي صلوات الله عليه: « انا مدينة العلم وعلي^(٢) بابها » لان العلم يكون في النفس ، كذلك علم الناطق الحقيقي الذي هو التأويل الباطني المين للتزويل الظاهر هو عند الاساس ، وعنه ينتقل الى الائمة ، ويضع ذلك كل أمام في حجته ، فالامكان والوجود والازمنة في ذلك تختلف ، فمن الرسل والائمة صلوات الله عليهم اجمعين منهم من تهيأ له ذلك في زمانه، وتمكن في وقته من اقامة حجته ولواحقه ونقباه ودعائه ومأذونه وجميع ما يتصل بذلك في حدود دعوته في جميع جزائر الارض، ومنهم من يمكنه ويتهيأ له ذلك في بعض الجزائر دون البعض ، ومنهم من يتهيأ له اقامة بعض حدوده ، ويعجز عن بعضها ، ومنهم من يكون في بعض الأوقات والأزمنة لا يمكنه ولا يتهيأ له اقامة شيء منها من حجة أو غيره وقد ذكرنا حال بعضهم في ذلك ، وعدمه اياه في بعض أوقاته . وكان الذي اسسه قوم موسى من أمر العجل سبب ما جرى بعد ذلك من قتل الانبياء فنسبه الله عز وجل اليهم بقوله تعالى

(قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَأَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ)

فمن أسس تأسيساً وحدث منه امر كان عليه وله خيره وشره ومن

(١) وردت في نسخة (هـ) (ال فعل)

(٢) وردت في نسخة (س) (وعلياً)

ذلك قول رسول الله (صلم): « من استن سنة حسنة فعمل بها وعمل فيها بعده فله أجرها وأجر من عمل منها بعده من غير ان ينقص من أجورهم شيء ، ومن استن سنة سيئة وعمل فيها من بعده فعليه ازرها ، ووزر من عمل فيها من بعده من غير ان ينقص من وزرهم شيئاً » وقال : « ان العبد ليحاسب يوم القيامة فيؤخذ عليه فيما يطالب به من دم فيقول : والله ما سفكت دمًا قط فيقال له تكلمت بكلمة كذا فترقى امرها الى أن سفك بها دم ، فأصابك منه هذا » وقول الله سبحانه وتعالى :

(اَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا لِذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)

يقول : اضربوا من مات يعني ميت الجهل منكم ببعضها أي بعض البقرة التي مثلها مثل الحجة التي أقاموها ، يخبر ان كل ميت عن الحق إذا ضرب على اذنه وقلبه بتأويل الاساس صار حياً بما يستفيد منه ، وقد تقدم القول بما لا خلاف فيه ان الله ضرب الموت مثلاً بالجهل في غير موضع من كتابه كقوله تعالى :

(آمَوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يَبْعَثُونَ)

وقوله :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى)

أي احياءه بالبيان .

(وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ)

اي يريكم من يفعل ذلك من اوليائه .

(لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)

عنهم أفعالهم من استجاب لهم
ثم أخبر عز وجل عن تمادى من قوم موسى بعد ذلك في الضلال
فقال تعالى :

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ
أَشَدُّ قِسْوَةً)

عنى ان قلوبهم لم تتحرك لقبول العلم والحكمة بل كانت كالاموات من
الحجارة الظاهرة ثم قال :

(وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ)

يعني هي محتملة لضرب الأمثال ، فضرب الله الحجر مثلاً للاساس
لصمته ^(١) وصلابته في دينه واعتقاده ، ومنه تنبعث اللواحق الاثنى
عشر ، وقد ذكرنا تأويل ذلك فيما تقدم .

(وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقَىٰ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ)

يعني ان من الدعاة من له صلابه في الدين ، وانبعث العلم عند
المفاتيحة :

(وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)

يقول : انه قد يكون من المؤمنين من لا يبلغ مبلغ الحدود ، وله
صلابة في دينه ، وقوة ، وهو ضابط بالخضوع الى حده العالي عليه خشية
الله جل ذكره .

(١) في نسخة (هـ) وردت (لعمته) .

قصة طالوت :

وكانت الامامة في دور موسى قد انتهت الى طالوت ، وذلك قول الله تعالى :

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا)

يعني اماماً ، ومن ذلك قول الله عز وجل :

(أَمْ يَحْسِدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ قَدْ آتَيْنَا

آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا)

(قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا ، وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ

مِنْهُ ، وَلَمْ يُوْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ)

يقول: ذلك نظراً لما رآه يومئذ من اللواحق ، وكان احدهم ، وكانوا

يرون انه اقلهم علماً ، وذلك قولهم :

(وَلَمْ يُوْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ)

اي العلم الذي لم يتسع فيه كاتساعهم ، فنحن احق بالامامة منه .

(قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ)

أي اختاره .

(وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ، وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ

يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)

فأخبرهم ان الله زاده بسطة في العلم ، ويتبين ههنا ان العلم هو المال في الباطن ، والجسم هو الظاهر اي مده منها معاً .

وكان طالوت امام الزمان ، وكان بازائه من ادعى الامامة من أهل التقلب ^(١) وهو جالوت قتداعيا هو وطالوت للمناظرة في ايها احق بالامامة ؟ . فجمع كل واحد منها أهل دعوته للمناظرة ، وكان داود احد نقباء طالوت فسار فيمن سار معه من ذلك ما ذكره اصحاب التفسير في الظاهر انه كان قد زوجه ابنته ، وانه قال احملني معك فحملة وان داود اخذ ثلاثة احجار وجعلها في غلته وسار مع طالوت فترويح ابنته هو انه ضم اليه بعض لواحقه واهله للوصية كما فعل شعيب بموسى وقد مضى ذكر ذلك ، والثلاثة احجار هي ثلاث مسائل اعداها لجالوت واصحابه ، ولما توجه طالوت فيمن اختاره من اهل دعوته عرفهم بما يبتليهم الله عز وجل به وذلك قوله :

(وَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ يَاجُثُودَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ)

اي يخبركم بعلم يحريه لكم على لسان عامي .

(فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا

مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ)

يقول : الا من تناول منه من قبل المنعم عليه بالبيان ، فيعرفه صحيح ذلك من سقيمة ، وذلك لما احتاجوا الى استعداد العلم لمناظرة جالوت واصحابه فخاضوا في ذلك وماج كل فريق منهم في طلب ما يستعد به للمناظرة ، وطلبوا ذلك من وجهه ، ومن غير وجهه ، ومن عند اهله ، وغير اهله ، وهذا هو ما ابتلوا به ، وحذروا منه ، ومن

(١) في نسخة (س) وردت من (اهل الانقلاب) .

اخذ ذلك الا من جهة دعائهم المنعمين عليهم اولي الايدي عندهم فقد ضلّ
ولذلك نهى رسول الله (صلم) عن الكرع ^(١) في الماء ، وهو ان
يشرب الشارب منه غباً كما تشرب البهيمة ، وأمر بالشرب بالايدي
والاواني وهي امثال الدعاة ، وقال : « اذا لم تجدوها » اي الاواني ،

(فَاشْرَبُوا بِأَيْدِيكُمْ ، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ أَيْدِيكُمْ)

يعني اذا لم تجدوا الدعاة ، فخذوا عن اللواحق والحجج ، فهي
افضل لكم .

فأمر طالوت اتباعه من المؤمنين ان لا يأخذوا من العلم مما ارادوا
ان يستعدوا به للمناظرة الا من قبل نقباءه ونهى ان يأخذوا ذلك من
قبل العامة ، فلم يقبلوا ذلك منه الا قليلا منهم .

(فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ)

اي تركوه ، ولم يقبلوا عليه هم الذين خالفوه .

(لَا طَاقَةَ لَنَا بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ)

وذلك انهم لما خالفوا اولي امرهم ، واخذوا من علم من نهاهم عنه ،
لم يظفروا منه بطائل ^(٢) ، ورأوا انهم سيغلبون .

(قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ إِنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ)

يعني الذين اطاعوا اولي امرهم ، ولم يأخذوا الا عن امرهم
بالأخذ عنه .

(كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ

الصَّابِرِينَ)

(١) في نسخة (هـ) وردت الكراع (٢) وردت في نسخة (هـ) (بطوائل)

يعنون بالقلة قلة عددهم ، وبالكثرة اصحاب جالوت ، وقوله تعالى :

(وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَتَبَّتْ أَعْدَامُنَا ، وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)

يعني برز اليهم للمناظرة ، بعد أن أحجم عن التقدم من فشل وخالف
أمر ولي الزمان ، وخلط وأخذ ممن نهي عن الاخذ منه ، فتخلفوا
وهلكوا وهم أكثر أصحاب طالوت كما ذكر الله عز وجل عنهم .

(فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا)

وجاء في الخبر انهم كانوا اعني اصحاب طالوت اربعة آلاف ، فانهم
منهم ثلاثة آلاف فقتلوا ، وثبت ألف فهزموا اصحاب جالوت وذلك
قوله تعالى :

(فَهَزَمُوهُمْ بِأَذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ)

بما أعد له من المسائل فقطعه بها وافحمه ومن أعانه ولذلك جاء في
الخبر انه ضربه بحجر فنفذ منه ، والحجر لا يفعل ذلك ، وانما بيان
ذلك انه قطعه بالحجة ، ورجلين كانا اعاناه وناظرا معه .

قصة داود :

وافضت الامامة الى داود بعد طالوت عليها السلام ، وذلك قوله تعالى :

(وَأَتَاهُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ)

أي أن داود قد احتوى على علم الظاهر والباطن ، وأقام ابنه سليمان حجة له ، وفوض اليه أمر الباطن ، وذلك قوله تعالى :

« وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ »
وقوله تعالى :

(وَدَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ إِذْ يَخِيمَانِ فِي الْحَرثِ)
والحرث مثل الدعوة .

(إِذْ تَمْشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ)
يعني رعته ليلا اي تناول أهل الدعوة من غير حدم
(وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) .

(فَقَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ)

اي جعلناها له معرفة الحكيم في ذلك لان حكم الدعوة والدعاة الى الحجة دون الامام .

(وَكَلَّآ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا)

فالعالم يكون للناطق والحكم للحجة عن امره اياه بذلك إطلاقاً اياه وقد اختصم اليه صاحب زرع وهو الحرث اي المأذون له في تربية المؤمنين وصاحب غنم وهو الداعي في ناحية من نواحي اخرى غير الداعي الذي اذن لهذا المأذون فذكر المأذون ان اهل دعوة هذا الداعي خالطوا اصحابه الذي اذن له داعيه في تربيتهم فأسمعهم من التأويل وأفسدوهم عليه .

فقص سليمان على الداعي الذي فاتح اصحاب غير اهل دعوته ان يسلم اليه من اهل دعوته بعدد ما أفسده اهل دعوته بمفاتحتهم فيخرجون من دعوته ويصيرون الى هذا الذي افسد اصحابه وقضى عليه بذلك لان عليه أن يحوطهم وينعمهم من المفاتحة بالباطن لانهم في حرمه ولو فاتحوهم بالظاهر لم يكن عليه من ذلك شيئاً وكذلك الحكم في الظاهر موافق لهذا المعنى .

وفي الحديث انه اختصم الى صاحب زرع وصاحب غنم رعيته ليلاً والتعشي الرعي في الليل قال سليمان : على اهل الحوائط ان يحوطوا حوائطهم نهاراً فان فلتت منها غنم القوم من غير ان يطلقوها فيه لم يكن عليهم من ذلك شيء ، وذلك ما ذكرنا مثل مفاتحة المستجيبين بالظاهر وليس على داعيهم في ذلك شيء اذا فعلوه من ذاتهم ، قال وعلى اهل المواشي حياطتها ليلاً فان فلتت وافسدت ضمنت اصحابها الضرر وذلك مثل مفاتحة المستجيبين بالباطن والحكم فيه على ما ذكرنا وكذلك هو الظاهر .

وكذلك جاء في الحديث ان سليمان قضى على أصحاب الغنم التي فلتت

لهم ليلا ورعت الزرع لاهل الزرع بمثله أن يغرموه لهم وعلى هذا يجري الحكم الى اليوم والعمل به ظاهراً وباطناً ، وقوله تعالى :

(وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ)

فالجبال أمثال اللواحق والطير امثال الدعاة وتسبيحهم مفاتيحهم المستجيبين بالدعوة والتربية والاستجابة لداود وذلك هو تسخيرهم بالدعوة اليه فهم مسخرين له في ذلك .

(وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لَتُخَصِّصْكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ

شَاكِرُونَ)

عنى بذلك ما علمه عليه عليه السلام من البيان والحجة وامره أن يعلم ذلك للمستجيبين لدعوته ليحصنهم من بأس عددهم ويدفع عنهم طعنهم اياهم وقذفهم بحججهم وذلك مثل ما يدفع الدرع في الحرب عن لابسه من ضرب الاعداء وطعنهم .

وقوله تعالى :

(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ، يَا جِبَالُ أَوِىِ مَعَهُ وَالطَّيْرَ)

وقد ذكرنا تأويل الجبال والطير .

(أَوِىِ مَعَهُ)

يقول سيري معه حيث سار والتأويب تحازي السير للراكب ولم تكن الجبال والطير تسير في الظاهر مع داود حيث سار فكان القول في ذلك واقع على الباطن .

«وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ»

اي سهلنا له صعب الكلام وأما الحديد في الظاهر وان كان قد صنع

من الدروع (١) لم يكن لك بحسب ما هو عليه والدروع (٢) يصنعها
الناس منه حتى اليوم بحسب ما صنعها داؤد فلم يكن خصّ بذلك في
شيء دونهم .
وقوله تعالى :

« أَنْ أَعْمَلَ سَابِقَاتٍ »

فالسابقات التام الواسع يسير سيراً محدودة وسنناً كاملة متفقة بالعلم
والحكمة تدفع عن اهل شريعتك طعن الطاعنين عليهم وقد ذكرنا ذلك
من قبل هذا .

« وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ »

والسرد النبع والتقدير فيه ان يكون متقناً غير متفاوت كذلك امره
أن يقيم شريعته وسننه وسيرته بالاعتدال لا يتغاير منها شيء ولا يتفاوت
ولا يتناقض وقيل ان التقدير في السرد هو جعل مسامير الخلق مقدرة
لا تكون غلاظاً فتكسر الخلق ولا دقاً فيضطرب ومعنى ذلك ان
تأليف الكلام لا يكون دقيقاً ذاهب في الدقة لا يفهمه إلا القليل وبعد
تعب وتكلف ولا يكون غليظاً تمجه الاسماع ويحفوا على القلوب ولكن
يكون متوسطاً بين الامرين .

وقوله تعالى :

« وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذِي الْأَيْدِ »

يعني ذي القوة في امر دينه .

« أَنَّهُ أَوَّابٌ »

(١) في نسخة (س) وردت (الادوع)

(٢) وردت ايضاً بنسخة (س) (الادرع)

أي راجع الى ربه في جميع اموره .

« إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَيِّجْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ »

يعني عند تسليم الماضي ما عنده الى التالي وعند قبول التالي ذلك يتولون من صار الامر اليه ويدعون له وينزهون الباري عن صفة خلقه .

(وَالطَّيْرُ مُحْشُورَةٌ)

وقد ذكرنا تأويل الجبال والطير .

(كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ)

راجع الى امره .

(وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) يقول ايدينا امامته (وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ)

يعني العلم الحقيقي (وَفَصَّلَ الْخُطَابِ) يعني الاحكام التي يفصل بها بين المتحاكمين اليه وذلك علم الباطن وعلم الظاهر .
وقوله تعالى :

(وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضِرِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ)

(إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ
بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ)

اي بحكم الحقيقة في الباطن (وَلَا تَشْطِطْ) اي لا تخير .

(وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ)

اي اهدنا بحكمك الى عدل الامام .

(إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ

فَقَالَ اكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ)

اي قوي علي في الكلام .

(قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُوءِ آلِ نَفَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ

الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ)

فلما قالوا ذلك له واجابها بما اجابها به وهما بين يديه نظر اليهما

فلم يرى احداً فعلم ان ذلك محنة من الله وذلك قوله :

(وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَتَاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ)

يقول تيقن لما رآها غابا عنه انها ملكان تخيلا له في صورة ادميين

فعلم ما عرضا له به فاستغفر الله منه وزعمت العامة في تفسيرها ان ذلك

انما كان داود فيما زعموا تمثل له ابليس في صورة طائر حسن لم ير مثله

قط فوقع بين يديه فهم لياخذه فتحامل قليلا ثم وقع غير بعيد فقام

اليه ثانية فتحامل الى السطح فصعد نحوه فأشرف على دار اوريا بن حنان

وكان معه بعض خاصته ورجاله فإذا امرأته تتطهر فلما رآته حركت

شعرها ^(١) وكان غزيراً فاستترت به وفتن بها داود فبعث اوريا بن حنان

زوجها في بعث وجعله امام التابوت ولم يكن يقوم في مثل ذلك المقام

تعريضاً للقتل ليتزوج امرأته فقتل ثم تزوجها داود وانه كان عنده

غيرها تسعة وتسعون امرأة ولم يكن عند اوريا غيرها قالوا فذلك ما

ضربه الملكان مثلاً له بما فعل .

وقد نزه الله اوليائه وطهرهم من هذا ومثله من الكبائر الموبقة وانما

(١) في نسخة (هـ) وردت (شعورها)

سمع القوم مثلاً في ذلك فحملوه على ظاهره ^(١) ، وحقيقة ذلك في الباطن هو أن داود كان له تسع وتسعون مأذوناً كما ذكرنا يدعون له ويستمعون اليه أقامهم بعدد أسماء الله الحسنى التي هي تسع وتسعون اسماً وكان اوريا بن حنان من بعض دعااته وكان له مأذوناً واحداً يربي له مستجيبين دعوته ، فمات أحد المأذونين الذين أقامهم داود فأراد أن يقيمه مقامه لئلا ينكسر من العود الذي اختاره وارتضاه شيء فسأل عن يصلح لذلك فذكر له بعض من يشق بهم ويرتضي عقيدتهم وله ضرب الطائر مثلاً الذي ذكرته العامة انه سقط بين يدي داود وان ابليس تصور في صورته وليس كما قالوا بل هو مثلاً سمعوه ولم يعرفوا حقيقته ولذلك قيل انه كان من احسن طائر رآه داود وقولهم انه أراد أخذه اي أراد ان يقيمه مقام المأذون الميت ويضمه اليه فدل على مأذون أورويا بن حنان كما ذكر ، وان الطائر تنقل بين يدي داود ليدله على امرأة اوريا وما ذكروه من صعود السطح فذلك استشرافه في الاختيار والدلالة بالعلم العلوي الحقيقي ، استشرافه لا من طريق الهدى والرأي فميز به بحسن بيان الرجل الذي دلّ عليه وعقيدته وطويته وقيامه بما أراد داود وان يسنده اليه ، والذي ذكروه من نظر داود الى امرأة اوريا بن حنان وتأمله فيها وهي عريانة تغتسل وانها اعجبته وفتن بها وانها لما رآته يتأمل فيها وهي عريانة استترت في شعرها ^(٢) فقد عصم الله انبياءه وتزههم عن مثل ذلك المقام الذي لو قام به وفعله احد العوام لكان نقصاً عليه ووصمة في دينه .

وانما ذلك انه نظر في امر الرجل وتصفح قراءته وباطن اعماله فأعجبه

(١) في نسخة (هـ) وردت (ظهريه)

(٢) في نسخة (س) وردت (شعورها)

فَقَالَ اكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (

اي قوي علي في الكلام .

(قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُوءِ آلِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ

الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ)

فلما قالا ذلك له واجابها بما اجابها به وهما بين يديه نظر اليهما

فلم يرى احداً فعلم ان ذلك محنة من الله وذلك قوله :

(وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَانُهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ)

يقول تيقن لما رآهما غابا عنه انها ملكان تخيلا له في صورة ادميين

فعلم ما عرضا له به فاستغفر الله منه وزعت العامة في تفسيرها ان ذلك

انما كان داود فيما زعموا تمثل له ابليس في صورة طائر حسن لم ير مثله

قط فوقع بين يديه فهمّ لياخذه فتحامل قليلا ثم وقع غير بعيد فقام

اليه ثانية فتحامل الى السطح فصعد نحوه فأشرف على دار اوريا بن حنان

وكان معه بعض خاصته ورجاله فإذا امرأته تتطهر فلما رآته حركت

شعرها ^(١) وكان غزيراً فاستترت به وفتن بها داود فبعث اوريا بن حنان

زوجها في بعث وجعله امام التابوت ولم يكن يقوم في مثل ذلك المقام

تعريضاً للقتل ليتزوج امرأته فقتل ثم تزوجها داود وانه كان عنده

غيرها تسعة وتسعون امرأة ولم يكن عند اوريا غيرها قالوا فذلك ما

ضربه الملكان مثلاً له بما فعل .

وقد نزه الله اوليائه وطهرهم من هذا ومثله من الكبائر الموبقة وانما

(١) في نسخة (هـ) وردت (شعورها)

سمع القوم مثلاً في ذلك فحملوه على ظاهره ^(١) ، وحقيقة ذلك في الباطن هو أن داود كان له تسع وتسعون مأذوناً كما ذكرنا يدعون له ويستمعون اليه أقامهم بعدد اسماء الله الحسنى التي هي تسع وتسعون اسماً وكان اوريا بن حنان من بعض دعائه وكان له مأذوناً واحداً يربي له مستجيبين دعوته ، فمات أحد المأذونين الذين أقامهم داود فأراد أن يقيمه مقامه لئلا ينكسر من العود الذي اختاره وارتضاه شيء فسأل عن يصلح لذلك فذكر له بعض من يشق بهم ويرتضي عقيدتهم وله ضرب الطائر مثلاً الذي ذكرته العامة انه سقط بين يدي داود وان ابليس تصور في صورته وليس كما قالوا بل هو مثلما سمعوه ولم يعرفوا حقيقته ولذلك قيل انه كان من احسن طائر رآه داود وقولهم انه أراد أخذه اي أراد ان يقيمه مقام المأذون الميت ويضمه اليه فدل على مأذون أورويا بن حنان كما ذكر ، وان الطائر تنقل بين يدي داود ليدله على امرأة اوريا وما ذكروه من صعود السطح فذلك استشرافه في الاختيار والدلالة بالعلم العلوي الحقيقي ، استشرافه لا من طريق الهدى والرأي فيز به بحسن بيان الرجل الذي دل عليه وعقيدته وطويته وقيامه بما أراد داود وان يسنده اليه ، والذي ذكروه من نظر داود الى امرأة اوريا بن حنان وتأمله فيها وهي عريانة تغتسل وانها اعجبته وفتن بها وانها لما رآته يتأمل فيها وهي عريانة استترت في شعرها ^(٢) فقد عصم الله انبياءه ونزههم عن مثل ذلك المقام الذي لو قام به وفعله احد العوام لكان نقصاً عليه ووصمة في دينه .

وانما ذلك انه نظر في امر الرجل وتصفح قراءته وباطن اعماله فأعجبه

(١) في نسخة (هـ) وردت (ظهره)

(٢) في نسخة (س) وردت (شعورها)

ما رأى من ذلك وإن الرجل لما علم ذلك منه استتر بالظاهر وهو مثل الشعر الذي قالوا ان امرأة اوريا استترت به لما نظر داؤد اليها وهي عريانة ، وكذلك لما رأى داؤد في باطن الرجل وكشف عنه استتر له بالظاهر تواضعاً وتصغيراً بنفسه ان يرى داؤد انه رآه بما هو عليه من حسن العقيدة واستحلى داؤد من اوريا استنباط هذا الرجل وما ولي من امره الى ان ارقاه ^(١) الى هذه المنزلة وما تولى منه من العناية والزينة وما علمه من العلم فأرقى اوريا الى حد اللواحق لما رأى من حسن قيامه وتأديبه وقربه اليه واقامه بين يديه وذلك قولهم جعله امام التابوت وقد سمعوا ظاهر ذلك ولم يعرفوا باطنه والتابوت هو ظاهر جسم الامام في الباطن ومنه قوله عز وجل :

« قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ مِنْ سَكِينَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ »

فالتابوت ما ذكرناه والسكينة الامامة وبقية آل موسى وآل هرون فأبقوه من العلم والحكمة لمن يقوم بها واستودعوها لمن خلفوه وورثوه امام عن امام مما حملته الملائكة عن الله الى الرسول وصار اليهم عنه فرأى داؤد انه قد جازى اوريا عن حسن تقويمه واحسن اليه وارقى مأذونه من تلقاء نفسه ورفعته فوق رتبته ولم يذكر ذلك لاوريا ولا اخبره بما ايد به ولا فاوضه فيه ورأى انه اولى بأمره وانه يجوز له ما فعله فيهم وان يقلب امرهم كيف شاء بلا مطالعة احد منهم ووقع في قلب

(١) في نسخة (هـ) وردت (ارقاله)

اوريا من ذلك شيء اذ لم يذكره له داؤد ولا اجراه على يديه وسكت على ذلك ولم يظهر شيئاً منه وكان حقه عند الله ان لا يضيع سعيه وقيامه في تربية الرجل الذي رباه وأحسن تقويمه واستخراجه وان لا يقطع من منه حقه وان الواجب ان يجري ذلك بأمره وعلى يديه فحقق الله امله وظنه واخذ على داؤد فعله ونبهه على ما اغفله من حق اوريا بما اراه من امر الملكين ^(١) الذين صورهما له في صورة خصمين فعلم ما كان خفي عنه واستغفر الله منه كما ذكر .

« وَخَرُّ رَاكِعًا وَأَنَابَ »

اي تواضع لأوريا ورد اليه امر صاحبه وأوجب له من ذلك ما اوجب فغفر الله له كما قال عز وجل .

« فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ، يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ »

فتأكد عنده امر ما حكم فيه وانه اتبع هوى نفسه ولم يعرف فيه اذا كان هذا الحق حقه ، وبمثل هذا يعاتب الله عز وجل انبياءه ويؤدبهم فيما يخطئون فيه من حيث لا يقعدون الخطاب بادبه ، فاما ان يكون منهم ما نسبته العامة اليهم من الفواحش والكبائر فقد برأهم الله سبحانه من ذلك ونزههم عنه وقوله تعالى .

« فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ »

(١) في نسخة (هـ) وردت (الملكين)

يقع على كل من تحاكم وتحكم اليه في امر جميع الناس والخطاب والعتاب في ذلك كان في امر المأتوسين بالحكمة وهم قوام دعوته من لواحقه ونقبائه ودعاته ومأذونه يقول : وفي كل واحد منهم حقه وافض به اليه ولا تتبسع هواك فيهم ولكن اتبع ما امرت به وحولك ولن كان قبلك ولمن يأتي بعدك من امثالك فان حكم الله واحد وسنته واحدة في الاولين والآخرين ولا تغيير ولا تبديل كما قال عز وجل .

« وَأَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا »

واما قوله :

« فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ »

اي عن صاحب الزمان وكان هو صاحب الزمان في وقته ولكن اريد به صاحب الزمان من بعده فان اتبع هواه في قومه وامر دعوته ولم يحكم بينهم بما توجبه لهم حقوقهم وبقدر اعمالهم واستحقاقهم فقد ضل عن معرفة المستحق منهم الذي يستوجب مقامه من بعده ومن ضل عن معرفة امام الزمان فهو من تواعده ^(١) الله بعذابه وذلك كان من داود قبل ان يقيم سليمان مقام حجته لانه لو كان ذلك لكان النظر في امور القائمين بالدعوة وامر الباطن للحجة ولكنه هو كان ينظر في ذلك اذ لم يكن نصب وزيراً له ثم وهب الله عز وجل سليمان له فأقامه حجة وصار امر الدعوة والدعاة اليه وذلك قوله تعالى :

« وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ »

(١) وردت في نسخة (هـ) (توعدة) .

قصة سليمان :

ولما اراد الله سبحانه نقلة داود عليه السلام وفارق الدنيا اقام سليمان عليه السلام مقامه وصارت الامامة من بعده له ودار ميراثه من الامامة والملك والحكم وذلك قول الله عز وجل .

« وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ »

وقوله :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ، وَأَوْفَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ »
وقوله هنا .

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ »

يخاطب اهل دعوته المأنوسين بحكمته يخبرهم بعظيم نعم الله .
وقوله :

« عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ »

الطير على ضربين مثلهم من العلويين الملائكة التي تنزل بأمر الله الى انبيائه وامثالهم من السفليين الدعاة القائمون بالدعوة الى الائمة المبلغون عنهم ما ارادوا بمنطق العلم والحكمة وهو منطق الطير وما يجري من ذلك على السنة الملائكة عن الله سبحانه الى رسله وينقله عن رسله خلفائهم ائمة دينه وينقل عن السنة قوم دعوتهم الى كافة المستجيبين لهم

فذلك هو منطق الطير الذي ذكره سليمان انه علمه لا كما تزعم العامة انه كان يكلم الطير والطير تكلمه ويقصدون بذلك الطير الظاهر وانما اختصه الله سبحانه بالمنطق والكلام البشري ، واما الحيوانات فانما لها اصوات تعبر عن جل من احوالها كتداعي الطير عند السفاد وما يكون اليها خلاف ذلك عند قتال بعضها بعض وسائر الحيوان في مثل ذلك وخلافه وحضنها ^(١) الى اولادها واشباه ذلك مما هو معروف عنها عند كل حالة .

فاما المنطق بالبيان وباللسان عن المرادات والحديث عن الاخبار وغير ذلك من فنون المرادات فانما اختص الله به البشر وفضل فيه بعضهم على بعض بالبيان وقوله :

« أَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ »

ولم يقل واوتينا كل شيء لان ذلك انفرد به باري البرايا جل ذكره وأتى عباده منه بقدر الحاجة اليه لما كلفهم اياه ومثل ذلك قوله تعالى :

« وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ »

وقوله :

« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ

ذِكْرًا ، إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا »

ومثل ذلك كثير في القرآن .

وقوله :

« وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ

يُوزَعُونَ »

(١) وردت في نسخة (هـ) (وحضها)

اي جمع له القائلون بأمر دعوته الذين يذبون ^(١) عنها ويحمونها وهم من الجن وهم ههنا في الباطن حملة علمه الذين اجنوه اي ستروه وهم لواحقه والانس هم ههنا المأنوسين بحكمته الذين هم نقباءه ودعاته يوزعون اي يبعث بعضهم بعضاً ويزدحمون ويتنافسون في الاعمال الصالحة يزدحم المقصر منهم من قومه بالصالح في عمله ليرتقي الى مثل حظه بلا تحاسد فيما بينهم على ذلك بل يتنافسون في معاني الأمور ورفيع المنازل ، وقوله تعالى :

« حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ »

والنمل ههنا امثال المأذونين الذين يأذن لهم الدعاء في كسر أهل الظاهر لهم ودلالتهم على من كسروه منهم وفي تربية من دعوه وتعليمه وقد ذكرنا قبل هذا ان امثالهم امثال النعاج التي تغذي وتربي صغار الغنم التي امثالها المؤمنون فيسمعوه ما ينبغي لهم من حدم « قَالَتْ نَمْلَةٌ » يعني أحد المأذونين « يَا أَيُّهَا النَّمْلُ » يقول : يا ايها المأذونين « ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ » اي ارجعوا الى من تسكنون اليه من دعائكم الذين تأخذون عنهم وخذوا عنهم بمقدار حدودكم وانصرفوا .

« لَا يُحِطُّمَنَّكُمْ سُلَيَانُ وَجُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ »

يقول لقد سمعتم ما ينبغي ان تسمعوه في حدم فانصرفوا واعتمدوا على دعائكم من قبل ان يجري من كلام سليمان ولواحقه ونقباءه ما لا تحملوه فيحطم ما انتم عليه ولا يشعر سليمان واصحابه بما يحل لكم اي لا تسعوا ان تسمعوا الكلام اللطيف الذي لا تحملونه ، وكان الذي قال هذا من المأذونين وأعلم من كان فيهم وانفذهم في العلم واعرفهم بالواجب .

(١) في نسخة (هـ) وردت (يذبيون)

فخاف أن يستمر الكلام من اللواحق والنقباء ولا يشعرون بهم فيأتي منهم ما لا يخطر على بالهم ولم يبلغوا حده .

« فَتَتَبَسَّمُ سُلَيْمَانُ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا »

أي أعجبه ما قال الرجل واستحسنه ووقف بذلك على فطنته ويقظته .

« قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ »

وكان ذلك لما رأى من الرجل ما رآه من الفطنة وحسن التمييز ^(١) وانه في حد سفلي وذكر قدر ما اعطاه الله عز وجل ووهبه من فضله واعلاه به حمده وسأله ان يوزعه شكر نعمته التي انعم بها عليه وعلى والديه يعني امام زمانه حين دعاه ودعى لحجته عاد ودعى نفسه وان كان قد انقضاها ، ولم يعن ان يوزعها شكر النعمة وانما اراد ان يوزعه هو بما انعم الله به عليه وعليها بما صار اليه عنها وقوله .

« وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ »

يعني من مضى من قبله من الائمة على طاعة الله ورضي عنهم لما اصلحوا من انفسهم فسأل ذلك لنفسه ان يعطاه ويختم به فيكون قد دخل في جلتهم .

وقوله عز وجل .

(١) وردت في نسخة (هـ) (الامتياز)

« وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ قَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ
الْغَائِبِينَ »

فالطير مهنا في التأويل امثال المتصلين بالرسول من الحدود العلوية
وامثال الدعاة من الحدود السفلية وذلك قول الله عز وجل .

« الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ
رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرَبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »
وقال في ذكر الدعاة .

« فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ إِلَىكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ
جَبَلٍ مِنْهُنَّ جِزَاءً ثُمَّ ادْعُوهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا »
وقد ذكرنا تأويل ذلك في قصة ابراهيم ، فجاء في قوله :
« وَتَقَعَّدَ الطَّيْرُ »

تأويلان احدهما انه اراد الحد العلوي المتصل به والثاني انه اراد
احد حدوده السفلية واسم الهدود مشتق من الهداية اي انه هدى
مهدي غيره وقد يكون ارادهما معاً فحكى الله عز وجل عنهم ذلك
للفظ واحد وقد يكون اراد احدهما دون الآخر تفقده اذ غاب عنه
وعن الاتصال به وقوله :

« لَا عَذَابَ لَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا ذَنْبَ لَهُ »

فان كان اراد حده العلوي المتصل به فيكون اراد بعذابه

الامساك ^(١) عن سؤاله اذ انه قدر في نفسه انه تأخره عنه كان من قبله
وذبحه وقطعه ليتصل به غيره ومن ذلك كان استبطاء رسول الله (ﷺ)
جبريل اذ قد ابطأ عليه وظن ان ذلك من قبله فأنزل الله عليه .

« وَمَا تَنْزِيلُ لَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ »

وان اراد الحد السفلي المتصل به فعذابه اياه منعه من الاطلاق
والتأييد وذبحه ان يحدد العهد عليه ويستأنف به او ان الأمر كمن يفعل
ذلك من ذل ثم تاب وقوله :

« أَوْ لِيَأْتِيَنِي سُلْطَانٌ مُّبينٌ »

اي بحجة بالغة عن سبب تخلفه وقد جاء التأويلان معاً وقول
المدهد له .

« أَحَاطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ »

فلاحاطة بما لم يحط به هو علم ما يتأدى اليه ولم يبلغه وقد يكون
ذلك للأعلى والاسفل ان شاهد ولم يشاهده من فوقه ومن هو دونه
ويتأدى اليه من الخبر ما لم يتأدى اليه ولم يبلغه فيأتيه به ويأتيه كذلك
حده العلوي بعلم غاب عنه .

قال :

« إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ »

يعني لا حق من لواحقه او لا حق من كان قبله كان فيهم .

« وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ »

يعني من العلم فدعاهم الى نفسه .

(١) وردت بنسخة (س) (الاستمساك)

« وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ »

اي دعوة كبيرة .

« وَجَدُّهَا وَقَوْمُهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ »

يعني انهم يعتقدون ان الامام هو الباري تعالى الله عن ذلك ونزه اوليائه عما يقول الظالمون ، ومثل هذا قد اعتقده وقال جماعة من الأمم في ائمتهم لما غالوا فيهم وغيروا وبدلوا ما امروا به وزين^(١) لهم الشيطان اعمالهم اي من بعد عن وليه سمي شيطانا .

« فَصَدُّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ »

والسبيل ولي الزمان فصدم عنه اذ دعاهم لنفسه والى ما احذثه وابتدعه واقام نفسه لهم مقام الامام واقام لهم الامام مقام الباري تعالى الله عن ذلك ونزه اوليائه عن ان يقولوه او يدعوه .
وقوله :

« أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ مِنْ فِي السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ »

يعني للباري الذي من قبله تكون الفوائد للائمة والحجج والنقباء والاسس قبلهم المتصلة به عنهم .

« وَيَمْلَأُ مَا تُخْفُونَ »

يعني بالباطن .

« وَمَا تُعْلِنُونَ »

(١) وردت في نسخة (هـ) (زاین)

يعني الظاهر ويكون ما تخفون ما يبيده الناطق ومن يلقي ذلك بالتعليم الى من هو دونه والله عز وجل بعد ذلك كله .

« اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ »

يعني ان الباري عز وجل هو صاحب الدعوة العظيمة التي انتشرت من اعلى الحدود العلوية حتى اتصلت بادنى الحدود السفلية وهو ربها فهلا تدبروا هذا وعلموا ان الامام فقير محتاج الى من يتصل به من الحدود العلوية التي هي الوسائط فيما بينه وبين الباري جل ذكره فلا يساومه ولا ينتحلون اسمه .

قال :

« سَتَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ »

هذا خطاب لا يقع على الحدود العلوية من المتصل به الا على سبيل المجاز على ان يقول نستخير امرهم فان اصرروا على ما قلت فقد صدق قولك فيهم وظنك بهم وان كانوا على خلاف ذلك ورجعوا الى الحق فقد كذب الظن بهم ، ويكون خطاباً للحد السفلي من هو فوقه على سبيل الظاهر لهذا القول في اختيار ما جاء به ان استرابه ويجري مجرى المجاز على ما قدمنا ذكره ان كان في حال الثقة عنده فأردنا ان نوضح ذلك على الوجهين الذين قدمنا القول فيهما ثم قال :

« إِذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ » .

فتأويل كتاب الله رسوله في الباطن ومن أقامه من الأئمة مقامه من بعده فعلى ذلك يكون كتاب الرسول والامام من يقمونه ، للتأدية والبلاغ

عنها فذلك في التأويل انه أرسل اليهم داعياً يدعوهم اليه ويعرفهم محله
من ربه وانه صاحب الزمان الذي افضى اليه أمره :

« قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ » .

يعني ذلك اللاحق الذي دعاهم لنفسه لما آتاه الآتي عن سليمان بما آتاه
به من التأييد المتصل به عن الله عرفه فضله فجمع اليه أهل دعوته
الخاصين ^(١) به الذين استجابوا لما دعاهم اليه واخبرهم بذلك وانه آتاه
رسول كريم اي مكرم بالعلم والحكمة من قبل سليمان وذلك قوله .

« إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

اي وما يدل عليه من الحدود .

« أَلَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ » .

يقول لا تستكبروا فاني ولي أمركم فسلموا ^(٢) لأمري واستشار القوم
في ذلك وذلك قوله :

« قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا

حَتَّى تَشْهَدُونِ ، قَالُوا وَنَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ » .

اي عندنا علم وحكمة وحجج قاطعة لمن حاججناه .

« وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ » .

« قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا » .

يقول ان الائمة اذا استولوا على اهل دعوة واستجاب اهل تلك الدعوة

افسدوا ما كان في ايديهم مما هم عليه ونقلوهم الى ما يذهبون اليه .

(١) في نسخة (هـ) وردت (الخاطين) .

(٢) في نسخة (س) وردت (فسلموا) .

« وَجَمَعُوا أَعْزَةَ أَهْلِهَا أَذْلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ » .

اي يردون من كانت له الرئاسة بالعلم والمتقدمة في مذهبه متعلماً في أول الامر مستفيداً كسائر المستفيدين .

« وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرَةٌ بِمَا يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ » .

اي ارتأي ان القي اليهم من العلم الذي عندي فوائده فان قبلوها فهم محتاجون الى ما عندي وان لم يقبلوها علمتم انكم ترجعون مستفيدين منهم اذلة بين ايديهم .

« فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَمَدُّونَنِي بِمَالٍ » .

يقول اتفيدونني علماً وقد اتاني الله خيراً مما أتاكم اي الذي امدني الله به أفضل مما أمد به من قبلكم مما تعلقون به^(١) وتدخلون عليه من الفساد « إِرْجِعْ إِلَيْهِمْ » . يقول لرسوله :

(فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِخُنُودٍ لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذْلَةً وَهُمْ صَاغِرُونَ)

يقول لأبعثن لهم من الدعاة من لا تقوم لهم معه حجة حتى اخرجهم من دعوتهم التي افسدوها ففعل ذلك بهم ثم قال :

(أَأَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوَنِي مُسْلِمِينَ)

يقول ذلك لحججه ولواحقه من منكم يعلم علم دعوتهم وما احلوها به وما احتجوا لها من حججهم فيكون علم ذلك عندي .

(قَبْلَ أَنْ يَأْتُوَنِي مُسْلِمِينَ)

(١) في نسخة (س) وردت (تعلقون) .

لاعلم أمرهم وأخاطبهم فيه من حيث أعلم وقد يكون من أسباب صاحب الزمان من يتبحر في العلوم وعلم مذاهب الناس وأقاويلهم وانتحال الفرق واحتجاجهم فيكون ذلك العلم عنده مما يمد الله عز وجل ذلك الولي على لسانه .

(قَالَ عَفَرَيْتُ مِنْ الْجَنِّ)

يعني جبار من الدعاة .

(أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ أَقْوِيٌّ)
(أَمِينٌ) .

يقول اني قوي في علم ذلك امين عليه ان احرف او ابدل منه .

(أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ)

اي قبل ان تشغل نفسك بطلب ذلك وتدع مقامك الذي اقامك الله عز وجل له من القيام بأمره والنظر في العلم الحقيقي الذي اصطفاك له :

(قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ)

يعني حجته الذي افضى اليه بعلمه .

(أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)

أي قبل ان يرجع اليك الحد الذي يأتيك بالتأييد عن ربك ثم ذكر له جملة ذلك في مقامه .

(فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ) .

اي في الذي ارتضاه واختصه وأقامه لمقامه من بعده وعلم ما عنده من فنون العلم .

(قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي غَنِيَّ كَرِيمٌ) .

يقول من شكر نعمة الله عنده فأنما ذلك له ومن كفر اي ستر النعمة ولم يظهرها بالشكر فان الله غني عن شكره كريم بما يوليه عباده وان لم يحمده .

(قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونِ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) .

وذلك بعد ان ارسل دعائه برد ما بعث به ذلك الذي ادعى لنفسه ذلك المقام وكسر عليه وعلم انه سياثيه مستسلماً لامره نكروا له دعوته التي ادعى بها يقول ذلك للواحقه واسبابه اي مثلوها له اذا أتاكم بأمثالها من الباطل .

(نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونِ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) .

اي ننظر هل يعرف الحق في ذلك فيقربه ام يتأدى على الباطل الذي هو عليه ويلج فيه .

(فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ) .

هذا مختصر من القول وجملته انه عرفه بما كان يدعو اليه وبما امله من دعوته واتى بذلك من غير ان يسأله عنه فعلم ان عند سليمان وعند اصحابه علم ما كان عليه بما يدعو اليه وما احله ثم مثل له ذلك بالباطن بما يفسر ما في يديه وشبهه له به وقيل له اليس هذا ما دعوت اليه من الغرور والباطل مثل الذي مثل به من السراب ^(١) والزبد ^(٢)

(١) في نسخة (هـ) وردت (شراب) .

(٢) في نسخة (هـ) وردت (والزبد) .

واشبهاء ، ذلك كأنه هو الذي احله واسسه .

(وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ)

يقول ذلك حكاية عن اصحاب سليمان لما قهروا ذلك اللاحق المبدل بحجتهم خبروه انهم اتوا العلم من قبله وانه لا علم عنده وكانوا مسلمين اي مسلمين لولي امرهم .

(وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ

قَوْمٍ كَافِرِينَ)

اي صده عن الهدى من اتبعه وتعبده له من أهل الباطل .

(إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ)

اي ستروا الحق ، والكفر ستر الشيء

(قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ)

والصرح في اللغة القصر ومنه قول الله عز وجل .

(قَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَآمَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا)

وجاء في تفسير العامة ان سبأ كان ابوها من الجن وان الجن خافت

ان يراها سليمان واعجبته تزوجها فاذا تزوجها اطلقتهم على سرهم قالوا

له ان ولد الجن من الانس تكون رجله كحافر الحمار يعيبوها بذلك

عنده فأراد ان يعلم ذلك من حيث لا ترى انها تختبر فجلس بها على سرير

في قصر وجعل صحنه بركة ماء وغطاها بزجاج فلما دخلت حسبته ماء

فكشفت عن ساقها فرأى قدميها .

والمعنى في تأويل الباطن قوله .

(قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ)

أي في علم الناطق « قال رسول الله (ﷺ) « انا مدينة العلم وعلي بابها »
 فلما رآته أي اطلعت عليه وقد فاتحه اللاحق ببعض اسباب سليمان بعلمه
 الحقيقي وابتداه تأويل ما يجب أن يبتدىء فيه من الباطن الذي عليه
 ستر رقيق من الظاهر مما لا يشك فيه انه هو الباطن محضاً فكشف عن
 باطنه والماء في الباطن مثل العلم ومعنى قولهم انه غطاء بزجاج هو ما
 وضعه من الستر الرقيق من الظاهر فتوهم ذلك وظن انه هو الباطن
 وذلك قوله :

(حَسِبْتُهُ جِلَّةً وَكَشَفْتُ عَنْ سَاقِيهَا)

يعني اصلها الباطنيين ومن ذلك قول الله عز وجل .

(يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ)

وقال :

(إِنَّهُ صَرَحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ)

قيل له انه ليس بالباطن المحض ^(١) ولكنه مستور من الظاهر الرقيق
 فلما علم ذلك تحير من عظيم ما سمع وهاله ذلك اذ قيل له انه ادنى حد
 من حدود العلم فأقر بظلمه واستسلم لامر سليمان لما وضع له البرهان .
 وذلك قوله تعالى :

(قَالَتْ رَبِّي إِنَّي ظَلَمْتُ نَفْسِي)

يعني لما تقدم له من الانكار والتغيير .

(وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

وروي في الحديث ان سليمان تزوج بلقيس لما حسن اسلامها وهو في

(١) في نسخة (هـ) وردت المص .

الباطن ان ذلك اللاحق لما سلّم لأمر سليمان ودخل في دعوته واستجاب
لأمره وحسنت حالته اقامه في لواحقه وهم ازواجه في الباطن وقول الله
سبحانه وتعالى :

(وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ)

يعني عز وجل انه اعطاء من فوائد الحكمة والعلم ما يكون منه الرحمة
للمؤمنين وذلك ما يربسهم به ويغذيهم ويجمع به المنافع في ذلك اليهم كما
يفعل الريح في ذلك من جمع السحاب وسوقه الى ان تطرده ماء يكون
فيه الحجج القاطعة الدافعة لأهل الباطل كما يكون في الريح العذاب
والسخط وقوله :

(غَدُوّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ)

والغدو استقبال النهار والرواح استقبال الليل واكمل الله عز وجل
لواحقه في الظاهر والباطن .
وقوله :

(وَأَرْسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ)

اي اجرينا له علم الظاهر الكشيف الذي لا يعرف الناس باطنه فجعلناه
سائلا مائعا جاريا كالقطر يرى ما فيه لصفائه وخروجه من حد الجماد
الى السيلان ففتح له الظاهر عن باطنه وقوله تعالى :

(وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ
عَن أَمْرِنَا نَذِقُهُ مِن عَذَابِ السَّعِيرِ)

فالجن في التأويل الباطني مشتق اسمه من الاجتنان وهو الستر فالجن
هم اهل الباطن الذي يسترونه فعنى ههنا منهم حججه ولواحقه .

(يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ)

يعني يقيمون له الدعاة الذين يأمرهم الخلائق المسترشدون فهم لهم قبة
(وَتَمَّاثِيلَ) يعني ما يضربونه من الامثال بكلامهم للناس في دعوتهم
اياهم ويشرحون من امثال القرآن لهم

(وَجَفَّانٍ كَالْجَوَابِ) اي قصاع كالحياض في السعة وهم المأذونين
الذين يقيمونهم للكسر والبيان والمفاتيح مثلوا بالحياض لان المسترشدين
ينالون منهم الفوائد كما يأكل الناس صحون الطعام .

(وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) اي ثابتات يعني الاجنحة الذين قد ثبتوا من
جهة لاحقهم واستقروا على جهة ولي امرهم كاستقرار القدور الراسيات على
الارض فأقام الله عز وجل من حججه ولواحقه ودعائه واسبابه من يقيم
دعوته ويحمل عنه امر المستجيبين ويقوم لهم بالمفاتيح وتأدية العلم والحكمة
ويستنبط لهم من ذلك ما يغذيهم ويعني بذلك ويقوم به دونه ومن لم
يفعل ذلك منهم أذاقه

(عَذَابَ السَّعِيرِ) اي قطع عنه المادة والتوفيق وابتلاه بالجهل
ومن فضل الله على أنبيائه وائمة دينه ان يوفق لهم اعواناً^(١) على
الخير يقيمون لهم اسباب دعوتهم ويحملون عنهم ثقل أعبائها ويتم لهم بهم
حدودهم واسبابهم ، ومنهم من لا يكمل له ذلك ولا يتم فيعانيه بنفسه
لما يريد الله عز وجل من كمال الاجر والثواب لله والله واسع الفضل
والسعادة والنعمة وذلك قول الله عز وجل ومن الشياطين يغوصون له
ويعجلون عملاً دون ذلك وقوله :

(١) في نسخة (هـ) وردت (اعياناً)

(وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ،
هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .

يعني انه سخر له كل من عند وشطن وبعد عن غيره من الائمة من يغوصون له من لواحقه ودعاته على لطيف العلوم ويستخرجون له الدقائق منها ويشرحون للناس مفاتيحها ويفتق لهم سائلها .

وذلك كله مما يلقيه عليهم من المجمل من الحكمة يحملون عنه تعب الفكر والجوارح (١) في بيان ذلك وشرحه واصل ذلك من قبله بمادة الله عز وجل المتصلة به ومن ذلك قول علي صلوات الله عليه : علمني رسول الله (ﷺ) من الحكمة والعلم الف باب وفتح لي كل باب منها الف « وقال جابر : اوفدني وصي الاوصياء يعني محمد بن علي بن الحسين صلوات الله عليهم عن ألف مسألة كل مسألة تفتح الف ، فأولياء الله يؤيدون من الحكمة الى اسبابهم جملا على اقدارهم وما يصلح لكل واحد منهم وهم يغزون ويستنبطون من شرحه وبيانه للناس على قدر أقوالهم ومنتهى علمهم وما يخصهم الله به من المادة ليحملوا ذلك عن اوليائه لانه ليس في قوة احد من البشر ان يقوم بالاشياء بلا معين له فيها وانما تفرد بذلك البارئ جل ذكره واعجز عنه جميع خلقه ابانة لقدرته ووحدته وعجزهم وفاقتهم فاذا ثبتت حدود اسباب اولياء الله على لزوم امرهم واعتقادهم وخلصت نياتهم وحجتهم ففي ذلك السلامة والتوفيق من الله عز وجل .

وقاموا بما حملوه ووقفوا للصواب في أقوالهم وافعالهم وجرت على

(١) في نسخة (هـ) وردت (الخوارج)

الواجب والسداد امورهم وامور المتصلين بهم من المستجيبين والمسترشدين
واذا داخلهم الاعجاب بأنفسهم والتكبر عن أولياء الله وادعوا شيئاً من
ذلك لأنفسهم وروا وذكروا ذلك عن حيلة منهم او قوة من ذاتهم سلبوا
التوفيق ووكلوا الى أنفسهم وانقطعت مادة الله عز وجل عنهم فحرفوا
الكلام عن مواضعه وبدلوا فهلكوا وهلك من تمسك بهم واقتدى بأمرهم
وقد سمع ذلك منهم ورأى مخائله فيهم ومن قبل ذلك هلك من هلك من
الامم ومن ذلك قول الله عز وجل :

(وَمَنْ يَرْغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ)
وقوله تعالى :

(وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيَّانٍ وَمَا كَفَرِ
سُلَيَّانٍ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ)
يعني الباطل الذي يشبهونه بالحق فاذا فعلوا ذلك فقد ضلوا وأضلوا
كما قال الله تعالى :

(وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)

اي ضلوا عن ولي الزمان وفارقوه وأضلوا عنه غيرهم بما أوردوه عليهم
من الباطل الذي نسبوه اليه وادعوا لهم انه عنه ولن يضر ذلك أولياء
الله كما لا يضر سليمان ما تتلوا الشياطين عنه وتقوله فيه ولا يضر الله عز وجل
كذب من كذب عليه ولا يضر ذلك المتمسكين بأمر أولياء الله اذا تبراوا
من فعله ، وانما يضر ذلك من تقوله ومن اتبعهم عليه وقد علم ذلك
منهم بما شاهده من فعلهم وفارق فيه أصل ما دعي اليه .

فعهد الله المأخوذ على العباد هو أول ما يسمعه المستجيبون ^(١) ويؤخذ

(١) في نسخة (س) وردت (المستجيبين)

ويؤخذ عليهم لأولياء الله فيه أصول جميع ما يدعون وهو حجة أوليائه
على من يأخذه ويؤخذ عليه فمن فارق منه شيئاً وخالفه فهو هالك
ومن اتبعه ، عصم الله جميع عباده المؤمنين من الهلك ووفقهم لما فيه
النجاة ^(١) والعصمة .

وأما قول الله عز وجل :

(كُلٌّ بِنَاءٍ وَغَوَّاصٍ)

يعني الذين يبنون بيت الحكمة التي يأوي اليها المسترشدون وهم الدعاة
الذين يقيمهم الحجج والمأذونون وقوله :

(وَآخَرِينَ مُقَرَّرِينَ فِي الْأَصْفَادِ)

منهم الذين لم يؤذن لهم في المفاتيح من المحرومين قد قيدوا بالهود
والمواثيق :

(هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)

اي ليس عليك في المنة على من يستحق عندك او الامساك عن من
لا يستحق حساب تحاسب عليه :

(وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزَلْفَى وَحُسْنُ مَآبٍ)

يعني سليمان عليه السلام له منه قرب وحسن مرجع في الآخرة لما
قام به من أمره .

واما قوله تعالى :

(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ

(١) في نسخة (٥) وردت (النجات)

الْأَرْضِ تَأْكُلُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبِ
مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)

ان العامة ذهبت في تفسيرها ان سليمان عليه السلام كان يقف على الجن وهم في سخرته يعملون ويرون انه في الحياة الى ان أكلت السوس عصاه فسقط بعد مدة طويلة فعلموا انه قد مات وهذا من أبين البیان على فساد تأويلهم فكيف يثبت الميت قائماً على عصاه ؟ ام كيف يخفى موت الميت عن رآه ؟ وهب ان الجن خفي عليهم فما يصنع خاصته واصحابه واهله والذين يتولون طعامه وشرابه وفرشه وهم يرون انه لا يأوي الى ذلك ولا يبرح قائماً مكانه ليلاً ونهاراً حتى فئيت عصاه واعضاءه وجسمه احرى بها ان تفنى قبل العصا مع كثير من الدلائل والشواهد على فساد هذا القول تركناها اختصاراً .

وتأويل ذلك في الباطن انه من الامثال التي ضربها الله عز وجل في كتابه الذي يقول فيه .

(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)

فقوله :

(فَلَمَّا قَضَىٰ عَلَيْهِ الْمَوْتَ)

يقول فلما قربت نقلته وقضينا عليه ان يسلم ما كان بيده الى ولي الأمر من بعده فعل ذلك واسره ولم يشعر به احد من لواحقه .

(مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ)

اي ما دلهم على ذلك .

(إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ)

يعني القائم من بعده الذي نصبه .

(تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ)

والمנסاة في اللغة العصاة ومثلها مثل التأييد في وجه من وجوه التأويل الذي يعتمد عليه المنصوب من قبل الله عز وجل اي لما نظروا الى ما ظهر في الذي اقامه من التأييد ودلهم ذلك على مقامه ، وانما قيل عنه دابة الأرض لمن يقوم بالامر بعد نقلة ^(١) صاحب الزمان لشدة كتمانته وستره ولأنه لا يكاد يحس بأمره في حياة القائم الا من اطلعه على ذلك فشبّه بسيرته بدبيب النملة على الأرض التي لا يكاد يرى ولا يحس به احد الا من تأمله وذلك للتقية عليه من نظرائه ومن يرى انه مستحق لمقامه ويظن ان نوال ذلك اذا كان فيهم من يكون في هذه المنزلة فاذا لم يكن ذلك وكنوا كلهم معترفين بالفضل له ظهر امره في حياة القائم ولي الامر وقام بعده به وذلك ما قد عرفه كثير منهم وكان سليمان احد من عرف ذلك منه وقام بالامر في حياة داود ولم يكن له نظير ينزع بنفسه الى مقامه ومن ذلك قول الله عز وجل .

(وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا)

وقد ذكرنا تاويل ذلك فيما تقدم .

فاخبر عز وجل ان حكم سليمان نفذ في حياة داود على حكمه ولم يتسع ذلك ولا استقام للقائم بعده فستره في حياته للتقية عليه ومن

(١) وردت في نسخة (س) (انتقال)

الستر في ذلك قول الله عز وجل في هذه الامة .

(وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ إِنَّ الْأَنَاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُؤْمِنُونَ)

عني بذلك ظهور احد اللواحق للقائم في آخر الزمان يظهر قبل ظهوره يؤدي التأويل عن القائم في خفية واستتار الى ان يظهر القائم وقوله تعالى :

(فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجُنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)

يقول : لما خرَّ سليمان لمن اقامه اي اظهر امره ولو علموا ما غيب عنهم قبل ذلك من امره ما لبثوا يعني تلك المدة .

(فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)

يعني الشك الذي كانوا فيه من امر من نصبه منذ ان رأوا مخائل التأييد فيه وقبل ان يكشف لهم حقيقة امره ومعنى الخبر الخضوع والطاعة ^(١) والتسليم قول الله عز وجل في قصة يوسف عليه السلام .

(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا)

وقد تقدم تأويل ذلك ، وقوله :

(خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا)

عنى المؤمنين انهم خضعوا بالطاعة ^(٢) لولي امرهم ويدل السابق على اللاحق ان كان ماذوناً له بذلك وان كان محرماً عليه فذلك لصالح عمله

(١) وردت في نسخة (هـ) (الطاعت)

(٢) ايضاً وردت في نسخة (هـ) (للطاعة)

واخبر سبحانه فيما قصه من امر سليمان ان من عجز الخلائف وان قرب منهم من قرب من أولياء الله ان يعلموا من امرهم الا ما اطلعهم عليه واعلمهم به فانهم لا يعلمون من الغيب وهو التأويل وحقائق الغيب الا ما ادوه اليهم واعلمهم اولياء الله به .

ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن المتصلين بسليمان من خاصة حججه ولواحقه ودعاته واسبابهم .

(أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)
وقوله تعالى :

(وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ)

يقول أخبرناه بالحنة .

(وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً)

يعني تغلب متغلب من اهل الباطن على دعوته سماه جسداً اي لا روح فيه للحياة الحقيقية كما قال الله عز وجل في حق الكفار .

(أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ) (ثُمَّ أَنَابَ)

يعني سليمان اتاب من ذنب كان فارقه .

(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي)
إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)

فاملك الله عز وجل عدوه ووهب له الملك الذي سأله :

(لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي)

يعني الامامة لا تصير لاحد غيره في حياته وانما قوله من بعدي اي من بعد ان يعطيني اياها ما دمت حياً لا على ان ذلك لا يكون بعد

وفاته اذ لم يكن سليمان يحهل ان الله عز وجل لا يخلي ارضه من امام يقيمه فيسأل الله عز وجل ما لا يفعله ولكنه لما ابتلي بالذي بقي على كرسيه من المتغلبين على امره وسأل الله عز وجل اذ رد ملكه اليه واهلك المتغلب عليه ان لا يبتليه بمثله ، وأما قوله .

(وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ . إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ . فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ . رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ)

زعمت العامة انه عرض عليه الخيل فاشتغل بها عن صلاة العصر حتى غابت الشمس فعقر الخيل لذلك ، وهذا لو فعله احدهم لجهلوه لأجله وما الموجب لعقر الخيل وهي عدة ^(١) في سبيل الله بلا ذنب فعلته وانما الذنب لو كان كما قالوا عليه فيما صنعه من اغفال الصلاة والوجه في ذلك في التأويل انه مثل ضربه الله عز وجل ، فالصافنات في اللغة الخيل وامثال الخيل في الباطن الحجج عرضت عليه ما يجري من دعوتهم المستورة فاستحسن ذلك واستجاده من امرهم .

(فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي)

وذكر ربه ههنا الامام السابق قبله الذي علمه وأفاده اياه وأمره بحبهم ، والخير ههنا الخيل وكذلك تأويله فيما تأوله العامة لقول رسول الله (ﷺ) : الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة ، فهم في تأويل الباطن الحجج كما ذكرنا ، فاخبر عنهم عندما عرضوا عليه ما

(١) في نسخة (هـ) وردت (عدت)

ساروا به في الدعوة فاستحسنه من حبه اياهم .

(حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ)

اي لم يذكر ذلك حتى قاموا عنه وانصرفوا وواراهم عنه حجابيه .

(فَقَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ)

فردوهم اليه ففتح لهم من الحكمة وزادهم من التأييد ومسح به سوقهم وهو باطنهم ، واعناقهم هو ظاهرهم اي مسح ذلك بالحكمة منه وقد تقدم كشف الساق الذي هو كشف الباطن وذلك لان الساق مستور فهي مثل للباطن والعنق ظاهر فهو مثل للظاهر فزادهم علماً وبياناً وتأيداً في الظاهر مما يكسرون به اهل الظاهر ويعملون به ويأمرون به اتباعهم ومن الباطن مارقوا ^(١) في درجته واسبابه وهو حد لم يكونوا بلغوه فبلغهم اياه ولما استحسن من اعماله وما جرى منهم في دعوتهم وامتنالهم في ذلك لما امرهم به بلا تغيير له ولا زيادة ولا نقص فيه فأثابهم ثواب ذلك بعد ان اثنى عليهم ووصفهم في محبته اياهم فانالهم بذلك المنزلة العظمى وذلك فعل اولياء الله لمن احسن الى نفسه بطاعتهم وامتنال امرهم لمن قرب منهم او ذأى عنهم لا يزالون يرفعون من فعل ذلك من درجة الى درجة من فوقها ما استقاموا عليه اذ ان الدرجات عندهم كثيرة لا يزال المؤمنون المخلصون لها يرقون فيها ما دامو على ما يرضون منهم ايام حياتهم وفق الله جميعهم من ذلك الى ما يرضيه وما فيه حظهم وسعادتهم ورضى أولياءه عنهم بحوله وقوته .

(١) في نسخة (س) وردت هذه الكلمة

قصة يونس :

كان يونس عليه السلام في وقعة صاحب الزمان وهو من دور موسى عليه السلام وكان قد أقام حدوده وبث دعائه واستقام له امره ثم فسد عليه أهل زمانه وتعدوا أمره وخرجوا عن كثير من طاعته وما حد لهم وأمرهم به فرام استصلاحهم فلم يقدر على ذلك فضاقت صدره اذ لم يوفق الله له ذلك واذا قد فسد عليه من كان بحضرته ودار هجرته فتركها وخرج عنها هارباً عنهم الى جزيرة كانت له بها دعوة قوية على حالة استقامته وله فيهم لاحق يقوم بأمرهم فلجأ بنفسه اليه وذلك قوله عز وجل

«وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ» .

والفلك في اللغة السفينة وهي في الباطن الدعوة ^(١) وقد تقدم شرح خبرها في قصة نوح عليه السلام ومن ذلك قوله تعالى :

«وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» .

يعني على قومه لما فسدوا عليه وعندوا عن امره وكان ذلك خطأ منه وقد كان الواجب عليه ان يصبر ويشق بالله عز وجل ويعلم انه قادر على اصلاح ما فسد عليه وتقويم ما اعوج له فكأنه يئس وذلك قوله تعالى :

(فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) .

(١) في نسخة (هـ) وردت (الدعاة)

وقد امتحن الله سبحانه كثيراً من أوليائه بمثل ذلك فصبروا حتى أتاها نصر الله وذلك قوله تعالى :

(وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُم نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) .

يقول : لا يبدل الله أوليائه بغيرهم من أعدائه الذين نصبوا لهم وتغلبوا على أمرهم ، فلم يصبر يونس كما صبروا وظن ان عدوه يظهر عليه فهرب من بين يديه ولجأ الى لاحق له يشكو اليه ما نزل به ويستعينه على أمره فوضع نفسه بذلك دونه والله عز وجل قد رفعه عليه وأعلى قدره وأراد الله سبحانه ان يريه ويبين له خطأ ما ارتكبه إذ انه لم يصبر حتى يأتيه نصره فلما صار الى تلك الدعوة وقع فيها شقاق^(١) واختلاف .

وفي الحديث انه لما آوى الى السفينة اضطربت وتمايلت ووقفت لا تجري والريح طيبة فقال الملاح ما هذا الا لذنوب من مذنب فينا وجمع اهل السفينة فلم يعلموا من هو ذلك المذنب فامرهم ان يسامحوا فوقع السهم على يونس وذلك قول الله عز وجل .

(فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ)

فالملاح هو صاحب تلك الدعوة وهو أحد لواحق يونس الذي التجأ اليه لما رأى دعوته قد فسدت واضطرب جميع دعائه واسبابه ويونس معه وجعل يسأل عن اسباب ذلك الفساد الذي وقع في دعوته ومن اين دخل عليها وكيف جرى فيها فتكلموا على ذلك حتى ساقوه على يونس عليه السلام وان ذلك انما كان بسبب تركه الامر وهربه عن هجرته

(١) في نسخة (س) وردت (شتات)

ودعوته ووقوعه تحت من هو دونه وان الشك انما دخل من اجل ذلك على من دخل عليه وقد نظر في اسباب كل واحد منهم فوجده بريئاً من أن يكون غير شيئاً من الدعوة فأروا ورأى يونس ان من اجل اصلاح ذلك ان يخرج عنهم ويستتر في اهل الظاهر الى ان يصلح الله عز وجل امره كما وعد اوليائه وهذا الذي جاء في الحديث انهم رموه في البحر والبحر مثل الظاهر وقد بينا ذلك بتمام شرحه فيما تقدم .

فلما خرج من بينهم تلقاه احد المأذونين من كان في جملة اهل الظاهر ولم يكن له دعوة فأواه ذلك المأذون واكتنفه وصار كلنعم عليه وبذلك صار اسوأ حالاً بما كان فيه ذلك قوله تعالى :

(فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ)

اي لحقه اللوم من اجل ما فعل ومن ذلك ما جاء في الخبر انهم لما اوقفوه على طرف السفينة ورموه منها تلقاه ^(١) الحوت من البحر فالتقمه وجرت السفينة واستقامت فايقن يونس عليه السلام بوقوعه في الخطيئة فندم وأتاب الى الله واعترف بخطيئته فتاب الله عليه واظهر امره في الناحية التي صار اليها فاستجاب له خلق من اهلها وعز فيها واتخذها دار هجرة واستقامت له الامور وذلك قول الله عز وجل .

(فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ

يُبْعَثُونَ)

يقول لولا انه سبح الله اي وحده ونزهه عن دون ذلك الحد وذلك هو كمال التوحيد والتنزيه يعني انه اقبل على ذلك وكان عليه السلام يعطي كل ذي حق حقه ولا ياخذ ما ليس له ومن ذلك قوله تعالى :

(فَتَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي
 كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجِّنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ
 نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ)

وقد قيل في الحديث انه نادى ربه بذلك وهو في ظلمة الليل وظلمة
 البحر وظلمة بطن الحوت فمثل ظلمة الليل والستر والكتمان لانه صار مستوراً
 مكتماً بعد ان كان الله عز وجل اقامه مقام الظهور والتأييد ، وظلمة
 البحر علم الظاهر المجرد من الباطن والتأويل الذي يزعم اهله انه لا علم
 غيره فهم في ظلمة الجهل بذلك وشربه ملح اجاج حتى يصفى فيصعد
 عذبه ويرسب ملحه واجاجه وذلك ان ماء البحر اذا وضع على النار
 تصاعد ما يتصاعد منه عذباً ويبقى الماء المالح في اسفله وكذلك ما داخله
 الغش من الذهب والفضة وهي جماد يتسايل اذا امتحن بذلك زال غشه ،
 وظلمة بطن الحوت استتاره وكونه تحت حكم ذلك المأذون الذي اكتنفه
 اي نادى بذلك التوحيد فأنجاه الله من الغم اي من غم ذلك وكربه وظهر
 امره وايده بنصره وتلافاه برحمته فعاد الى ما كان عليه ومن ذلك
 قوله تعالى :

« وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ

(إِلَى حِينٍ)

فأبدله الله عز وجل بهؤلاء من الذين كفروا وعصوا امره وافسدوا
 دعوته وتواثبوا عليه كمن يجعل كذلك العقبي لمن اخلص له من أوليائه كما
 وعدمه بذلك في كتابه بقوله تعالى :

« وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » ولولا ان تلافاه الله عز وجل بانابته اليه

لبقي مستوراً ذليلاً تحت حكم ذلك المأذون الذي آوى اليه وصار في كنفه على ضعف امر ذلك الذي لم تقم له دعوة انما هو مأذون لبعض الدعاة وأما قوله :

« فَابْذَنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ »

اي ضعيف الحال لما جرى عليه من المحنة وصار الى قوم لا يعلمون شيئاً من علم الباطن وقوله :

« وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ »

واليقطين في اللغة كل شجرة تمتد مع الارض ولا تقوم على ساق مثل القرع ^(١) والبطيخ والحنظل وما اشبه ذلك وكذلك جاء في التفسير عن العامة انه لما ابتلعه الحوت اقام في بطنه ثلاثة ايام ثم امر الله الحوت ان يلقيه فالتقاءه من بطنه بأرض صحراء فخرج عرياناً ولم يجد ما يستظل به من شجر او غيره فأنبت الله عز وجل من سره شجرة قرع ^(٢) فامتدت عليه وسترته ، وفي التأويل الباطن انه وجد رجلاً كان قد اتصل ببعض حبيجه فأخذ عنه قليل من العلم لم يرق به فاتخذة حجة لنفسه وبسط له الدعوة واستتر بها فاستجاب له الذين ذكرهم الله عز وجل كما تقدم القول بذلك .

« فَأَمْنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ »

يعني انهم متعوا بما افادوه منه من العلم والحكمة الى ظهور القائم عليه السلام .

(١) في نسخة (هـ) وردت (الاقرع) .

(٢) في نسخة (هـ) وردت ايضاً (الاقرع)

فصل زكريا :

كان زكريا عليه السلام اماماً في آخر دور موسى عليه السلام وقد علم انه لا يبلغ دور عيسى صلوات الله عليه وكان عمران صاحب الزمان من قبله ولم يتيسر له إقامة امام من دعوته فأقام زكريا الذي هو من غير دعوته وضم اليه رجلاً من دعوته كان قد ظن انه يقوم بالامامة من بعده ولكنه لم يلق به القوة لذلك ضمه الى زكريا وهو الذي كنى الله سبحانه عنه بريم عليها السلام لانه صار حجة بعد ذلك ، وقوله تعالى :

« إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَلسَّمِيعُ الْعَلِيمُ »

يعني ان حجة عمران علم انه يسبق الامام الى النقلة من هذه الدنيا فرجى الله ان يقوم مقامه بعض دعائه ويكون اماماً بعد عمران فلما وضعه موضع الامتحان تبين له انه لا يمكنه ان يقوم بالامامة لان ليس فيه من البيان والاحتمال ما يصلح الا ان يكون حجة وذلك قوله :

« فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ »

اي قد علم ذلك قبل ان يقوله .

« وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ »

(اي ليس من يصلح للامامة كمن يصلح ان يكون حجة)

« وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ

الرَّجِيمِ »

اي قضيت نذري فيه وفوضت امري اليك فصنه من كيد الضد
المسترق .

« فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ »

اي مربى ذلك الرجل بعد عمران وحجته وهو زكريا عليه السلام حسن
اي باقبال العلم والحكمة .

« وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا »

اي ربها تربية حسنة بذلك

« وَكَذَلِمَا زَكَّرِيَا » اي جعلها في خطه وحياطته ونظره .

« كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ

يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ »

يقول : كلما فاتحه وكلمه بشيء من طريق الامامة وجد عنده علما من
ذلك الطف مما يفيد اياه .

« إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ »

يعني الهمة بتأييد الله عز وجل وما جرى لله الا من قبله .

وكان زكريا عليه السلام قد ضعف امره ووهنت دعوته الباطنية

وذلك قوله :

« كَيْفَ مَعْصَ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا » اِذْ نَادَى رَبُّهُ نِدَاءً

خَفِيًّا ، قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ، وَلَمْ

أَكُنْ بِدَعَاكَ رَبِّي شَقِيًّا «

وذلك لما بلغ في الامامة المبلغ الذي رأى ان نقلته قد قربت ولم يلد

« وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِي مِنْ وَرَائِي «

يقول خفت ان ترجع للامامة من بعدي في أهل دعوة من تقدمني .

« وَكَأَنْتَ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا ^(١) فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا «

اي لم ارزق من دعوة حجتي من يصلح للامامة ومريم هي من دعوة غيري وهي التي اخافها .

« فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا «

اي مستجيباً لدعوتي « يَرِثُنِي » يعني ميراث الامامة .

« وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا «

« يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ

قَبْلُ سَمِيًّا «

يعني مستجيباً يصلح للامامة ليس له من يساميه في الفضل ومن ذلك قوله نسقاً عندما رأى من تأييد مريم دعا زكريا ربه بقوله :

« قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ «

« فَذَاتَهُ الْمَلَائِكَةُ « يعني امدته الحدود العلوية بعلم ذلك .

« وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحَارِبِ «

(١) في نسخة (هـ) وردت (عامراً)

اي وهو في حد الامامة .

« إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِخَيِّ مَصَدَّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ »

اي هو كلمة من الله يبين للعباد عنه « وَسَيِّدًا » اي اماماً « وَحَصُورًا » اي لا يتخذ امرأة فيأتيها لأن ذلك قد سبق من الله عز وجل على يد عمران لمريم ان يكون حجة من غير ان يقيمها هو ويكون العلم قد سبق اليها من امامين قبله ومع ذلك انها كانت لا تقبل حد الامامة ، وانما كنى الله عز وجل عن هذا الذي تولى امر عيسى عليه السلام وهو في حد الحجية من غير ان ينصب اماماً للزمان فكناه الله بمریم وسمّاه باسمها ان هو ام عيسى عليه السلام من جهة ولادة الدين الباطنة كما كانت امه مريم من جهة الولادة الجسدية فسميَ باسمها وكنى عنه بها وكان هو المراد بالحمل والولادة من غير ذكر وخلاف ذلك مما قصه الله عز وجل من امر عيسى عليه السلام وسنذكر ، ذلك في موضعه ^(١) انشاء الله .

وكذلك جرى الامر في يحيى عليه السلام وانه ابن خالة عيسى من قبل الولادة الظاهرة والباطنة ، وكانت امه اخت ام عيسى بالنسب وكذلك كانت ام عيسى وهي التي كنى عنها بمریم في الباطن ، وذلك ان زكريا عليه لما احب ان تكون الامامة في ذريته وسأل الله ان يهب له غلاماً اي من يصلح ان يكون اماماً فأقام افضل من رآه من لواحقه حجة وكان هو المكنى عنه بمریم مقام حجته وكان يحيى عليه السلام من دعوة الحجة التي اقامها زكريا وعيسى من دعوة المكنى عنه

(١) في نسخة (هـ) وردت (مواضعه) .

ببريم وكان من حجة زكريا ومن دعوة عمران الا ان زكريا رباه وكفله من بعده وكان احب ان تكون الامامة من بعده في الذي اقامه من دعوته وكان منه ابنه يحيى ، فأخبره الله عز وجل ان يكون اماماً ولكن لا يكون منه امام بعده واختص الله عز وجل المسمى ببريم الذي كان كفله زكريا بان جعل النبوة والامامة من دعوته لما سبق له من الفضل ^(١) واجرى ذلك له من غير ان يكون اماماً او يتصل بأمر من يكون اماماً ومثل الامام مثل الذكر والحجة مثل الانثى وقد اختصه الله بذلك وهو حجة اي آية له واختصاصاً اختصه به فلما قبض الله عز وجل زكريا اليه قام بالامامة بعده ولده يحيى وقد ولد عيسى عليه السلام وخصه الله عز وجل من التأييد ما سنذكره في موضعه ، وكان يحيى عليه السلام يعرف فضله في حياة زكريا ، ومن ذلك الحديث الذي روي ان كل واحد منهما كان في بطن امه وان يحيى سجد لعيسى وهو في بطن امه ، معنى ذلك في الباطن انها كانا في حدود التربية وكل واحد منهما مع حجة من حجج زكريا وذلك بعد ان دعي المسمى ببريم وسنذكر كيف كان ذلك في موضعه ، فرأى يحيى في عيسى من الفضل والقوة والعلم والحكمة ما ليس فيه فخضع له وعرف فضله ^(٢) ولما صارت الامامة الى يحيى عليه السلام اطاع عيسى لأمره ووقع تحت حكمه ودخل في جملة اهل دعوته ، ومن ذلك الحديث الذي جاء فيه ان عيسى اتى الى يحيى ليعمده فقال له يحيى كيف اتولى ذلك وانت سيدي وسيد غيري وذلك لما علم فيه من الفضل وانه سيكون ناطقاً رسولاً فقال عيسى عليه السلام اما اليوم فانت سيدي وسيد غيري ، ولا يسعني

(١) في نسخة (أ) وردت (الفضيل) .

(٢) في نسخة (أ) وردت (فضوله) .

الا الدخول في امرك فعمدني فغطسه في بحيرة التربية وذلك اخذ العهد عليه لنفسه واعطاه من العلم ما يجب ان يعطيه الى امثاله ، فلما بلغ عيسى عليه السلام مبلغ الرسالة سلم يحيى اليه الامر واخرج اليه ما في يده ووقع تحت حكمه ، ومما خص الله عز وجل به عيسى من فضل اللاحق الذي تركه عمران وكفله زكريا المسمى بمريم قوله تعالى :

« وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ ،
وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي
وَازْكُعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ »

عنى بذلك ان الحد العلوي اتحد به بالتأييد من غير جهة مربيه الذي كفله اختصاصاً له من الله عز وجل على ما قدمنا ذكره فأوحى اليه ان الله سبحانه وتعالى اصطفاه على سائر الخبيث وطهره وأمره بالقنوت والسجود لمربيه وذلك ان لا يرفع نفسه عليه بما خص به على غير يديه يعني زكريا وان يجعل دعوته له ويخضع لاساسه وهو يحى الى ان يأتيه من الله عز وجل ما يأتيه وأما قوله تعالى :

« وَمَا كُنْتَ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ »

ان ذلك كان على عهد عمران وهو انه جمع لواحقه لينظر من منهم يستحق ان يكون حجة فتشوق جميعهم لذلك فأمر كل واحد منهم ان يبدي ما عنده من البيان ليرى ما فيه من التأييد والقوة ، فألقى كل واحد منهم ما عنده من ذلك وهذا هو معنى اقلامهم في التأويل ، وفي الحديث ورد انهم ألقوا اقلامهم في نهر جارٍ فمن سبق قلعه فقد يحكم له وهو في التأويل انهم القوا ما عندهم من البيان في علم صاحب الزمان

ليعلم بما اختصه الله من العلم ايهم اسبق من العلم وأقوم به وأقوى عليه
 فرأى ان ذلك موجود في الذي سمي مريم بعد ان اختبره فوجده حسن
 البيان في حد الحجج ولا يصلح ان يكون اماماً فأقام زكريا اماماً قبله
 وضمه اليه ليكون حجة له الى ان يتهاى فيه قبول حد الامامية فيقيمه
 زكريا ، وأحب زكريا ان يكون ذلك في اهل دعوته على نحو ما قدمنا
 ذكره وذلك تأويل قوله تعالى :

« وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ »

وقوله ايضاً :

« إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ
 الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ،
 وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ »

تقول الملائكة : يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى
 بن مريم ، فمريم المخاطبة هو الحجة لزكريا وقولهم عيسى بن مريم يعنون
 امه في الظاهر وقولهم بكلمة منه يعنون عيسى عليه السلام فأنبىاء الله
 وأوليائه هم كلماتهم خاطب خلقه وبهم ابان لهم مراده كما بالكلام يبين
 المتكلم ما يريد ، والله عز وجل لا يشبه بخلقه ولا يوصف بصفاتهم
 وقولهم وجيهاً في الدنيا والآخرة يعني يحيى بالنبوة والرسالة في الدنيا وفي
 الآخرة بالاتصال بالحدود العلوية ، ومن المقربين اي من تلك الحدود ويكلم
 الناس في المهد اي في حد التربية بالحكمة كما يربي الطفل فيه ويحرك به
 كذلك يكون حد المربي بالحكمة مرة يقرب ومرة يبعد كما يفعل ذلك

بالغلام من يحرك مهده ، يقول ينطق بالحكمة ويخاطب الناس بها وهو في حد الطفولة أي في حد التربية، وكهلاً اي بعد ان يبلغ حد من يؤذن له في الكلام وقد ذكرنا معنى قول الملائكة لها فيما تقدم^(١) .

ان اساس الناطق الرابع موسى هو اخيه هرون، ولكن هرون مات في حياة موسى فاضطر الى اقامة يوشع بن النون اساساً ووصياً على ولد هرون ، ثم آلت الامامة بعده بحسب الترتيب المعروف الى ، طالوت ، داؤد ، سليمان ، يونس ، عمران ، زكريا ، يحيى ، وهو آخر امام من دور موسى .

ان الناطق موسى هو ابن عمران بن اليشاماع بن عميهوز بن لعدان بن ناحس بن تالع ، بن راشف بن رافع بن بريعا بن افراهيم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل ولد سنة ٤٢٥ ابراهيمية وتوفي سنة ٥٤٥ ابراهيمية وعاش ١٢٠ عاماً وكانت ولادته في السابع من شهر آذار في مصر ووفاته في صحراء سيناء . (هرون) هو أخ موسى ولد عام ٤٤٢ ابراهيمية في مصر ومات قبل وفاة موسى بقليل في صحراء التيه، اي قبل ان يخرج بنو اسرائيل من مصر باربعين عاماً . (يوشع) هو ابن نون اخ موسى وهرون ولد عام ٤٦٣ ابراهيمية في مصر وتوفي عام ٢٨ موسوية اي بعد وفاة موسى وكان اساساً بعده ووصياً على أولاد هرون، سار بعد وفاة موسى بثلاثة ايام ببني اسرائيل من صحراء التيه عابراً شريعة الغور من نهر الأردن بتاريخ العاشر من شهر نيسان من العام الذي توفي فيه موسى، وبعد عبوره حاصر بلدة اريحا حصاراً دام سبعة ايام واحتلها وقتل من فيها ثم سار الى نابلس فملكها ثم ملك الشام ودامت رعايته لبني اسرائيل ٢٨ عاماً ودفن في كفر حارس وعمره ١١٠ سنوات . (طالوت) لم نجد في مخطوطات الاسماعيليين اي اسم لطالوت بين الائمة وقد ورد اسم (صموئيل) ولعله (طالوت) وهو المولود عام ٤٤٢ والمتوفي عام ٤٩٥ موسويه . (داؤد) هو ابن بشار بن عوفيد بن بو عز بن سلمون بن غشون بن عمينوداب بن ريم بن حصرون بن يهوذا بن يعقوب ولد عام ٤١٩ موسوية وكان يقيم في حبرون ثم انتقل الى القدس وفتح بلاد الشام وارمينيا وتوفي عام ٥٣٥ موسوية وقد عاش ١١٩ عام . (سليمان) هو ابن داؤد ولد عام ٥٢٣ موسوية واستلم الامامية وهو ابن ١٢ عاماً ، بنى بيت المقدس ابتداء من عام ٥٣٩ وانتهى من بنائها عام ٥٤٦ وبنى ايضاً بيت ملكه في القدس وانتهى منه عام ٥٤٧ وتوفي في القدس عام ٥٧٥ موسوية وعاش ٥٢ عاماً

الفصل الخامس

(وفيه تأويل قصة عيسى صلوات الله عليه)

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما انتهى دور موسى كان آخر امام من دوره هو يحيى عليها السلام وقد أراد الله سبحانه وتعالى بعث^(١) رسولا خامسا وكان هو عيسى صلوات الله عليه ، وقد تقدم القول بذكر مريم في الفصل الخامس وهي ام عيسى من الناحية التربوية وأحد حجج الامام زكريا وكان قبلا من حجج الامام عمران الذي كان قبل زكريا وقد سلمه اياه وضمه الامام

(يونس) ثم (عمران) ثم (زكريا) ثم (يحيى) وهو يوحنا المعمدان بن زكريا ولد عام ١٧١٦ موسوية اي قبل ولادة عيسى لستة اشهر ، قتله هيرودوس ملك بني اسرائيل عام ١٧٤٦ اي بعد ولادة المسيح بثلاثين عاما وكان هو آخر امام من دور موسى ويعتبر هو الذي سلم عيسى تعاليم النبوة المتوارثة . هؤلاء هم الائمة المستودعين ، اما الائمة المستقرين من ذرية اسماعيل بن ابراهيم فهم : عدنان ، معد بن عدنان ، نزار بن معد ، مضر بن نزار ، الياس بن مضر ، مدركة بن الياس خزيمية بن مدركة وهو الامام المقيم لعيسى وأما يحيى فهو الامام المتم .

(١) في نسخة (س) وردت (ابعاث)

زكريا الى حججه وهو المسمى بمريم لانه لم يرَ فيه القوة الكافية لاستلام
الامامة فأقام زكريا اماماً وهو من غير دعوته ، والحق حجته المكنى
بمريم به ، وان زكريا نصب له حجة ثانية وكان منها يحيى الذي اقام
الامر له لأن مربيه وهو امه من أهل دعوته ليكون الامر من بعده فيه ،
ونريد الآن ان نخبر عن ميلاد عيسى عليه السلام في الباطن الذي هو
ميلاد الدعوة دون الميلاد الظاهر الذي حمل أهل الظاهر هذا الميلاد
عليه ولم يوجبوا له باطناً ولم يعرفوه .

وذلك ان زكريا لما قضى بالامر الى يحيى واحب ايضاً ان تكون
حجته من دعوته وأراد الله سبحانه ان يتم لعمران ما رجاه وأمله وان
يجعل النبوة في عقب دعوته بعد ان أجاب دعوة زكريا عليه السلام
وهب له يحيى كما قال في كتابه وجعل الامامة له من بعده ثم أمد
لاحق عمران الذي كنى عنه بمريم وهو ام عيسى في الباطن على الاصل
الذي أقامه عمران له وكفله زكريا من اجله ولم يكن زكريا اقام يحيى إلا
كما رجا ان يكون الامر في عقبه ^(١) وأهل دعوته واتصلت المادة من قبل
الله عز وجل بذلك اللاحق المسمى بمريم من غير ان يعلم بذلك زكريا
ويحيى وان حجته المسمى بمريم لا يزال في حده القديم من حدود اللواحق
اذ لم يكن له من البيان ما يؤديه الى حد الامامية وبقي في درجته
واتصلت به الحدود العلوية من قبل الباري جل ذكره تبشره بما خصه الله
به من الفضيلة والاصطفاء ^(٢) على اللواحق ويأمرونه باعتقاد امامة زكريا
والخضوع له لا ان يخرج عن طاعة امام الزمان وذلك قوله تعالى :

« إِذْ قَالَتِ الْمَلَأْنِيكَ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ

(١) في نسخة (هـ) وردت (اعقابه)

(٢) في نسخة (هـ) وردت (الاختفاء)

وَأَصْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ

يعني اللواحق .

« يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ » اي اجعلي دعوتك لامام زمانك .

« وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي » اي تواضعي لحد اساسك .

« ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ »

يقول ذلك لمحمد (ﷺ) اي اطلعه على ذلك الامر الباطن ، ثم بشرته
الملائكة بانه سيدعو رجلاً يستجيب له يعلم شأنه ويكون نبياً ناطقاً بشريعة
من بعده فتكون النبوة من نسل دعوته وذلك قوله تعالى :

« إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ

الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ »

فأخبره باسمه واسم امه في الظاهر ، ولو كانت امه هي المخاطبة كما
يزعم اهل الظاهر لم يكن لذكرها هنا معنى لأن الخطاب اليها يعني عن
ذكر اسمها ، لأنه لو قيل لامرأة انك تلدين (١) غلاماً يسمى فلان
ويذكر اسمها اي ابن فلانة لاستحال الكلام عن معناه لان اخبارها انها
تلده ويعني عن اخبارها انه ابنها لأن من ولدته فهي امه وهي عالمة
بذلك وقوله « بِكَلِمَةٍ مِنْهُ » اخبار بانه سيكون نبياً وانبياء الله هم
كلما ته لانهم ينبئون عنه بامرهم لعباده ومن ذلك قيل القرآن كلام الله
لأن الرسول لفظ به وبين للناس عن الله لفظاً كما يشاهده من نفسه
ومن غيره من البشر فقد شبه الله بخلقه تعالى عن ذلك علواً كبيراً وقوله

(١) في نسخة (س) وردت (تولدين)

« اسْمُهُ الْمَسِيحُ » اي انه يمسح ما ظهر وما بطن والمسح كشف الشيء ومنه يقال للعليل مسح الله ضرك اي كشفه عنك وازال عنك بأسه ولذلك مسح عيسى عن استجاب له ما خالطهم من مرض الدين في ظاهر امرهم وباطنه ولذلك سمي مسيحاً لأنه هو مسح من ذلك ايضاً ، وقوله وجيهاً في الدنيا والآخرة اي جازاه فيها جميعاً اما في الدنيا فالنبوة والرسالة واما في الآخرة فالاتصال بالحدود العلوية (وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) اي قربه من تلك الحدود (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ) في حال التربية قبل البلوغ الى حدود المفاتحة ^(١) بكلام من بلغ ذلك (وَكَهَلًا) اي يفعل ذلك ايضاً بعد البلوغ فيؤدي من البيان في حال الطفولة ما يشبه ما تؤديه الاجنحة وبعد البلوغ ما يشبه ما تؤديه اللواحق ويوصف ذلك بجودة البيان والعلم والحكمة .

(قَالَ رَبِّي أَنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ)

اي مباشرة امام الزمان باطلاق ذلك لي .

وفي آية اخرى (وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) وانا لا ابغي عليه فأفعل ذلك

دون امره .

(قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ)

يقول له ذلك الحد العلوي المخاطب له بذلك يقول : ليس كلما خلق

الله عز وجل كما زعمت مما جرت به سنته في اكثر الأمور يعني خلق الدين

من ان ذلك لا يكون الا عن امام وحجة بل الله عز وجل يجري ذلك

على من يشاء .

(١) في نسخة (هـ) وردت (الفاتحة) .

(إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)

اي يعرفه بعد ذلك بامام الزمان فيزعم له (وَالْحِكْمَةَ) اي العلم
الذي يختص به مثله من النطقاء (وَالْتَّوْرَةَ) يعني الظاهر (وَالْإِنْجِيلَ)
يعني الباطن .

(وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ)

اي يختصه ويعطيه بعد ذلك الى من استجاب لدعوة اسرائيل من
دور ابراهيم (عليه السلام) الى وقته .

(إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ)

يعني نفسه ومن يقيمه من بعده .

« إِنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ » .

يقول اقيم لكم من استجاب لي منكم وهم المؤمنون ومن ذلك كنى
محمد رسول الله (صلعم) علياً بأبي تراب لما أقامه واخبر انه يكون
ابو المؤمنين من بعده اي اماماً ، والماء مثله العلم فاذا خالطه التراب
صار طيناً يقول أفيد بالعلم المستجيب (٢) لي منكم ممن يصلح ان يكون
داعياً والطائر مثل الداعي فاذا صار الى هيئة ذلك نفخت فيه من روح
الحياة وهو علم التأييد الذي يلقي الى الدعاة :

« فَيَكُونُ طَيْرًا » اي ارسله داعياً .

(٢) في نسخة (هـ) وردت (المستجيب)

« يَا ذَنْ اللَّهِ » اي بما اذن الله لي ان افعله .

« وَأَبْرَأُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ » .

اي أبصر بالحكمة من كان قد عمي عنها والاكمة هو الاعمى ومن ذلك
تقوله تعالى في الكفار لما وصفهم فقال :

صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ .

فالأبرص هو الذي خالطه الشك والضلال وغيره .

(وَأُحْيِ الْمَوْتَى يَا ذَنْ اللَّهِ) .

يقول اعيد الكفار بدعوتي اليهم مؤمنين اذا استجابوا ، والكفر في
الباطن الموت والميت في الباطن هو الكافر ، قال الله تعالى :

(أَمْوَاتٌ غَيْرَ أَحْيَاءِ)

وقال :

(وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ)

يقول افعل ذلك باذن الله عز وجل لا ان افعله من تلقاء نفسي .

(وَأَنْبِئَكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تُدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ)

يقول اعلمكم من العلم ما تحيون به أرواحكم كما تحس أبدانكم بما
تأكلون من الطعام كذلك نحي أرواحكم بالعلم والحكمة .

(وَمَا تُدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ)

اي ما يكون من ذلك عند اللواحق والدعاة ذخيرة لمن يستحقه من
المستجيبين الذين يرقون الى درجات الفضل وهم بيوت لمن دونهم
يأوون اليهم .

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ)

يعني فيما انبأكم به علامة مشهورة ان كنتم ممن يصدقون .

« وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ »

اي اصدق بالظاهر وأمر به ولا اقول بالباطن دونه .

(وَلَاحِلٌ لِّكُمْ بَعْضُ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ)

يقول اطلق من علم الباطن بعض ما كان محظوراً عليكم سماعه .

فبشر ذلك اللاحق بما يكون من امر عيسى عليه السلام واخبره بذلك اذ تعاضم ان يكون له دعوة من غير اطلاق امام الزمان ، وانه يوجد على مثل هذا الذي ذكره الله عز وجل باذنه كما فعل ذلك بآدم عليه السلام وذلك قوله :

(إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)

اخبر عز وجل انه ايده من قبل مؤمن مثله ثم ارقاه (١) من غير توسط احدٍ من البشر الى حد النبوة فلما اراد الله تعالى تمام ما بشر به ذلك اللاحق من امر عيسى امره باعتزال اهل الدعوة التي هو فيها اي دعوة زكريا وان يعتقد امامة امام الزمان ويعتزل لواحقه ويستتر فيهم وذلك قوله تعالى :

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ)

يقول الله عز وجل ذلك للحد الذي يؤدي الى محمد (ﷺ) ان يذكر ذلك ويطلعه عليه من غيبه (مريم) اي ذلك اللاحق .

(١) في نسخة (هـ) وردت (ارماه)

(إِذْ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا)

اي قصدت صاحب الزمان ونبذت لواحقه .

(فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا)

يقول حجبته عنهم وسترت امر ما تريده وانتظرت ما بشرت به

(فَأَرْسَلْنَا لَهَا رُوحَنَا)

يعني الروح الامين المتصل بالانبياء من قبل الله عز وجل ومن قوله تعالى :

(نُزِّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ)

يعني على محمد (ﷺ) .

(فَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا)

فتجلى الملك الى ذلك اللاحق يأمره عن الله عز وجل بان يأخذ على عيسى العهد فاستراب (١) ذلك اللاحق بهذا الأمر لأن ذلك لا يحل للمتصل به ان يسمعه لأن ذلك ليس من حده فقال :

(قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا)

(قَالَ أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا)

يقول ذلك الملك انه بأمر الله اتى به ليؤكد ذلك عنده لما استرابه فأعاد عليه ما قاله للذين بشروه به اولاً وذلك قوله :

(قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)

وقد مضى شرح ذلك والغلام في التأويل هو المستحق للامامة .

(١) في نسخة (هـ) وردت (فسترأب)

(قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ)

يقول لها الملك ان ذلك عن امر الله .

(هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا)

اي اني انشأتك بالتأييد بلا توسط امام .

وَأَنْجَعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا)

اي قضاه الله وحكم به فأيقن ذلك اللاحق بالأمر وعرف عيسى فدعاه فاستجاب له واخذ عليه العهد واقبل على تربيته بالعلم والحكمة وقد تقدم ذكر يحيى في حين ذلك وبتربيته من قبل حجة زكريا له وخضوعه لعيسى عليه السلام لما رأى من بيانه وقوة التأييد فيه وكان ذلك في عصر زكريا عليه السلام كما ذكرنا .

وقبض زكريا وصار الامر الى يحيى بعده وبلغ عيسى حد التأييد ورأى ذلك اللاحق ان من الواجب عليه ان يرقيه الى حد البلوغ وتعاضم ان يفعل ذلك من ذاته فلم يرَ إلا اظهار امره وقصد حجة من حجج يحيى عليه السلام مخافة ان يهجم عليه بالامر فأسر اليه ما كان من امره واظهر له النعمة وذلك قوله تعالى :

(فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِزْعِ النَّحْلَةِ)

والمخاض هو ما يكون حين الولادة وفي التأويل هو وقت اظهار المربي الى حد البلوغ ، والحمل في الباطن بمعنى التربية للأم والوضع اظهار المربي الى حد البلوغ ، فلما احس ذلك اللاحق المسمى ببريم من عيسى قوة التأييد لجأ الى لاحق من لواحق يحيى امام زمانه واعلمه بأمره ليؤدي ذلك عنه الى يحيى ويعتذر عنده له واظهر له الغمة من ذلك والحزن عليه وذلك قوله تعالى :

(قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مَتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا)

فاطلع اللاحق يحى على ذلك واعلمه بامر ذلك اللاحق وانه لا يقول فيه إلا الحق مع ما رأى من عيسى من التأييد وما أيقن فيه من القوة واطلعه على اتصال الحدود العلوية به وهو في حالة التربية وذلك ما جاء في الحديث انه قال رأيت على رأسه حمامة بيضاء وفيما انا انظر اليها غاصت في رأسه ودخلت فيه وغابت فلم حينئذ ان الوحي تفشاه (١) فسلم عليه بالسلام لامره وارسل ذلك اللاحق الى اللاحق الذي جاء بالرسالة يخبره بتسليمه لذلك ورضاه به ونهاه عن الحزن على ذلك وامده بما معه من العلم والتأييد ليؤديه اليه وامره ان يكتم ذلك اللاحق بما كان من يحى وذلك قوله :

(فَتَادَاها مِنْ تَحْتِها)

اي من دونها في المرتبة .

(أَنْ لَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا)

اي قد أمدك معي من العلم وأجراه لك .

(وَهَزَيْ إِلَيْكِ يَجْزَعِ النَّخْلَةِ تَسَاقَطَ عَلَيْكِ رَطْبًا جَنِيًّا فَكُلِي)

وَأَشْرَبِي وَقُرِّي عَيْنًا)

اي سلي عما امدك به متى امنحك اياه فتنايلن منه ما تقر به عينيك واعلمي ان ذلك برضاه وقد سلم بما كان معه لك .

(فَأَمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدٌ فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا)

فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنَسِيًّا)

(١) في نسخة (هـ) وردت (تعشاه)

يعني استر ذلك ولا تفتح به أحداً من أهل الظاهر ففعل ثم امر عيسى باظهار نفسه الى يحيى عليه السلام فأثاه وقرّ به يحيى وسأله عيسى البلاغ وذلك ما جاء في الحديث انه أثاه وهو على بحيرة طبريا يعمد الناس فقال عمدي فقال له كيف اتولى ذلك وأنت سيدي ولا اصلح ان انزع خفيك^(١) فقال له عيسى أما اليوم فأنت سيدي فعمدني فعمده يحيى وامر ذلك اللاحق باظهار^(٢) امره ودعوته من غير ان يذكر ما جرى فيه من قبله اذ كان الله عز وجل لم يجعل امره اليه ففعل ذلك وهو قوله :

(فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ،
يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْراً سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً)
يقولون له لقد اتيت امرأ منكراً عظيماً

« يَا أُخْتَ هَارُونَ » وكان هرون احد اللواحق معه وله فضل فقالوا له فعلت هذا وأخوك هرون له من الفضل .

(وَمَا كَانَ أَبُوكِ امْراً سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً)

فمن أين فعلت هذا وما كان الامام والحجة اللذان انت منهما يفعلان مثله ولا يخرجان بالامر عن حده ولا يعملان ذلك الا بحسب ما جرت به السنة الالهية (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ) اي امر ذلك اللاحق عيسى ان يجيبهم وذلك اتصال المادة العلوية به وخضوع صاحب الزمان له ومعرفته بحقه وتسليمه لامره .

(قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأُمْتِ صَبِيّاً)

(١) في نسخة (هـ) وردت (خوافيك)

(٢) وردت في نسخة (هـ) (بظاهرة)

والمهد في الباطن حد التربية ، يقولون كيف نكلم من كان في حد التربية ، وذلك ان من كان في هذا الحد يقربه مربيه بما يفتح له من العلم ويقصيه ثارة اذا خاف عليه من ان لا يحتمل ذلك ، كما يفعل ذلك من يحرك المهد بالطفل يجذبه مرة اليه ويبعده اخرى عن نفسه فنطق لهم عيسى بالنبوة ودعاهم الى نفسه بقوله :

(قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ أَتَانِي الْكِتَابُ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا)

يقول اعطاني الامامة والنبوة (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا) يقول اعطاني البركة وهي التأييد (أَيْنَ مَا كُنْتُ) اي حيث كنت من حدود الدعوة .

(وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) .

يعني اقامة الدعوة ونصب الاساس وتأليف الشريعة (وَبِرًّا بِوَالِدَيْ) اي بذلك اللاحق المسمى مريم .

(وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) .

اي لا اجبر على من هو دوني لما اتاني الله من الفضل (١) .

(وَأَسْلَامٌ عَلَيَّ) يعني التأييد .

(يَوْمَ وَلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) .

اي لا يفارقني التأييد في حالتي حيث كنت قال الله عز وجل .

(ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْلُ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ تَمْتَرُونَ مَا كَانَ

لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ) .

(١) في نسخة (هـ) وردت (الفعل)

نزه نفسه عز وجل عن ان يكون له ولد كما نسب اليه الكافرون به والجاهلون تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وقام عيسى بالرسالة وسلم يحى لامره واتبعه وآمن به ودعى قومه فكذبوه الا قليل منهم فأعرض عنهم واعتزلهم وانتصر بن آمن به وذلك قوله تعالى :

(فَلَمَّا أَحَسَّ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) .
سألوه ان يشهد لهم بما بذلوه من انفسهم .

(رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) .
سألوه ان يكونوا مع الائمة في زميرتهم لاتباعهم ايام فاتبعه وآمن به الحواريون وهم لواحقه وقيل في الخبر انهم كانوا صيادين وذلك لانهم كانوا يصطادون للدعوة من نفر عن الحق وقيل بل كانوا قصارين ^(١) وقيل صباغين وكل ذلك معناه تحويلهم الناس عن الضلال الى الهداية وعن الكفر الى الايمان كما يحيل الصباغون والقصارون الثياب والامتعة من لون الى لون ، وانما قال ذلك فيهم من ضربه مثلاً لهم فأخذته العامة على ظاهر القول فيه ونسبهم في الظاهر اليه .
واما قوله عز وجل .

(إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ
يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) .
وذلك انهم سألوه ان يأتي لاحد من المائدة مثل الذي اتاه فأمرهم ان

(١) في نسخة (س) وردت (القاصرين) .

يتقوا الله ويأخذوا عن نصبه لهم .

(قَالُوا نُزِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ
صَدَقْتَنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ)

يعنون انه اذا اتاهم الامر من الحدود العلوية بلا واسطة^(١) علموا صدق
ما اتاهم به .

(قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ
السَّمَاءِ تَكُونُ عِيداً لَأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ ، قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ
مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ لِأَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ)
فاتصل ذلك بهم وهو قوله :

(وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا
آمَنَّا وَآشَهِدُ يَا نَا مُسْلِمُونَ)

وقيل ان ذلك هو ما ظهر من صورة المسيح عندهم بعد ان فارقه
مراراً وافادته اياهم بما كانوا يحتاجونه في قلوبهم ولم يكن لاحد من
الناطقاء ذلك قبله ولا بعده ، فآمن به الخواريون وكفر به غيرهم وقالوا :
(هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) فلما كذبوه واعرضوا عما جاءهم به امره سبحانه
بالاعراض عنهم وذلك قوله تعالى :

(إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِيَ عَلَيْكَ) .

يعني انتقلك من حد البلاغ الى حد الامساك عنهم .

(١) في نسخة (س) وردت (وساطت)

(وَرَأَيْكَ إِلَى) .

يقول : اقربك من حد التأييد مني وادنيك بطرح وسائط التأييد فلا يكون بيني وبينك إلا بعضها .

(وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) .

يعني لما كفروا بما جئتهم به من قبلي ولا اقربك منهم واحرمهم فضلك واقطع ما بينك وبينهم عقوبة لهم ورفع لك .

« وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ » اي الذين آمنوا بك .

« فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

يعني الى آخر قائم بالأمر وهو صاحب القيامة الذي يجمع الله به العباد فيستوون عنده في الثواب والعقاب يثيب المؤمنين ويعاقب الكافرين .

« ثُمَّ إِنِّي مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ » .
يعني الرجوع الى الدار الآخرة .

« فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا » .

وهو ما كانوا فيه من الشك والحيرة والضلال « وَالْآخِرَةُ » ما يصيرون اليه فيها مما تواعدهم الله به .

« وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ » .

اي اجر ما عملوا في الدنيا من اقرارهم بالتوحيد وایمانهم بالرسول وتصديقهم الائمة .

« وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ » يعني الذين يضعون الامر في غير موضعه .

« ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ » .

يقول ذلك لمحمد (صلعم) يخبره بما قصّ عليه من انباء ما قد مضى من قبله من الرسل والذكر الحكيم هو علم تأويل ذلك وما ضربه من الامثال ، فهذا جملة القول في قصة عيسى عليه السلام وما كان من اصل شريعته ، فالصليب الذي أمر من اتبعه ان يأخذه معه قد تقدم القول فيه وبيان تأويله فيما تقدم ما اغنى ذلك عن اعادته ^(١) .

(١) بعد ان انتقل الناطق (الخامس) عيسى المسيح آلت الوصية الى أساسه شمعون الصفا وكان ابن خالته وهو سمعان بن يوناث وقد لقب بالصفاء لصفاء نفسه واسمه ايضاً بطرس الرسول وهو احد حوارى عيسى اي أحد لواحقه ، ثم آل الامر بعده الى سبعة ائمة مستودعين وهم مرقص ، وفيلبس ، واسطفانس ، ثم مروة الراهب وبعده حرقيل ، وبعده ابن أخيه ارميا ثم جرجس وهو بجيرا الراهب الذي اتصل فيه الناطق السادس محمد وأخذ منه الودائع والوثائق التي حفظت من عهد موسى ، وبموته عادت النبوة والرسالة الى أولاد اسماعيل بن ابراهيم والامامة ايضاً وهي التي بشروا فيها وسميت المستقرة وان الائمة من ولد اسماعيل في هذا الدور قد جاء ترتيبهم بشجرة نسب الائمة كما يلي : كنانة بن خزيمة النضر بن كنانة ، مالك بن كنانة ، فهر بن مالك ، غالب بن فهر ، لؤي بن غالب ، كعب بن لؤي ، مرة بن لؤي ، هاشم بن مرة ، عمران بن هاشم (ابو طالب) واما عبد المطلب فاسمه (شعبة الحمد) اما عمران فهو الامام المقيم للناطق السادس (محمد) .

الفصل السادس

(وفيه تأويل قصة « محمد » « صلعم »)

بسم الله الرحمن الرحيم

إنما لما أردنا بسط هذا الكتاب الذي هو كتاب « اساس التأويل » وان نشرح فيه ما بسطناه في كتاب « دعائم الاسلام » من ذكر التوحيد ومعرفة الاسلام والايمان والنبوة والامامة والعلم والعلماء والحلال والحرام والقضايا والاحكام الذي ينبغي ان يبتديء فيه من استجاب لدعوة ولي الزمان اولاً ليصح عنده ويثبت ما تعبد الله به من ظاهر امره ويعمل به ويأخذ ذلك من جهة امامه ، وقد ذكرنا ان ذلك مثل ما ينبغي ان يبتديء به المولود في الظاهر من اصلاح ظاهر جسده بالتمريخ والتعديل والشد بالعصائب وقطع سرته مما اتصل به مما ليس منه وهي المشيمة التي كانت عليه وخرج منها وهي مثل الظاهر الذي يعتقده المستجيب من غير ولي امره وانه اذا أصلح ظاهره وعدله مما عليه من التشويه واضطراب الخلقة الذي يلحقه ان ترك ولم يفعل به ذلك ، ثم يقبل عليه بالرضاع ، وانا لما بسطنا كتاب « دعائم الاسلام » الذي مثله مثل اصلاح ظاهر المولود في حولي الرضاعة وقدرناه على تقدير ما يسمعه

المؤمنون والمستجيبيون مما يقومون به في حولين كاملين ، ثم بسطنا هذا الكتاب لنشرح فيه باطن ما في كتاب (الدعائم) ليكون المستجيب يعلم حقائق ظاهر ما في كتاب (الدعائم) من الأعمال المفروضة ويعلم حقائق العلم والأحكام من قبل الإمام فيصلح ظاهره ثم يتبها بما يسمع وتتقدم عنده المعرفة بما في كتاب (الرضاع في الباطن) الى قبول مسا تقدمت معرفته عنده من الظاهر مما هو في حد هذا الكتاب فيعني ذلك علماً واعتقاداً ويعلم حقيقة ذلك العلم الظاهر الذي فرض عليه والاحكام التي تعبد بها وواظب عليها ويقوم بما تعبد من اقامتها ثم يرقى بعد ذلك في حدود العلم والحكمة بقدر قبوله واستحقاقه حداً بعد حد ودرجة بعد درجة .

فلما صرنا في هذا الكتاب الى ذكر الامامة التي بسطنا في كتاب (الدعائم) باباً في ذكرها اذا كانت هي قطب الدين الذي عليه يدور ولا يحزي العمل ولا يقبل إلا بعد معرفته امام الزمان ، وجب ان نذكر في هذا الكتاب بيانها وتأويلها فاحتجنا ان نبتديء بذكر ذلك من لدن آدم فكان ابتداءنا فيه وذكرنا قصته ودور كل ناطق بعده وما جرى فيه وما قصه ^(١) الله سبحانه وتعالى على محمد (صلى الله عليه وآله) من اخبارهم في كتابه الذي انزله عليه وباطن ذلك ومن ذكره الله عز وجل من الائمة الذين كانوا في أدوار الانبياء ومن اختصه الله سبحانه وتعالى منهم بالنبوة والرسالة الى اهل زمانه اذا تغيرت وفسدت احوالهم بشريعة الناطق الذي هو في دوره وبشريته ائمة سبعة ينتهي الفضل الى السابع منهم ويسمى السادس منهم متمماً اي يتم البيان ولا يكون منه بيان ثم يأتي السابع بالبيان وتظهر فيه قوة التأييد فان تهيأ لكي يكون رسولا كان وان تم دور

(١) في نسخة (هـ) وردت (وما خصه)

الناطق قبله كان ناطقاً وان لم يتها ذلك دار بعده اسبوع بعد اسبوع حتى يتها ذلك ، وان الله عز وجل ختم الرسالة والنبوة بمحمد (صلوات الله عليه) وأبقى الامامة في عقبه وجعلها تجري كذلك اسابيع يكون السادس منهم متماً مقصوراً على البيان لحجته الذي يكون سابع الائمة والسته قبله يبينون بيان الناطق ويقوم السابع بالبيان والبرهان لما يظهر فيه قوة التأييد ويجرون كذلك في دور محمد (صلعم) كما جرى لكل ناطق في دوره الا انه لا نبي ولا رسول منهم لأن الله سبحانه وتعالى ختم النبوة والرسالة بمحمد (صلعم) تفضيلاً له عن ان ينسخ شريعته بشريعة او رسالة برسول ، وقد جمع الله سبحانه به الحق وبين فيه الفرائض (١) والاحكام والحلال والحرام وأقره على ما جاء به فليس لأحد من ائمة دوره ان يحيل ذلك ولا يغيره ولا ينقص شيئاً منه ولا يبدله ولا يأتي بخلافه وقد كان فيما قبل من ائمة ادوار النطقاء يفعلون ذلك لما يأتيهم به الوحي عن الله عز وجل فارتفع الوحي بارتفاع محمد (صلعم) وانقطعت الرسالة وبقيت الامامة بجاهها على ما جرت به سنة الله عز وجل فيها ومن ذلك قول (جعفر بن محمد) صلوات الله عليه « لنا من الطاعة ما كان لرسول الله (صلعم) الا أننا لا نخل ولا نحرم الا ما احله وحرمه » فلما صار الأمر الى متم آخر في دور عيسى عليه السلام وأراد الله عز وجل نسخ شريعته بشريعة محمد (صلعم) وان يبعث نبياً ناطقاً من بعد ان كان قد بشر به قومه كما أخبر الله عز وجل في كتابه فقال جل ثناؤه :

(وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ

(١) في نسخة (هـ) وردت (للمرائض)

بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ

وكذلك فان كل ناطق يبشر بالناطق الذي يأتي من بعده وينذر قومه من ائمة دوره وكذلك عيسى عليه السلام وائمة دوره بشروا برسول الله (١) محمد (ﷺ) وذلك فيما يقرأه اهل التوراة والانجيل في توراتهم واناجيلهم على ما قرأوا به بعد ان حرفوا وغيروا

(١) يظهر من مقابلة ما هو مدون في هذا الكتاب على ما ورد في التوراة والانجيل، إن هنالك اختلافاً في اللفظ وبعض الاحيان في الجمل واعتقد ان سبب ذلك النقل او ان النعنان قد أخذ الآيات الانجيلية عن نسخة مكتوبة بغير اللغة العربية وترجمها فجاءت كما هي وظهر الاختلاف فشلا : كلمة (بارقلميط) في الانجيل تدل على (محمد) وقد ترجمها مترجم انجيل يوحنا بكلمة « المعزي » وترجمها مترجم انجيل متى باسم (ايلىا) هذا وان الجملة التي وردت عن لسان داود وهي « اللهم ابعث جاعل الستة حتى يعلم الناس انه بشر » فلم نعثر عليها في كتب أخرى وهي ثابتة اصلا لان النعنان رآها ولو لم يكن رآها لما كتبها . وها نحن نورد الآيات كما وردت :

فأذلتها (ساراي) اي هاجر فهربت من وجهها فوجدها ملاك على عين الماء في البرية وهي العين التي في طريق اشور ، فقال يا هاجر جارية (ساراي) من اين اتيت وإلى اين تذهبن ؟ فقالت انا هاربة من وجه مولاتي ساراي . فقال لها ملاك الرب إرجعي الى مولاتك واخضعي تحت يديها وقال لها ملاك الرب تكثيراً اكثر نسلك فلا بعد من الكثرة ، وقال لها ملاك الرب ها انت حبل فتلدن ابناً وتدعين اسمه اسمعيل لان الرب قد سمع لمذلتك وإنه يكون لإنساناً وحشياً يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وامام جميع اخوته يسكن . وجاء في الاصحاح ١٧ من ١٨ - ٢١ -

وقال ابراهيم لله ليت اسماعيل يعيش امامك ، فقال الله بسل ساره امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه اسحق ، واقم عهدي معه عهداً ابدياً لنسله من بعده وهي كلمة يونانية ومعناها (الروح القدس) او (المعزي) او (المحامي) وقد وردت بأنجيل يوحنا ثلاث مرات في الاصحاح ١٤ آية وفي الاصحاح (١٦) آية (٧) ومعنى الآيات التي وردت فيها هكذا : (وسأصلي الى الأب لكي يهبكم معزيا آخر ١٦ و ١٧ و ٢٦ لكي يبقى معكم الى الابد انه روح الحق ، والمعزي اي روح القدس Pareikletos الذي سيرسله الاب باسمه سوف يعلمكم كل شيء ويدكركم بكل ما قلته لكم .) (ومع ذلك فالحق اقول لكم : من الخير ان اذهب فالمعزي لن يفد عليكم اما اذا ذهب فسأرسله اليكم) .

كما قال الله عز وجل وكذلك بشر محمد بالقائم من بعده صلوات الله عليها وبالمهدي من قبله وانذر من التكذيب به وانكاره ومن ذلك قوله تعالى :

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)

وسنذكر امر القائم والمهدي وغيرهما من الائمة صلوات الله عليهم انشاء الله .

ولما كان قد انتهى عصر متم دور عيسى صلوات الله عليه ولم يتبها ان يكون منه السابع الذي هو المنتظر وحضرت نقلة المتم قبل ذلك وقد يكون ذلك في بعض الادوار وهي الفترة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه فكانت آخر اسبوع من دور عيسى قبل ظهور محمد صلوات الله عليها وكانت لا تخلو الارض من حجة لله فيها لان المتم حين لم يتبها ظهور السابع في عصره كان المؤمنون متمسكون بهدي الماضي متربضين بانفسهم ينتظرون قيام السابع اذ قد آن قيامه وحضر وقته ومن ذلك تأويل باطن قوله عز وجل .

(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا)

يقول اذا فارق العالم المتم قبل ظهور السابع تمسك اللواحق بولاية الاصول الاربعة والفروع العشرة وقد ذكرناهم وذلك ان يعتقدوا وحدة الباري وما يتصل عن الوساطة بينه وبين الرسول ويعتقدون كذلك الاقرار بالرسول واساسه والامام وحجته الذين هم الوسائط بينه وبين العباد والسبعة الائمة والسبعة النطقاء ويعتقدون علم ذلك وتصديقه

ويتربصون الى ان يقوم السابع وهو الاجل لتربصهم وذلك قوله تعالى :

(فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ)

يعني من اظهار الحكمة والانضمام الى صاحب الزمان كما يفعل ذلك النساء المتوفي عنهن ازواجهن اذا حلّ اجلهن وخرجن من العدة الى ان يظهرن انفسهن الى الخطاب ويصرن الى الازواج فتكون الامة في الفترة غير منفكة عن الطاعة وذلك قول الله عز وجل .

(لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ

مُنْفَلِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)

يعنى بيان صاحب الزمان .

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)

هم الذين ستروا امر الامام بعد ان عرفوه (وَالْمُشْرِكِينَ) الذين اشركوا بولاية غيره ، فلما ابتهت الله محمداً اتصل به لواحق المثم من دور عيسى عليه السلام وكشفوا له ما عندهم وسلموا اليه وسندكرهم بعد الذي شرطنا ذكره من بشارة الرسل به ومن اقرّ به ومن كذبه من اليهود والنصارى مما هو في الكتب التي في ايديهم مما اقرؤا به ويذكرون آية من التوراة والانجيل هذا عدا عما صرفوه منها مما فيه ذكره (صلعم)

ولما دعى سيدنا ابراهيم ^(١) لاسماعيل قال له :

(قَدْ سَمِعْتُ دُعَاكَ وَأَجَبْتُ وَبَارَكْتُهَ وَأَكْبَرْتُهُ جِدًّا جِدًّا

وَسَيَلِدُ مَلِكًا وَأَجْعَلُ لَهُ إِثْنَيْ عَشَرَ عَظِيمًا وَأَجْعَلُهُ لِأُمَّةٍ عَظِيمَةٍ)

اي محمد والعطاء الاثنى عشر حدوده وهم النقباء في كل عصر ، وفي هذا السفر ان هاجر لما هربت من ساره تراءى لها ملك وقال لها .

« يَا هَاجِرَ أَمَّةُ سَارَةَ اِزْجِعِي إِلَى سَيِّدَتِكَ وَاخْضَعِي لَهَا فَإِنَّ اللَّهَ سَيُكْثِرُ ذُرِّيَّتَكَ وَذَرْعَكَ حَتَّى لَا يُحْصَى كَثْرَةُ لَهَا وَهَا أَنْتِ تَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ إِسْمَاعِيلَ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ خُشُوعَكَ وَتَكُونُ يَدُهُ فَوْقَ يَدِ الْجَمِيعِ وَأَيْدِي الْجَمِيعِ مَبْسُوطَةٌ إِلَيْهِ بِالْخُضُوعِ »

وذلك في الرسول الذي يأتي من بعد ان كانت النبوة والملك في ولد (إِسْحَاقَ مِنْ قَبْلِهِ ، ثُمَّ حَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ النَّبُوءَةَ وَالْمَلِكَ فِي وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ كَمَا وَعَدَ بِذَلِكَ) وما هو في قوله

« جَاءَ اللَّهُ مِنْ سَيْنَاءَ وَأَشْرَقَ مِنْ سَاعِيرَ وَاسْتَعْلَى مِنْ جِبَالِ فَارَانَ وَسَيَّأَتِي مِنْ رَبَوَاتِ الْقُدْسِ فِي يَمِينِهِ نَارٌ هِيَ شَرِيعَةٌ لَهُ » فقالوا: عنى بمجيئه من سيناء ارساله موسى اذ نزل التوراة عليه في طور سيناء ، واشراقه من ساعير ارساله عيسى منها وكان يسكن بقريه تسمى ناصر وهي من أرض الجليل وكذلك استعلاه من جبال فاران ارساله محمد وفاران هي مكة باللسان الذي انزل الله به التوراة ، وبذلك نذكر ونعرف ان في جبالها نبأ الله محمد وأنزل كتابه عليه واتيانه من ربوات القدس ظهور قائم القيامة والنار التي هي في يمينه هي اظهار باطن الشريعة وتأويلها وسنذكر قصته في موضعها انشاء الله تعالى « قال لموسى اني اقيم

لبنى اسرائيل نبياً من اخوتهم مثلك اجعل كلامي عليه فهو لا يتكلم الا بأمرى » واخوة بني اسرائيل هم ولد اسماعيل والنبي محمد منهم بشرهم موسى بأمر الله به ، ومما ذكروا من ذلك ان في الانجيل قول المسيح للحواريين « انى انا ذاهب وسيأتى البارقليط روح القدس الذي لا يتكلم من قبل نفسه انما هو كما يقال انه يقول وهو يشهد على وأنتم تشهدون لي ولانكم معي من قبل الناس وكل شيء اعدده الله لكم بخبركم » وفي حكاية يوحنا عن المسيح انه قال « البارقليط لا يجيئكم ما لم اذهب انا فاذا جاء وبنح العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه يسبح به ويكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب » وفي حكاية اخرى : « ان البارقليط روح الحق الذي يرسله ابي يسميه فهو يعلمكم كل شيء وقال : « انى سائل ابي ان يبعث اليكم بارقليط آخر يكون معكم الى الأبد وهو يعلمكم كل شيء » يعني بقوله يكون معكم الى الأبد اي شريعته تبقى الى الأبد ^(١) ، وفي حكاية اخرى « ان البشر ذاهب والبارقليط من بعده يجيئ لكم بالاسرار ويقر لكم كل شيء وهو يشهد لي كما شهدت له فساني جئتكم بالامثال وهو يجيئكم بالتأويل » وفيه انه لما حبس يحيى بن زكريا ليقتله بعث تلاميذه الى المسيح وقال لهم قولوا له انت الآتي او تتوقع غيرك فاخبروه بذلك فقال لهم المسيح « الحق اليقين اقول لكم انه لم يقم

(١) واما اسماعيل فقد سمحت لك فيه ها انا أباركه وانمره واكثره كثيراً جداً اثني عشر رئيساً ولد واجعله امة كبيرة .

وجاء في الاصحاح ٢١ - من ١٤ .

فبكر ابراهيم صباحاً وأخذ خبزاً وقربة ماء واعطاها لهاجر واضعاً اياهما على كتفها والولد وصرفاً . فضت وتاهت في بركة بئر سبع ، ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت احدى الاشجار ومضت وجلست مقابله بعيداً نحو رمية قوس لانها قالت لأنظر موت الولد ، فجلست مقابله

انسان افضل من يحيى بن زكريا وان التوراة وكتب الأنبياء يتلو بعضها بعضاً بالنسبة والوحي حتى جاء يحيى فأما الانسان فان شئت فأقبلوا ان البارقليط مزعج ان يأتي من بعدي فمن كانت له اذان سامعتان فليسمع ما اقول حقاً » وما ذكروا انه في الزبور قوله « سبحوا الرب تسبيحاً جديداً سبحوا الذي هيكله الصالحون ليفرح اسرائيل بخالقه وبيوت صهيون من اجل ان الله اصطفى له امة واعطاها النصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة يسبحون على مضاجعهم ويكبرون له باصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذات شفرتين ينتقم الله بهم من الامم الذين لا يعبدونه ويوثقون ملوكهم بالقيود واشرافهم بالاغلال » فلم يكن ذلك الا للحمد وامته ، وفي مزمور آخر « انه يحوز من البحر الى البحر من لدن الانهار الى مقطع الارض وتجري اهل الجزائر بين يديه على ركبهم ويلبس اعداءه التراب من تحت قدميه ويأتيه الملوك بالقرايين وتسجد وتدين له الامم بالطاعة والانقياد لانه يخلص المطهد البائس ممن هو اقوى منه وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له ويرأف بالضعفاء والمساكين وانه يعطي من ذهب بلاد ويصلي عليه في كل وقت ويبارك عليه في كل يوم ويدوم ذكره مع ذكر الله تعالى الى الابد » ومنه من قول داود عليه السلام « اللهم ابعث جاعل الستة حتى يعلم الناس انه بشر » وما ذكروا انه من كلام اشعيا قوله عن الله عز وجل « عبدي خيرتي

ورفعت صوتها وبكت ، فسمع الله صوت الغلام وتادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر لا تخافي لان الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومي احمل الغلام وشدي يدك به لأنني سأجعله أمة عظيمة وفتح الله عينها فأبصرت بثر ماء فذهبت وملاّت القرية ماء وسقت الغلام . وكان الله مع الغلام فكبر وسكن البرية ، وكان ينمو رامي القوس ، وسكن في بركة فاران وأخذت له امه زوجة من أرض مصر . .

الذي اشرق عليه نفسي افيض عليه روعي فيظهر في الامم عدلي ويوصيها بالوصايا لا يضحك ولا يسمع صوته في الاسواق يفتح العيون المور ويسمع الآذان الصم ويحي القلوب الفلقة وما اعطيته لاعطيه غيره احمد بحمد الله حمداً جديداً يأتي من اقصى الارض تفزع اليه اكبرها وسكانها يهللون الله تعالى على كل شرف ويكبرونه على كل راية لا يضعف ولا يغلب ولا يميل الى الهواء ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبه الضعيفة بل يقوي الصديقين وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذي لا يطفى ولا يخضم حتى تثبت في الأرض حجته وينقطع به العذر الى توراته تنقاد الانس والجن الذي به مثل التوراة « ومن قوله : « انا عظمتك بالحق وايدتك وجعلتك نور الأمم وعهداً للشعوب لتفتح عين العميان وتنقذ الأسارى من الظلمات اثر سلطانه على كنفه علامة النبوة « ومن قوله : « قيل لي قم فانظر ما ترى فاخبر به قلت ارى راكبين مقبلين احدهما على حمار والآخر على جمل يقول احدهما لصاحبه سقطت بابل وأصنامها المنحوتة ، عنى بصاحب الحمار عيسى وعننى بصاحب الجمل محمد وسقوط بابل واصنامها ذهاب ملك الفرس على يديه ، ومن قوله : « انه سيملاً البادية والمدن قصوراً بنوا القمذار يسبحون ومن رؤوس الجبال ينادون الذين يجعلون الله الكرامة ويثبتون تسبيحه في البر والبحر يرفع لهم علم لجميع الامم من

وجاء في التثنية اصحاح ١٨ من ١٥

قول موسى لبني اسرائيل : يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من اخوتك مثلي له تسمعون ، حسب كل ما طلبت من إلهك في حويرب يوم الاجتماع قائلاً لا أعود أسمع صوت الرب الهى ولا أرى هذه النار العظيمة ايضاً لثلاث اموت « قال لي الرب قد احسنوا فيما تكلموا . اقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فم فيكلهم بكل ما اوصيه به ، ويكون ان الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي ان اطال به .

بعيد في أقاصي الارض فاذا هم سراعاً يأتون ، وبنوا قيذار هم من ولد اسما عيل والعلم المرفوع هو رسول الله محمد (صلعم) .

ومن كلام حيقون في زمن دانيال « جاء الله من اليمن والقدس ومن جبال فاران » يعني مكة وان الله سبحانه وتعالى بعث محمد (صلعم) منها وامتألت الارض من تحميد احمد وتقديسه وتلك الارض بيمينه ورقاب الامم تخضع له تضيء لنوره الارض وتحمله خيله في البحر ، ومن كلامه ايضاً : وتنزع في قسيك وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواءً » وهذا افصح باسمه (صلعم) وهذا ما قرؤا به واثبتوه غير ما صرفوه وبدلوه كما اخبر الله عنهم بذلك جل ذكره وظاهر من اعلام الرسول له باطن وفيه دليل ومن ذكر انه خبر بالنبوة قبل ان يبعث (صلعم) في زمن الفترة الذي قدمنا ذكره نفر من نصارى الحبشة رأوه وقد حملته ظهيرة وهي التي ارضعته من البادية لقرده الى امه بمكة قرأوا فيه علامة النبوة مما اخبروا به فهموا ان يأخذوه من المرأة والذهاب به الى بلدهم فلم تخلصه منهم الا بعد جهد وبعد ان غلبهم عليه من كان معها من قومها ، ومن ذلك قصته مع بحيرا الراهب وكان فيما بين مكة والشام وقد خرج به عمه ابو طالب الى الشام فنزل تحت شجرة فنظر بحيرا من صومعته الى سحابة كالغمامة ظللته من الشمس والى فرع الشجرة وقد اشتبكت عليه فأظلمته من الشمس فعلم ان له شأنًا فيها طعاماً ثم احضر القوم اليه واحضره معهم فلما اكلوا سأل عنه

وجاء في التثنية اصحاح ٣٣ قول موسى :

وهذه هي البركة التي بارك موسى رجل الله بني اسرائيل قبل موته ، فقال : جاء الرب من سيناء واشرق من ساعد وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة يلم .

فقالوا عنه فقالوا « محمد بن عبدالله » قال ومن هو قالوا مع عمه قال وابن ابوه قالوا مات وماتت امه وكفله جده ثم مات وكفله عمه وكان ذلك مما يعرفه من علاماته ، فخلا به وقال له يا بني اسألك باللات والعزى ان لا تكتم ما اسألك عنه فقال له محمد ما اللات والعزى على حق وما من شيء ابغض اليّ منها ، فزاد ذلك في يقين بحيرا فقال له اسألك بالله قال قد سألتني بعظيم فسأله عن اشياء من احواله فأخبره بما عنده من دلائله فخلا بأبي طالب وقال له احفظ ابن اخيك هذا من اليهود ولا تظهرهم عليه فانهم اعداءه واعداء امثاله من قبله فاحذرهم عليه وكان يرجو ان يبلغ زمانه فمات من قبل ذلك ومن ان خديجة بنت خويلد كانت ذات مال وكانت تتجر فيه وتضع البضاعة من الرجال فلما بلغ رسول الله (صلعم) مبلغ الرجال وانتهى اليها ما نشأ عليه من الفضائل والطهارة والصدق والامانة ارسلت اليه مالا وبضاعة الى الشام وارسلت معه غلاماً لها يخدمه فجاءها بربح كثير واخبرها الغلام انه كان يرى اذا اشتد الحر طائرین عظیمین فوق رأسه يظللانه واخبرها انه نزل يوماً فنام تحت شجرة وبقرها راهب في صومعة فلما رآه نزل اليه فرآه نائماً فسأل الغلام عنه فأخبره فقال له الراهب انه لم ينام تحت هذه الشجرة قط إلا نبي وكانت خديجة قد تزلت من ابي هالة زوجها وكان ورقة بن نوفل ابن عمها قد خطبها وكان يختلف اليها وهو على دين النصرانية فأخبرته بما

(انجيل يوحنا) اصحاح ١٤ (١٥ و ٢٤ و ٢٥) .

قول المسيح لرسله : (ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ، وانا اطلب من الأب فيعطيك معزياً آخر ليمكث معكم الى الابد » وقوله : الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي ، والكلام الذي تسمعون ليس لي بل للأب الذي ارسلني ، بهذا كلمتكم وانا عندكم . وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب الارب باسمي فهو يكلمكم كل شيء ويدرككم بكل ما قلته لكم .

أخبرها به الغلام فقال والله لأرجو ان يكون نبي هذه الامة لان وقت ظهوره قد حان ونحن نعلم ذلك وانا لنجد صنعته فيه فأرسلت اليه خديجة رحمة الله عليها فعرضت عليه نفسها لما علمت فيه من الفضل فتزوجها وكان ورقة بن نوفل ينتظر نبوته ويسأل خديجة عن احواله فتخبره فيقول: هو والله نبي هذه الأمة وله في ذلك اشعار كثيرة معروفة ومات قبل ان يبعث محمد (ﷺ) بالرسالة وخشى امره بذلك ومشى اليه اهل العلم من أهل الباقيين في آخر دور عيسى عليه السلام واتصل بالمتخلف منهم وأفضوا اليه بما عندهم ثم اكرمه الله عز وجل بالنبوة وابتعثه رسولا وذلك قوله جل من قائل .

« هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُذَكِّرُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمْ يَخْشَوْا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »

فالأُميون هم أهل الحقيقة من المؤمنين وقيل لهم أُميون لانهم ينسبون الى حجة ناطق الزمان الذي اليه امر الدعوة الباطنة وهو في الباطن امهم والناطق ابهم وكذلك ينسبون ما تسافلت الحدود او علت فالحد الاسفل بمنزلة الأم والاعلى بمنزلة الاب والمستجيبون لهم بمنزلة الأولاد فابتعثه عز

وجاء في الاصحاح ١٥ - ٢٦ و ٢٧ .

قوله عليه السلام « ومني جاء المعزي الذي سأرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أتم أيضاً لانكم معي من الابتداء .

وجبل الى من لحقه من آخر دور عيسى عليه السلام وهم الاميون الذين ذكرهم والآخرون الذين لم يلحقوا بهم هم المشركون وابتعثه رسولا الى كافة العالمين وذلك قوله تعالى :

« ذَلِكَ الْفَضْلُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »

واما ما كان قبله من البنين انما ارسلوا الى امم مسلمين وذكر الله عز وجل في كتابه ذلك ، وارسل الله محمداً الى كافة البشر وذلك قوله :

« قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً »

وقول رسول الله (ﷺ) « بعثت الى الاحمر والاسود » وجعله الله عز وجل حجة على جميع خلقه اذ ختم به النبوة ولم يجعل نبياً بعده فالاميون ههنا هم المؤمنون وقت الفترة من اجل انتسابهم الى ناطق زمانهم من حجة حجته ومن ذلك قوله الله عز وجل .

« النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ »

وهو في بعض القراءة اب لهم وازواجه في الباطن حبيجه فأولى الاولياء الاب ثم دونه الابن ثم الاخ والزوجة لا تكون الا من جهة

وجاء في الاصحاح ١٦ - ٦ - ١١ - ٦ : قوله عليه السلام « لكن لاني قلت لكم هذا قد ملا الحزن قلوبكم ، لكنني أقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق لأنه أن لم انطلق لا يأتيكم المعزي ولكن أن ذهب ارسله اليكم ، ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة اما على خطية فلاثمهم لا يؤمنون بي ، واما بر فلا في ذاهب الى أبي ولا تروني ايضاً ، واما على دينونة فلا ثم رئيس هذا العالم قد دين » . وقوله ايضاً : « ان لي امور كثيرة ايضاً لا اقول لكم ولكن لا تستطيعون ان تحتملوا الآن ، واما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية ذاك يعجلني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم . كل ما للأب هو لي لهذا قلت انه يأخذ مما لي ويخبركم . »

زوجها فتكون ام أولادها الا ما خست مريم وقد مضت قصتها ،
والاميون في لغة العرب التي نزل القرآن بها هم الذين لا يقرأون الكتاب
ولا يكتبون ، وكذلك من يكون في الفترة من المؤمنين وعلى ذلك كانوا
في الفترة في آخر دور المسيح الى ان بعث محمد (صلعم) لا يفاتهم احد
بشيء من علم الامام الذي قبله وكذلك كان هو عليه السلام حتى اختصه
الله عز وجل بالنبوة ومن ذلك قوله تعالى :

« النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ »

وقوله :

« وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخِطُّهُ بِيَمِينِكَ
إِذَا أَلْزَمَكَ الْمُبْتَطِلُونَ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ
أُوتُوا الْعِلْمَ »

فاليمين مثل على حقيقة امام الزمان ، يقول ما كنت تقيم اماماً ولا
تنصب اساماً ولا تؤلف شريعة حتى خصك الله بذلك وانت امي لا
تعلم علم ذلك ولو كنت تعلمه لارتاب بذلك المنطلون وقالو علم بذلك
فادعاه وذلك من المعجزات التي يعجز عنها البشر ولا يطبقونها الا
بتأييد الباري جل ذكره ويثبت بهذه الآيات ان محمداً كان مبعوثاً من قوم
كان حدهم وحده ما وصفناه ثم رقام واعلام وذلك لما اراد الله عز

وجاء في إنجيل متى الاصحاح ١١ من ١١ - ١٥ .

« الحق أقول لكم لم يقيم بين المولودين من النساء اعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الاصغر في
ملكوت السموات اعظم منه ، ومن ايام يوحنا المعمدان الى الآن ملكوت السموات يغصب والغاصبون
يخطفونه لان جميع الانبياء والتاموس الى يوحنا تناسلوا ، وإن أردتم ان تقتلوا فهذا هو ايليا المزمع
ان يأتي . من له اذانان للسمع فليسمع »

وجل نقل النبوة من ولد اسماعيل عليها السلام في الفترة لئلا يمتحن من صار الامر اليه بدفعه الى من ضعف والله عز وجل عمل ذلك رأفة منه بخلقه ورفقاً بعباده وكان الذي استخلفه متم عيسى عليه السلام كما ذكرنا قد اتصل برسول الله (صلعم) لما انتهى امره وأوقفه على صنعته ونعمته واطلمعه على امره وأخذ ميثاقه وادى اليه هو ولواحق المتم الذي استخلفهم واسبابه من العرب والعجم وكان ذلك المستخلف اعجبياً فلما اختص الله تعالى محمداً بالرسالة وكرمه بالنبوة ودعى قومه وكذبه منهم من كذبه وقالوا انما علم محمد هذا الذي يدعونا اليه الأعجمي الذي كان يغشاه ويتصل به ومن ذلك قول الله تعالى :

« وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْنُونٌ »

وقوله :

« وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ »

وقضت سنة الله عز وجل في جميع من ارسله من رسله ان يكون الرسول الناطق يقوم بظاهر الشريعة والتنزيل ويقيم اساساً من اقرب الناس اليه فمن استجاب لدعوته وامتحنه ورضي عنه للقيام بالباطن والتأويل

وجاء في مزمو - ٧٢ - لسيدنا داؤد :

اللهم اعط احكامك للملك وبرك لابن الملك ، يدين شعبك بالعدل ومساكنك بالحق ، تجعل الجبال سلاماً للشعب والآكام بالبر يقضي لمساكين الشعب ، يخلص بين البائسين ، ويسحق المظالم يخشونك ما دامت الشمس وقدام القمر دور تسدور ، ينزل مثل المطر على الجزائر ومثل الغيث الزارفة على الأرض ، يشرق في ايامه الصديق وكثرة السلام إلى ان يصحق القمر ، ويهلك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى اقاص الارض ، امامه تجثوا اهل البرية واعدائه يلحسوا التراب ، ملوك ترشيش والجزائر يرسلون مقدمة ، شبا وسبا يقدمون هدية ، ويسجد له كل الملوك ، كل الامم تتعبد له ، لانه ينجي

وأقام رسول الله (صلعم) ظاهر الشريعة ونصب لها حدوداً أقامهم للقيام بها وبما أنزل الله عز وجل عليه وقوله تعالى :

« وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ »

فأبان لبعض من أقامه ونصبه بعض البيان من قبل ان يقيم أساسه واطلعهم على انه يقيمه وامتد لذلك طمع بعضهم وكان علي صلوات الله عليه احداثهم سناً فأنزل الله سبحانه على محمد (صلعم) .

« لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجَاجِلَ بِهِ إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قِرَاءَتَهُ ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا بَيَانُهُ »

فعلم (صلعم) عليه وآله انه لم يكن ينبغي له ان يبين بنفسه وان البيان لا يكون الا من قبل الله عز وجل بمن يأمر الرسول ان يقيمه له وقوله تعالى :

« وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ »

فجمع بني عبد المطلب وقد ذكرنا امر جمعهم وكيف كان جمعه اياهم وما عرضه عليهم من مرموزاته مما ذكرناه في كتاب «دعائم الاسلام» وهو خبر مشهور يرويه كثير من العوام من انه (صلعم) جمعهم على فخذ شاة وقدح من لبن فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى ارتوا وكانوا اربعين رجلاً اكثرهم يأكل الجذة ويشرب العرق ومثل ذلك في الباطن ما اللقاء اليهم من العلم

الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له ، يشفق على المسكين والبائس ، ويخلص انفس الفقراء من الظلم والخطف يقدي انفسهم ويكرم دهم في عينه ويعيش ويعطيه من ذهب شبا ، ويصلي لاجله دائماً اليوم كله يباركه ، تكون حفنة بر في الارض في رؤوس الجبال تتأيل مثل لبنان ثمرتها ويزهرون من المدينة مثل عشب الاوض . يكون اسمه إلى الدهر قدام الشمس يمتد اسمه ، ويتباركون به كل امم الارض يطوبونه .

والحكمة وانذرهم به وانه قليل فلم يحتملوه ولا اهتموا لعلمه وكانوا في عقولهم وآذانهم وحلومهم يحتملون ويعلمون من العلم فوق ذلك فمعجزوا عما اتاهم به الرسول وقد اطلعهم على ما يريد من اقامة اساسه وعرض عليهم ما علمه اياه وكلهم عجز عن ذلك وتحمله على صلوات الله عليه فأقامهم بحضرتهم واشهدهم على ذلك ومن حضره كان ممن اقامهم لحدود ظاهر الشريعة فعظم ذلك على مؤمنهم وكافرهم الا من عصم الله من المؤمنين اذ انهم رأوا انهم احق بذلك منه وكان ذلك اول استكبار المشركين ونفاق من تسمى بالاسلام وقد ذكرنا قولهم لابي طالب نهنك فقد قدم ابنك عليك ، ولما انصرفوا مستهزئين عظم ذلك على رسول الله (ﷺ) وأكبره وضاق به صدره وكتبه على سائر الناس خوفاً منهم الى ان انزل الله عز وجل عليه في عودته من حجة الوداع قوله تعالى .

« يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ »

فقام بغدير خم بولاية علي صلوات الله عليه والخبر بذلك مشهور يرويه العام والخاص وقد ذكرناه في كتاب « دعائم الاسلام » ، ولما

وجاء في المزمور ١٤٩ من ١ - ٨

هللوا ، غنوا للرب ترنيمة جديدة ، تسبحته في جميع الاتقياء . لينفرج اسرائيل بحالفا ، ليبتج بنو صهيون بمليكهم ، يسبحوا اسمه برقص ، بدف وعود ليرنموا له ، لان الرب راض عن شعبه ، يمل الودعاء بالخلاص ، ليبتج الاتقياء بمجد ، ليرنموا على مضاجعهم ، تنويبات الله في افواههم وسيف ذو حدين في يدهم ، ليصنعوا نقمة في الامم وتآديبات في الشعوب لاسر ملوكهم بقيود وشرفاتهم بقبول من حديد ليجروا بهم الحكيم المكتوب كرامة هذا لجميع اتقيائه . . هللوا .

كبر ذلك على رسول الله (صلعم) نزل قوله تعالى :
« وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ »
والسموات امثال النطقاء والأرض امثال الاسس ، يقول ما اقننا من
اقنناه الا بالحق .

« وَإِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ »
يعني قائم القيامة .

« فَأَصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ »
اي عز من آذاك في كره من اقته .
« إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ »
يعني الذي قدر ذلك بعلمه .

« وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي »
يعني الائمة السبعة من بعده من ذريته الذي ينتهي الفضل الى السابع
منهم ويكون السادس منهم ممنوع من البيان ينشئون ذلك حتى يكون
السابع هو القائم الذي يجمع الله عز وجل له امر العباد .

« وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ »
يعني اساسه الذي اقامه .

وجاء في كلام اشعيا في الاصحاح ٤٢ .

هوذا عندي الذي اعضده مختاري الذي سميت به نفسي ، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للامم ،
لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته ، قصة مرضوضة لا يقصف ، وقتلة خامدة لا يطفىء
الى الامان يخرج الحق لا يكل ولا ينكر حتى يضع الحق في الارض وتنتظر الجزائر شريعته ، هكذا
يقول الرب خالق السموات وناشرها باسط الارض وتنتائجها ، معطي الشعب عليها نسمة . والساكين

« لَا تَمْدَنَّ يَمِينَكَ إِلَى مَا مَنَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ »

يعني الذين ازدوجوا على انكار ما فعله من اقامه اساسه .

« مِنْ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ »

وما منعوا به من البقاء .

« إِلَى الْأَجْلِ الْمَعْلُومِ »

وان لا يتعجل لهم العقوبة .

« وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ »

يعني الذين رضوا بذلك وسلموا لأمره .

وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْسِمِينَ الَّذِينَ

جَعَلُوا الْقُرْآنَ

يعني الذين ارادوا ذلك ان يكون منهم .

« فَوَرَّيْكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ

وَاغْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ »

فيها روحاً ، انا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك واجعلك عهداً للشعب ونوراً للامم ، لتفتح عيون العمي ، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة . انا الرب هذا اسمي ومجدي لا اعطيه لآخر ولا تستبيحي للمنحوتات هوذا الاوليات قد أتت والحديثات انا مخبر بها قبل ان تثبت اعلمكم بها » غنوا للرب اغنية جديدة تسبيحه من اقصى الارض ايها المنحدرون في البحر واملئوه والجزائر وسكانها ، لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيذار ، لترنم سكان سامع من رؤوس الجبال لهتفوا ، ليعطوا الرب مجداً ويخبروا تسبيحه في الجزائر ، الرب يخرج كرجل حروب ينهض غيرته يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه .

يعني الذين استهزأوا بفعله في اقامة اساسه .

« الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ »

فبشره بمن اقامه وبمن يقوم به من الائمة من نسله وبالقائم في آخر الزمان من ذريته وعزاه بما كبر عليه وضاق به صدره من صدهم عن من اقامه وذلك مثل قوله تعالى في قصة موسى .

« وَضَلُّهُمْ أَلسَامِرِيُّ وَأَخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ دُونِهِ »

ولذلك قال رسول الله (صلعم) « لتسلكن سبل الامم قبلكم حذوا النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه » يقول لو ان من كان قبلكم اجاب دعوة ضب لاجبتم دعوة ضب مثله ودخلتم فيها يعني من لا شك في سقوطه وغباوته ، فتعزى رسول الله (صلعم) بعزاء الله واعرض عن امره بالاعراض عنه وأقبل على ما امره الله به ونصب اساسه واتقى عليه فستره الى ان ظهر من امره كما ذكرنا يوم غدیر خم ما اظهره اذ اكد الله عز وجل ^(١) ذلك عليه وذلك لما قربت نقلته ليقم حجة الله على من خالف امره ، ولما فعل ذلك واعرض عن تخلف عنه زاده الله بشرى كما انزله عليه بقوله تعالى :

وجاء ايضاً في الاصحاح ٢١ من ٦ - ١٠

لانه هكذا قال لي السيد اذهب اقم الحارس ليخبر بما يرى ، فرأى ركاباً أزواج فرسان ، ركاب حير ، ركاب جمال ، فأصغى اصغاء شديداً ثم صرخ كأسد « ايها السيد انا قائم على المرصد دائماً في النهار ، وأنا واقف على الحرس كل الليالي ، وهوذا ركاب من الرجال أزواج من الفرسان ، فأجاب : وقال سقطت سقطت بابل وجميع تماثيل الهتها المنحوتة كسرها إلى الارض .

« إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا »

يعني فتحننا لك ما كان مقفلاً في شريعتك من البيان بإقامة
اساسك لذلك .

« لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ »

يعني ما وليته من البيان « وَمَا تَأَخَّرَ » اي ما تتولاه بعد ذلك .

« وَيُؤْتِيَهُمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ »

اي بظهور القائم من ذريتك في آخر الزمان .

« وَيُهِدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا »

اي يهديك الى نصب من يكون ذلك من ذريته .

« وَيَنْصُرُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا »

يعني انه يظهره على كل امة كما قال تعالى :

« لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ »

يعني بالقائم من ذريته ، ويكون قوله تعالى :

« إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا »

اي اقمنا لك اساساً يفتح عنك وقد ذكرنا فيما تقدم ان ذلك وغيره
من الحدود ربما تعذر اقامته على ولي الزمان فيلي ما لا بد منه بنفسه

وجاء في كلام حيقوق الاصحاح رقم ٣ .

الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران . جلاله غطى السموات والارض امتلأت من تسبيحه .
وكان لمكان كالنور له من يده شعاع وهناك استنار قدرته ، قداده ذهب الوياء وعند رجله خرجت
الحصى . وقف وقاس الارض ، نظر فرجفت الامم ودكت الجبال الدهرية وخفت اكام القدم مسالك
الازل له .

وكان فيما فتح الله من ذلك لرسول الله ما خصه به ثم ارقاه الله الى عالم ملكوته واطلمعه على حدود سمواته وعلمه علم غيبه وفضله بذلك على جميع انبيائه وقربه من الحدود العلوية لديه وذلك قوله تعالى :

«سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»
قوله :

«سُبْحَانَهُ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا»
فسبحان تنزيه الباري جل ذكره عن صفة خلقه وسماة بريته
«وَعَبْدُهُ» هنا محمد (صلعم)

«وَأَسْرَى بِهِ لَيْلًا» اي سار به بالليل واسرى ويسري واحدة في لغة العرب يقولون اسرى فلان بفلان اي سار به ليلاً والسرى السير بالليل والليل في التأويل مثل الستر والكتمان في الباطن يعني عز وجل انه ارقاه وسيره في علم الباطن ما بينه وبين المتم من دوره وهو سادس الائمة والسابع بعده هو الذي تهيأ له وقد ذكرنا ذلك وسنذكر تمام القول فيه في موضعه فيما بعد انشاء الله تعالى ، والمسجد الحرام مثل الناطق في عصره نبياً كان او اماماً ، والمسجد الاقصى مثل للمتم وهو السادس المحظور عليه المفاتيح ، والمسجد الحرام في الظاهر مسجد مكة وفيه البيت الذي يحج اليه والمسجد الاقصى في الظاهر مسجد بيت المقدس وليس يكون حج الا فيه وفيه الطواف بالبيت فعلى ذلك يكون المتم لا يفتح احداً الا حجته الذي يقيمه من بعده ويكون بعده السابع من

الائمة الذي ينتهي اليه الفضل ولذلك جاء في الخبر انه اسرى به من مكة الى بيت المقدس ومعنى ذلك انه ارقى في العلم فيما بينه وبين متم الدور السابق وجمع له من العلم والحكمة ما يكون فيهم مما تجري عليه امورهم وكيف تكون حدودهم على ما رآه من الحدود العلوية التي رآها بنفسه القدسية ومن ذلك قول الله عز وجل :

(مَا كَذَّبَ أَفْوَادُ مَا رَأَى ، أَفْتَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى وَأَقْدَرَاهُ
زِلَّةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى)
الى قوله :

(مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ
الْكُبْرَى)

يعني بذلك كله الحدود العلوية رآها بالبصر الذي لم يزغ وهو يضر النفس الصافية من الكدر ، ولذلك روي عن بعض ازواجه انها قالت ليلة اسرى به « والله ما بات الا بين سحري ونحري » وقيل في الخبر انه لما بلغ بيت المقدس اتاه جبريل بمركوب دون البعير وفوق الدابة يسمى البراق فركبه وذلك في التأويل هو العلم البارق المغني الذي هو البيان وفوق علم اللاحق ودون علم الامام وركوبه اياه استيلاءه عليه وصعوده الى السماء في التأويل اطلاعه على ملكوتها وعلم ما فيها ومن ذلك قوله تعالى في قصة ابراهيم عليه السلام ،

(وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلَيْكُونَ مِنَ الْمَوْقِينَ)

وجاء في الخبر ايضاً انه صلى بجميع الانبياء ، وصلى بهم في الباطن

دعوته لجميع الأمم وأنه بعث إلى جميعهم كما ذكرنا وغيره من الأنبياء إنما بعث إلى قوم معينين وقوله :

(لَنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا)

فمن آيات الله عز وجل التي أراه سبحانه أيها هي حدوده التي أقامها بينه وبين ابنائه وملائكته فرأى آية كبيرة منهم وذلك قوله تعالى :

(لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)

وقوله تعالى :

(شَدِيدِ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ،
ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ
مَا أَوْحَى ، مَا كَذَّبَ الْفَوَادُ مَا رَأَى ، أَفَتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ،
وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، عِنْدَهَا جَنَّةُ
الْمَأْوَى ، إِذْ يَنْفَعُ السِّدْرَةَ مَا يَنْفَعُ ، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا
طَفَى ، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)

يعني بذلك كله الحدود العلوية التي رآها بعين قلبه الصافية البصيرة وسمع بأذنه السمعية وذلك قوله تعالى :

(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)

وقوله :

(إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى)

وقد ذكرنا أنه مثل المتم المحظور عليه وقوله :

(الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ)

فالبركة هي التأييد والمفاتيحة فكان ذلك فيمن كان قبله ومن بعده
وقوله :

(لِنُرِيهِ مِنْ آيَاتِنَا)

وذلك انه اطلعه على الحدود العلوية ونصب بازائها حدود سفلية
فأفضى (عليه السلام) وآله من ذلك العلم الذي أوتي به الى اساسه بما يجب ان
يفضي به اليه وعلمه اياه ثم عهد اليه ان يؤدي من ذلك الى من يفضي
اليه بسره ويقيمه من بعده مما يجب لمثله وان ينقله كذلك من واحد الى
واحد ، وكذلك علم ظاهر الشريعة وامره ان يؤديه عنه الى العباد وما
يحتاجه منه ثم قال وهو اصدق القائلين .

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا
إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ)

يعني بالمؤمنين ههنا الائمة والسكينة التأييد الذي به تسكن القلوب
بمعرفة الحق فتغرف ما تصر عليه اذا هديت بالتأييد اليه ، والمؤمن في
اللغة المصدق ، قال الله عز وجل حكاية عن اخوة يوسف عليه السلام .

(وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)

اي لست بمصدق لنا ولو صدقنا فهذا اسم يقع على كل مصدق ، قال
الله عز وجل .

(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ
بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ)
وقال حكاية عن موسى عليه السلام :

(سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ فَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ)

فيقال للنبي عليه السلام مؤمن لأنه آمن بالله وللإمام مؤمن لأنه آمن بالله وبالنبي والمؤمن مؤمن لأنه آمن بالله وبالرسول وبولي الزمان أي صدق بهم ، ومن ذلك قول الله تعالى في الأئمة :

(وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ)

فالشهداء الأئمة والصادقون هم أيضاً ومن ذلك قول الله عز وجل :

(وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)

وقوله تعالى :

(فَكَيفَ إِذَا جِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا)

وقوله :

(أَيُّهَا الصَّادِقُ) وقول رسول الله صلى الله عليه وآله :

« اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » يعني الامام وقوله :

(لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ)

يعني بما انزله من السكينة ^(١) في قلوبهم في حين انتهى امر الامامة اليهم.

(وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُؤْمِنِينَ فَازِدَادُوا إِيمَانًا)

مع درجة الامامة .

وقوله تعالى :

(وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

(١) في نسخة (س) وردت (للسكون)

فجنود السموات هم الحدود العلوية وجنود الارض هم الحدود السفلية
ومن ذلك قوله تعالى :

(وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)

وقيل لهم جند يذهبهم عن حرمان^(١) الله بأيديهم والسنتهم وما
يزرعونه من العلم والحكمة في العالم كما يذب الجنود عنهم منه ومن يقيمهم
للذب عنه ثم قال تعالى :

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا)

يعني شاهداً على من هو في عصره من الخلق فمن اجابك منهم كنت
شاهداً له ومن لم يجيبك كنت شاهداً عليه وذلك قوله تعالى :

(فَكَفَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ أَوْ جِئْنَا بِكَ عَلَى
هَؤُلَاءِ شَهِيدًا)

ثم قال .

(وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)

يعني انه بشر بالأساس والائمة من ذريته من قبل منهم .

(وَنَذِيرًا) فنذر بالقائم من ذريته وما يحل بالعصاة منه من عامل

العقوبة ومن اجلها في الآخرة ثم قال :

(لَتُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)

اي ارسلنا هذا الرسول لتؤمنوا بما جاءكم به عن ربه .

(وَتُقَرَّرُوهُ وَتُؤْفَرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا)

(١) في نسخة (هـ) وردت (صدمات)

يعني تعظموا الله وتحملوه وتسبحوه في حد الظاهر بالقول والاعتقاد وفي حد الحقيقة بالعلم واليقين لتوحدوه حق توحيده من الروحانيين والجسمانيين من خلقه ، ثم ذكر ما امر فيه من البيعة وأخذ العهد والميثاق الذي جرت به سنته في الأولين والآخرين وأمر بذلك رسوله ان يحريه في شريعته فقال تعالى .

(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ
فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ
فَسِيؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)

يقول من اخذت عليه البيعة والعهد والميثاق واخذ ذلك عليه فانما يبايع الله الذي امرك ان تفعله .

(يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)

يعني حين عقد البيعة وحين اعطاء الصفة بالمصافحة لان يد الآخذ ذلك بامر الله هي يد الله الذي وضعه بذلك الموضع وأقامه له على سبيل الاضافة كما يقول القائل في لسان العرب لمن يقيمه ناظراً له هو عيني ولمن يقيمه ليستمع له هو اذني ولمن يقيمه ليأخذ ويعطي هو يدي ولمن يدافع عنه هو سيفي ورمحي واشباه ذلك . فخطب الله عز وجل العرب في ذلك بلسانها الذي تفهم به ما تسمعه من الخطاب ، وقوله :

(فَمَنْ نَكَثَ) اي هذه البيعة وأصل عقدها وابرامها فانما ذلك عليه لا عليك لانه هو المعاقب بذلك الفعل « ومن أوفى بما هو عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » اي يثيبه ثواباً كبيراً وعجل له ما عجله وأجل له ما أجله ، ثم قال جل جلاله :

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى
الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)

يعني انه هو عز وجل ارسل محمد (ﷺ) بالهدى وهو البيان الذي
يهتدي به المؤمنون الى الحق (وَدِينِ الْحَقِّ) يعني به بما شرعه من
شريعته « ليظهره » يقول ليعليه بالغلبة ^(١) على كل دين ، والظهور والغلبة
والقهر يقال منه ظهرنا على العدو واطهرنا الله عز وجل ، وقد أظهره
سبحانه على كل دين من الاديان وقام وعده يكون بظهور القائم في آخر
الزمان من ولده القائم بشريعته يظهره الله عز وجل على كل دين وكل
امة وتعلو كلمته ويملك اهل كل شريعة وملة بالقهر والغلبة ومن ذلك
قوله تعالى :

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ إِنَّ الْأَرْضَ يَدْرُهَا
عِبَادِي الصَّالِحُونَ ، إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ)
وقوله تعالى :

(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ
الْأَشْهَادُ)

وقال تعالى :

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
بَيْنَهُمْ)

فالذين معه هم الذين اتبعوه بالحقيقة وآمنوا به وصدقوه بظاهره وباطنه

(١) في نسخة (هـ) وردت (بالغلبة)

وقاموا بأمره في حياته وبعد مماته من اسبابه الذين كانوا في عصره والائمة من بعده منهم معه باتباعهم اياه وتمسكهم بأمره واتصالهم به لأنهم في نظام واحد معه ، فهم جل الله المتصل طرفه بيد الله وطرفه بيد العباد كما وصفه رسول الله (صلعم) فالرسول هو اول حد من الحبل في العالم السفلي والاساس متصل به والائمة يتصلون بالاساس واحد بعد واحد والطرف الادنى الذي هو بيد العباد امام كل زمان في زمانه فمن تمسك به فقد تمسك بحبل الله ، وكل واحد منهم في زمانه هو العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، كالسلسلة كل عروة منها متصلة ^(١) بالآخرى فمن تمسك بأدناها فقد تمسك بها كلها وبعضها مع بعض وذلك قول الله عز وجل :

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ)

هم الائمة وقد بينا في غير موضع ان اسم الايمان يقع على الرسل والاسس والائمة وجميع المؤمنين المتصلين بهم ، اتصال جاري ما بقي الزمان لا تنقطع شريعته ولا تنسخ ولا تبدل ولا تنقطع إلا بانقطاع الدنيا ، ثم يصير المتمسكون بها حقيقة التمسك الى ان يقيم الآخرة الابدية ^(٢) فيوصل لهم خير الدنيا بخير الآخرة . وقد قال المشركون ان محمد لا ولد له فيخلفه وقد انقطع امره بموته فقد أخبر الله عز وجل بما يكون من بقاء شريعته في خلقه واثمته وقيامهم بأمر امته ومن يتصل بهم من اسبابهم ووصفهم فقال سبحانه :

(رَحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ) يعني اسبابهم المتصلين بهم .

(١) في نسخة (هـ) وردت (متصلة)

(٢) في نسخة (هـ) وردت (البدية)

(تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا) اي خاضعين للناطق وحجته .
(يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سَيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ
أَثَرِ السُّجُودِ)
يعني بذلك طاعة الائمة .

(ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ)
اي في الظاهر الذي يقومون لأمتهم بالاذعان والطاعة والاخلاص لهم
ثم قال :

(وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ)
اي في :

(كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ)
وشطأ الزرع في لغة العرب فراخه التي تنبت من اصله يقال شطأ
الزرع او فرخ ، يعني اذا قام منهم قائم فينشئ منهم من يخلفه .
(فَأَزْرَهُ) يعني صار وزيراً له وحجة (فَأَسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى)
بالتأييد (عَلَى سُوقِهِ) والسوق جمع ساق يعني اذا أقام لواحقه واسبابه
واستوى عليهم في رفيع الرتبة بالتأييد .
« يَعْجَبُ الزَّرَّاعُ » يعني اللواحق والدعاة الذين يزرعون الحكمة في
قلوب المؤمنين .

(لِيُعْظِظَ الْكُفَّارَ) اي ليغيظ بهم الكفار الذين توهوا ان محمداً^(١)
(صلعم) ينقطع امره بما رأوه فيمن شاهدوه بينهم وأيقنوا باتصال امره

(١) في نسخة (هـ) وردت (محمد)

ومن تولاهم وقال قولهم في كل زمان بما يشاهدون منهم .

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

يعني به جميعهم .

(مَغْفَرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)

يعني ما ينيلهم من ثواب العاجل والآجل ، ومن ذلك قوله تعالى :

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ، إِنَّ شَانِئَكَ

هُوَ الْأَبْتَرُ)

قيل ان عمر بن العاص قال لكفار قريش اصبروا على ما انتم عليه فان محمداً لا ولد له فان مات انقطع ذكره وأمره ، فبلغ ذلك رسول الله (صلعم) عنه فغمه ذلك فأنزل الله عز وجل عليه هذه السورة والكوثر قيل في التفسير انه نهر في الجنة ومثل النهر العظيم وهو ما اعطاه الله عز وجل اياه من علم التأويل الباطن .

(فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)

اي اقم الدعوة لله باطناً وهي باطن الصلاة واقمها في الظاهر ولا الظاهر دون الباطن «وانحَرْ» اي خذ عهد الاساسية على اساسك ونصبه للبيان تتصل ذريتك الباطنة ويكثر المستجيبين لدعوتك وينبتر (١) امر شانتك وقائل ذلك فيك فكان كما وعد الله جل ذكره ، والنحر انما يكون للجمال وهي امثال الائمة والذبح للغنم وهي امثال المؤمنين والبقرة امثال الحجج ، فضرب مثل اساس ابراهيم بالكبش واساس موسى بالبقرة واساس محمد بالبعير وذلك الذي ذكره من قول ابراهيم لاساسه اسماعيل

(١) في نسخة (س) وردت (و ينبر) .

(إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ إِنِّي أَذْبَحُكَ)

انما كان ذلك في اخذ العهد عليه اولاً ، والذي حكى عن قول موسى لقومه :

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً)

انما هو اقامة الحجة وقد ذكرناه ، وامر محمد (صلعم) بالنحر اي امره بأخذ عهد الاساسية على علي صلوات الله عليه ، وأما قوله :

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)

عنى به شرح الظاهر الذي كان في حده باقامة اساسه لشرحه .

(وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ)

يعني ما كنت تحمله من الظاهر بلا بيان .

(أَلَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ)

يعني اثقلك بما كنت تؤدي منه الى المستجيبين من غير بيان .

(وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)

من الملاء الاعلى بما تذكر فيه .

(فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)

يقول مع التنزيل الظاهر بيان باطن يوضحه وييسره لمن عسر عليه امره بالبيان الذي هو التأويل .

(إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)

يقول ان مع الدعوة الظاهرة دعوة باطنه فيها تبيان وتيسير .

(فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ)

يقول انصب نفسك واجهدا في نصب الاساس وإقامة دعوة الباطن .

(وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ)

يعني ارجب اليه واسأله المعونة على ذلك واقبال المستجيبين عليه ،
ومما رمزه عز وجل من الدعاء اليه قوله سبحانه .

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ)

يقول ادع الى اساسك الذي نصبته ^(١) واقتسه بأمر ربك وجعلته
طريقاً يقصد اليه من قبله بالحكمة التي اودعته اياها وهي البيان .

(وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ)

وذلك ما يعظ به من لم يقبل عليه وصرف عن امره وعدل عنه
رغبة منه الى غيره اذ رأى انه أهل لذلك دونه .

(وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)

يقول ناظرهم وحاججهم في اي السبيلين احسن التي اقمتموها لهم ام
التي ارادوها .

(إِنَّ رَبَّكَ أَعْلَمُ | بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ)

يعني من عدل عن أقمته .

(وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) اليه المسلمين لامره .

ومن ذلك قوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً

إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً)

(١) في نسخة (هـ) وردت (وناصبته)

فظاهر هذا القول انه ارسله شاهداً على امته الذين شاهدتم وكانوا في عصره بما كان منهم من طاعة ومعصية وكفر وايمان بظاهر ما جاءهم به وبباطنه وطاعة من امرهم بطاعته ومن عصى منهم امره «وَبَشِّرِ» بشر المطيعين منهم بثوابه «وَنَذِرِ» ينذر العصاة منهم بعقابه (١) .

(وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ)

اي يأمره بدعوة الناس الى طاعته والقيام بأمره

«وَسِرَاجًا مُنِيرًا» يعني انه يهدي به في ظلم الجهل ويبصر بالسراج في ظلمة الليل وباطن ذلك انه بين له هذه الآية عدد من ينصبه من دونه للأمة على مراتبهم ، الشاهد عنى به الناطق وهو الرسول (صلعم) في عصره وامام كل زمان من بعده يكون في تلك المرتبة شاهداً على اهل زمانه «وَالْمُبَشِّرُ» الاساس في عصر الرسول والحجة في عصر الامام في تلك المرتبة يبشر من استجاب لدعوته وقبل تأويله واهتدى به وعمل بما يؤمر به ظاهراً وباطناً بالفوز والنجاة والغبطة في دنياه وآخرته .

«وَالنَّذِيرُ» اللاحق من الحجج في كل جزيرة كل واحد منهم في هذه المرتبة ينذر اهل جزيرته بمن يقيمه فيها من الدعاة من عذاب الله لمن يتخلف عن الاستجابة اليها ويكون المتم هو سادس الائمة من المحطور عليه ان يفتح احداً غير حجته الذي يكون سابع الائمة من بعده فينذر اهل زمانه بإقامته إياه ما يتوقع بانتهاء الفضل اليه وكال الأمر فيه من ان يكون تمام الامر على يديه ليسارعوا اليه «وَالدَّاعِي» هو

(١) في نسخة (هـ) وردت (بعاقبته)

الذي يطلق له الدعوة صاحب كل جزيرة وهم الدعاة وكل واحد منهم في هذه المرتبة .

(وَالسِّرَاجُ الْمُنِيرُ) هو المأذون الذي يطلقه الداعي ليكسر له من يرى كسره ويبين له السبيل اليه فشبهه بالسراج الذي يهتدي به في الظلمة الى موضع الحاجة فهذه الحدود الخمسة السفلية التي امر الله عز وجل نصبها في الارض لعباده بإزاء الخمسة الحدود العلوية التي هي في السماء وقد تقدم القول في صدر هذا الكتاب بذكرها ، فإذا كملت في عصر نبي او امام وساعده الزمان واطاعته الامة ووجد فيها من يصلح لهذه المراتب فقد تم أمره واذا وجد ايضاً وتهاً له ان يقيم في كل جزيرة من جزائر الارض وهي اثني عشر جزيرة لاحقاً وفي كل اقليم من الدعاة والمأذونين عدة ما حدد من ذلك وسوف يأتي ذكره في مكانه او يزيد على ذلك العدد الى ان يستجيب اهل الارض بأسرهم ^(١) للسابع في آخر دور سابع الائمة من ذرية رسول الله طوعاً او كرهاً بالقهر والغلبة ويكون الدين كما قال الله عز وجل كله لله ويتم وعده لمحمد (ﷺ) بظهور دينه على الدين كله ولو كره المشركون اي المصدون على ما كانوا عليه حتى يتغلب عليهم ويدخلوا تحت حكم صاحب ذلك الزمان ويجري الامر فيهم على ما سنذكره اذا انتهينا الى موضعه انشاء الله تعالى .

وربما لم يتهاً للناطق في عصره اقامة هذه الحدود فيقيم ما تهاً له وأمكنه منها بمساعدة الزمان له وما يجري به الله عز وجل من الفضل ، للعباد في اي عصر وزمان اراد ان يجري ذلك فيه كما يرسل الغيث اذا

(١) في نسخة (هـ) وردت (بأسرها)

شاء ويخضب الارض مرة ويحد بها اخرى ويوجد الخيرات حيناً ويعدمها حيناً بالشدة مرة وبالرضاء اخرى ، وانما كل ذلك فضلاً من الله على العباد يؤتيهم اياه اذا شاء وعقوبة لبعضهم ومحنة ومثوبة لآخرين منهم اذا اجرى ذلك عليهم فاما اولياء الله في كل عصر في شدة ورخاء او نعمة او بلاء فلهم من الفضل ما جعل الله عز وجل لهم لا ينقصهم اعراض العباد عنهم إذا عرضوا عنهم شيئاً ولا يزيدهم اقبالهم عليه ، ولكنهم يحبون لما جبلهم الله عليه من الفضل والرافة والرحمة للعباد ان يقبلوا على ما فيه سعادتهم ^(١) وصلاحهم وان يتم بذلك امرهم ويسمعون في ذلك ويبذلون فيه من انفسهم ما يرجون به ثواب الله فيما استخدمهم الله عز وجل ، ومن صلاحهم فهم يذيبون انفسهم ويستهلكون اجسامهم ويبلغون منه غاية ما يستطيعون حسب ما كلفوه وامروا به واستخدموا فيه من ذلك قول رسول الله (ﷺ) لعلي « لان يهدي الله بك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس او غربت » وفي كلام آخر « خير لك من حمر النعم » ومما امر الله عز وجل المؤمنين بظاهر شريعة محمد اي صدقوه فيه وآمنوا برسالته يقول لهم « اعملوا اذا صدقتم بالظاهر ما امرتم بالعمل به واقيموه » ومن قوله تعالى :

« أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ »

يعني الظاهر منها والباطن .

« وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ »

يعني من ظاهر الاموال ما وجب فيها ومن الباطن ما هو علم

(١) في نسخة (هـ) وردت (و اصلاحهم) .

ينبغي العمل به وتعليمه لمن يجب ان يعلمه فهذه صفة المتقين وهي جملة تجمع جميع الفرائض في الظاهر والباطن ووصفهم الله عز وجل بها فحيث ما امر الله عز وجل في كتابه بالتقوى فهي التي اراد بذلك ، وذلك من الايجاز الذي هو من شأن العرب الذين خوطبوا بالقرآن بلغتهم ، قوله ههنا للمؤمنين بظاهر الرسول اتقوا الله بجميع ذلك كله وقوله «وَأَمَّنُوا بِرَسُولِهِ» يقول صدقوه ^(١) بما جاء من الباطن وخذوه عن الذي اقامه لتأديته كما اخذتم عنه ما قام به لكم من الظاهر واعملوا بواجبات ذلك واعتقدوا مثل ما علمتم واعتقدتم من واجبات الظاهر .

«يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ»

اي نصيبين من ثوابه نصيب لايمانكم وعملكم بالظاهر ونصيب مثل ذلك للباطن .

«وَنَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ»

اي علماً وادلة ^(٢) تهتدون بهم .

«وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»

والغفران الستر اي ليستر عليكم برحمته من عذابه ويوفقكم لستر ما أمرتم ستره ليجب لكم ثوابه ، ومما يؤكد على العباد من ذلك قوله تعالى:

«وَإِذَا نُنَادِيَنَّ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولُهُ يَوْمَ الْحِجِّ الْأَكْبَرِ إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ قَوْلَيْتُمْ فَأَعْلَمُوا

(١) في نسخة (هـ) وردت (اصدقوه) .

(٢) في نسخة (هـ) وردت (واضلة) .

أَنْكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
 وكان هذا في الظاهر انذار في عصر رسول الله للشركين به وجاء
 في الخبر ان رسول الله (ﷺ) امر أبي بكر أن يخرج الى مكة وقت الموسم
 فينذرهم به وكتب له سورة براءة وتوجه بها فانزل الله عز وجل عليه انه
 لا يؤدي عنك الا من هو منك وهو الشاهد بعده كما قال تعالى :

« أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ »

وقوله :

« وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ »

يعني علياً عليه السلام فأمره فلحق به واخذ الكتاب منه وبلغ عنه
 كما امره الله جل ذكره وهذا في الباطن يجري كذلك كما يجري الليل
 والنهار والشمس والقمر وكل ما في كتاب الله من امر ونهي ووعد ووعيد
 وخير وغير ذلك لان القرآن قائم والخلائق متعبدون بما فيه ولو ان كل
 آية نزلت في القرآن بحق رجل او قوم او شيء بعينه او خطوب بها من
 كان في عصر الرسول لذهب حكمها بذهاب اولئك وسقط فرضها وذهب
 مثلها وذهب القرآن كله ولكنه يدور في كل دور من الزمان وعلى كل
 قرن من القرون كما تدور الشمس والقمر ويجري فيهم كما يجري الليل
 والنهار وقد خطوب بها من كان في الوقت بالفرائض من اقامة الصلاة
 وإيتاء (١) الزكاة وغير ذلك فكانت تلك المخاطبة جارية لهم ولمن يأتي من
 بعدهم الى ان تقوم الساعة وتلك الفروض لازمة لهم وكذلك كل شيء فيه
 فقولُه ههنا .

(١) في نسخة (هـ) وردت (وايتان)

« وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ »

اخبار واعلام كما يخبر المؤذن ويعلم بوقت الصلاة ، وكما قال الله عز وجل

« قَدْ أَذِنْتُكُمْ عَلَى سُوءٍ »

وقوله :

« إِلَى النَّاسِ »

يعني في الباطن المأنوسين بالحكمة ، وهم المؤمنون والمستجيبون اي
اخبارهم انه ورسوله قد برئا من المشركين وهم كل من اشرك بأولياء الله او
اخذ ولياً من غيرهم .

« وَيَوْمَ الْحِجِّ الْأَكْبَرِ »

عنى به الناطق والآذان هنا التأييد من الجاري اليه ومن قبله هو الى
اساسه ومن قبل الاساس الى حدوده ومن قبل الحدود الى المستجيبين على
مراتبهم ومقادير ما لكل واحد منهم عنه ، والحج الاصفر الامام فأراد
عز وجل بهذا الآذان اخبار جميع الناس الذين هم آيته في وقت ذلك
ومن يأتي من بعدهم في دور محمد (صلعم) من اهل شريعته من أولهم الى
آخرهم تحذيراً لهم من الشرك به وبأوليائه ما دق منه وما جل ، وقد
ذكرنا فيما تقدم في حدود المعرفة وجوها منه وقول علي صلوات الله عليه
ان من الشرك ما هو اخفى من الذرة السوداء على المسح الاسود في
الليلة الظلماء .

وجملة القول في ذلك ان يعتقد احد من الناس لأحد منهم شيئاً لم
يجعله الله له او ان يحدد شيئاً مما جعله الله له او يأخذ شيء من دينه

من احد لا ينصبه الله عز وجل او يعرض عن نصبه لذلك وكل ذلك من
الشرك .

واعطاء كل ذي حق حقه من ذلك والاخذ عن امر بالأخذ عنه من
توحيد الله جل ذكره وقد ذكرنا جملا ونكتاً ^(١) من قصص محمد رسول
الله (صلعم) وجملة من القول في مبعثه وأصل الواجب في شريعته
مما في كتاب الله جل ذكره ولو تقصينا كل ما في القرآن من ذلك لخرج
عن حد هذا الكتاب وانما بسطنا كما ذكرنا اساساً لتأويل ما بسطناه في
كتاب « دعائم الاسلام » فلما صرنا الى باب الامامة رأينا ان نشبع القول
قليلاً فيها ونذكر اصلها وفرعها فجننا بذكر ذلك من لدن آدم الى محمد
صلوات الله عليهم فطال وان كنا اختصرنا واجملنا القول فيه وسنذكر
انشاء الله كل في القرآن من هذا او غيره في ذلك من حدود المعرفة بعون
الله وتأنيده وتوقيفه وتسديده ومادته المتصلة بأوليائه الجارية منهم مقاديرها
في عبادته .

ولما اقام محمد (صلعم) شريعته وجملة ما امره الله به ان يقيمه
وقربت نقلته واشهر كما ذكرنا امته على استخلاف وصيه واقامه فيهم مقامه
واخبرهم انه مولى من هو مولاه منهم انزل الله عز وجل .

« أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » .

فأجاب رسول الله من اجاب وعند من عند فأنزل الله عز وجل .

« إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحِ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ

(١) في نسخة (هـ) وردت (ونكتاً) .

اللَّهُ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا .

فعنى بذلك اليه نفسه واخبره عن قرب نقلته (١) لما أقام ما اقام من شريعته ونصب من نصبه بامر لامتة للقيام مقامه من بعده وذلك قوله:

« إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ .

وهذا ما نصره به وعاضده بأقامة اساسه ووزيره واخيه علي بن ابي طالب صلوات الله عليه وما فتح الله له به وعلى يديه من ظاهر الفتح بيده وسيفه وباطنه بلسانه وعلمه الذي اودعه اياه بأمر ربه من تأويل شريعته وبيان تأويل ما جاء به واستضلاعه بذلك وقيامه بالواجب فيه عليه فأراه الله عز وجل من ذلك ما قرت عينه به وطابت له نفسه واستقر له قلبه اذ انه رأى في حياته خليفة من بعده كما رأى ذلك من قبله من اخوانه من النبيين وائمتهم ويراها كذلك من ائمة الى آخرهم فتلك مواهب الله عز وجل لأوليائه في حياتهم ولا يضرهم ولا يحزنهم كما ذكرنا اعراض من أعرض عنهم وعن يقيمونه من بعدهم ولا ينقص ذلك من فضلهم وان كانوا يحييون كما ذكرنا لما جلبوا عليه من الفضل ان تنال امة كل منهم رحمة الله به وعلى يديه ، وقوله تعالى :

« فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ » .

يقول : نزه يا محمد حق الحمد على ما وهب لك واعطاك ومنحك عن سمات خلقه ولا تشرك في ذلك واحد غيره فترى ان الاحد من الحدود العلوية فيما بينك وبينه ذلك ما تفضل به عليه عليك واخلص الحمد والشكر بذلك الاعتراف بانه من قبله من غير ان تجحد حق ذي حق

(١) في نسخة (هـ) وردت (نقله)

منهم او تنقص واجبه كما ذكرنا في حد التوحيد ان ذلك من الشرك
 «وَأَسْتَغْفِرُهُ» اي سله سترك برحمته وستر ما امرت بستره في شريعتك
 « إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا »

اي على من فعل ذلك واخلص له لوجهه ، ثم قبضه الله عزوجل
 لما اراد من كرامته ونزل الى دار امنه ومثوبته على ما قام به صلى الله
 عليه وآله وسلم .

ولما دنت نقلة محمد (ﷺ) امره الله عز وجل بالنص على وصيه علي بن
 ابي طالب تخوف من الناس ومن نفاق حججه من بعده فضاق صدره
 بذلك فأوصى الله عز وجل اليه قوله .

« يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ » .
 (في علي) .

« وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » .
 وكان ذلك عند انصرافه من حجة الوداع فلما صار بفدير خم امر ان
 يرد من سبق ونزل وامر بدوحات فقمن له ونصب له احجاراً كهيئة
 المنبر ^(١) وجمع لواحقه ودعاته ومستجيبين دعوته ونص على امير
 المؤمنين وصيه صلوات الله عليهما وأقامه الى جانبه ثم قال بعد ان احمد
 الله واثنى عليه : « ألسنت أولى بكم من انفسكم » قالوا: بلى يا رسول الله ،
 قال اللهم اشهد على قرارهم ثم قال ثانيه: السنت أولى بكم من انفسكم، قالوا:
 بلى يا رسول الله ، قال : اللهم اشهد، ثم اعادها ثالثة ، قالوا: بلى يا رسول
 الله ، قال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعاعوي من

(١) في نسخة (هـ) وردت (المنبر)

عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه حيث دار ،
وسلم اليه كتبه وسلاحه ومواريت الانبياء كفعل من تقدمه منهم ، فداخل
حججه الحسد كما داخل ابليس الحسد لآدم وتبع ابليس كثير من الملائكة
كما قال تعالى :

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ،
قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ
بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ، وَعَلَّمَ آدَمَ
الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ
أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
وَمَا كُنْتُمْ تُكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ)

فأمر الله الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا بعد ما اظهروه من الخلاف
والاحتجاج على ربهم وأقام ابليس على طغيانه وعصيانته ومحاجة (١) ربه
وتعصبه لعنصره وافتخر على آدم بالاستكبار والانتساب الى مازج من
النار فقال :

(أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)

(١) في نسخة (س) وردت (ومحنة)

فأخرجه الله عز وجل بفعله من الجنة ذمياً وجعله بعصيانهِ شيطاناً رجياً فقال تعالى وصفاً لدرجته وخطأ لمرتبته .

(أَخْرِجْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ)

فأصفره بتكبره ووضعه بتجبره وكان آدم لم يدر بعد من يجعل وصيه وخليفته من بعده فأمر الله عز وجل بأن يأمر قابيل وهابيل ان يقربا قربانا فمن قبل قربانه فهو وصيه كما قال تعالى :

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَمَثَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ، قَالَ : لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَمَثَّلُ اللَّهُ مِنَ التَّائِبِينَ ، لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لَتَفْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيَّ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ وَ... فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ، فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ)

وبالغ ابليس في عصيانهِ واكده ولزم في طغيانهِ وكذلك تداخل لواحق محمد (صلعم) ما تداخل الملائكة لان اللواحق ملائكة بالقوة فاذا ما فارقوا هذا العالم الجسماني وانتقلوا الى العالم الروحاني صارو فيه ملائكة بالفعل لانهم بالأعمال ارتقوا الى عالم البقاء ، واعمالهم اقامتهم الدعوة ونشر البيان في اهلها .

ولما عقد (محمد) (صلعم) على وصيه بأمره المؤمنين وسلم اليه مواريث الانبياء بحضرة لواحقه حسده من حسده كما ذكرنا من حسد ابليس

والملائكة لآدم عليه السلام ، وكحسد قابيل لأخيه هابيل عليه السلام
وقتله إياه ، فقال لواحق محمد (صلعم) بعضهم الى بعض ان محمد فعل
هذا مع علي لموضع قرابته منه قبلغه ذلك فأنزل الله عليه :

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَهِدٌ
مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرَ ^(١) إِنْ اللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)

تأويل ذلك قل أرايتم بأصحاب محمد وحججه ان كان نصب هذا
الوصي من عند الله بأمره وكفرتم به يعني سترتم منزلته التي اجتباها الله
له واختارها وقد شهد موسى على مثله فأمر بني اسرائيل فأقروا بمن
استخلفه عليهم ثم تداخلهم الحسد واتخذوا عجلاً جسداً له خوار والخوار
ما لا حقيقة له ولا يثبت في العقول ، ولما غاب رسول الله ستروا مرتبة اساسه
صلوات الله عليه وكنتموا نص الرسول وبيعته التي بايعوه بغدير خم
واتبعوا ابليس وقابيل والسامري حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وجلسوا
مجلسه وتسموا باسمه وادعوا منزلته من الخلافة وامرة المؤمنين وتعلقوا بالظاهر
وصرفوه فأقام الاساس صلوات الله عليه عليهم الحجة بالقرآن الذي نزل
على محمد (ﷺ) لما جمعه وجاءهم به فقالوا حسبنا ما معنا من كتاب
الله ولا حاجة لنا الى ما معك فأخذه وانصرف عنهم ولم يجد له ناصرأ
ولا معينأ واشتدت عليه الهنة وكثر اذام له حتى هموا بقتله في صلاته
لان الضد الاول امر خالد بن الوليد اذا صلى عليه السلام معهم في الصف
الاول وقال له اذا سلمت فاضرب عليأ وهو في الصلاة في تسبيحه فاقتله
وتكون فيها سيدأ فلما صلى تفكر في قوة بني هاشم وقال ربما لا يتم

(١) في نسخة (هـ) وردت (واستكبر)

لخالد قتله فيختلف عليه الناس ويرجعوا عن بيعته فيقتل ، فأطال جلوسه قبل التسليم حتى كادت ان تطلع فعندئذ قال : لا يفعل خالد ما أمرته به برفيع صوته ثم سلم فقال علي صلوات الله عليه لخالد ويلك او كنت تفعلها ومد يده الى طوقه ومسكه فما قدر احد على خلاصه من يده حتى أقسموا عليه بمحمد (ﷺ) فأقسموا عليه فخلاه من يده وكثرت محنته حتى مضى الضد الاول وهم مع ذلك يأتون في جميع ما ينزل بهم من المعضلات ^(١) والحكم فيجدون عنده فرجاً ومخرجاً ولم يسكن عن جهاده حتى اقام حججه وانتشرت دعوته وصار له دار هجرة كما فعل رسول الله (ﷺ) وصبره على اذى المشركين ففعل وصيه كفعله وصبر كصبره حتى صارت له دار هجرة واقام حدوده في الباطن وجرّد سيف التأويل وقتل الناكثين والقاسطين والمارقين واتصل بالحدود العلوية وهو عالم العقل الرباني عالم اللذة والبقاء والسعادة الاولى ، وأقام أساسه من دونه على مقابلة التالي في عالم النفس فبالتالي تظهر كلمة السابق في عالم النفس الروحاني وبنور عالم البقاء واللذة يعيشون ولا يموتون لان موادهم من بقاء هو العقل الكلي بواسطة التالي في عالم النفس الروحاني وكذلك في عالم التركيب لا يصل أحد من الجسائين الى معرفة حقائق بمثولات الشريعة ورموزها ومحكم تأويل ذلك إلا دعوة الاساس الباطنة التي هي على مقابلة العالم الروحاني ، ومنها يرقى الى عالم النفس الروحاني ، فكان الناطق مثلاً على العقل الكلي في عالم الترتيب ^(٢) والاساس مثلاً على النفس الكلية الناطق بحكمة التأويل لبيان فضل الناطق وما يدل عليه ، والامام نتاج بين الناطق والاساس مثل الفكرة التي هي نتاج العقل والنفس ، فالفكر

(١) وردت في نسخة (هـ) (المضلات) .

(٢) وردت في نسخة (س) (التريية)

يظهر فضائل العقل وعالم الربوبية ويظهر فضائل النفس واخلاقها في العالم الروحاني بغير فناء كذلك الامام عليه السلام يظهر فضائل الناطق ويكشف رموزه ومثولاته في ظاهر تنزيله وشريعته ويقوم بتأويل دعوة الاساس وبواطن حكته ، ولما غاب الناطق وارتقى الى العالم الروحاني ارتقى أساسه الى درجته وورث منزلته فأقام نفسه مقام السابق واقام الامام المستودع دونه مقام التالي في عالم النفس ، ولما غاب الاساس سلام الله عليه ارتقى المتم^(١) الى درجة الاساسية واقام الامام ودل عليه وسلم اليه ما كان له في يده من الوديعة من موارث الانبياء والائمة وغاب المتم وارتقى الامام عليه السلام الى منزلة الناطق وقابل منزلة السابق فكان هو عقل جميع ما في عالم التركيب وأقام الحجة من دونه بالبيان عنه على مقابلة التالي في عالم النفس وأقام الحجة صاحب جزيرة الدعوة من دونه كإقامة التالي الناطق ودعوته الى السابق بواسطة التالي وكذلك منزلة الداعي من الحجة صاحب جزيرة الدعوة كمنزلة الناطق من النفس الى الاساس من الناطق ومنزلة الحجة من الامام كمنزلة النفس من العقل الكلي وقد دلّ الرسول (صلم) على منزلة وصيه وخليفته فقال « انا مدينة العلم وعلي بابها » فدلّ ظاهر قوله انه لا يدعي أحد من حدود الناطق واصوله الى حكمة التنزيل والشريعة إلا من جهة وصيه الذي هو باب المدينة والمدينة في التأويل ما يدين العالم به من ظاهر التنزيل والمثولات التي جعلها الناطق كالحصن للمدينة فلا يوصل للمدينة الا من بابها وفي المدينة يكون البيع والشراء والتجار اصحاب التجارات في الأسواق والسور قد احاط بالمدينة فلا يصل الى ما بداخلها الا من بابها كما قال الله تعالى :

(١) وردت في نسخة (هـ) (المقيم)

(فَضْرَبَ لَهُمْ سُورِ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ
 مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابَ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ
 فَتِنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِي حَتَّى جَاءَ أَمْرُ
 اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ)

فالمدينة هي شريعة الرسول التي جعلها الله شبيهة بالحصن للمدينة
 والامتعة مثل على الظاهر للشريعة وباطنها والاسواق ^(١) امثال الحجج
 اصحاب الجزائر والتجار في الاسواق هم الدعاة والبيع والشراء مثل من
 يأخذ البيعة ويباع امام الزمان ويشترى نفسه من امام عصره كما
 قال تعالى :

(إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةُ)

وفي المدينة القصور وهي مثل على حدود مخفية قد ستروا بالشريعة
 الدعوة الباطنة وقد قصرت معرفة حدودها عنهم فقال الله عز وجل :

(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
 يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تَطْغِ
 مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا)

فأمر الله عز وجل نبيه (صلعم) ان يمسك نفسه معهم ولا يفارقهم ولا
 تعد عيناه عنهم وهم الأئمة صلوات الله عليهم الذين قصرت معرفة اهل

(١) في نسخة (هـ) وردت (الاسابو)

الشرعية عنهم ولم يعرفوا منازلهم فهذا كله في مدينة العلم التي عليها بابها
والسور الظاهر للشرعية فلا يصل احد الى حقيقة ما بدين الله من الظاهر
والباطن الا من قبل دعوته الباطنة لا ممن هو باب المدينة ، ومن قبله
يوصل الى معرفة ما جاء به الرسول (صلعم) ورمز به وستره فمن الباب
الذي باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب يوصل الى داخل السور
فيقول لأهل الظاهر الم نكن معكم في شريعة الرسول فيقال لهم بلى ولكنكم
فتنتم انفسكم بمن اقمتموه مثل عجل السامري ^(١) وعكفتم عليه كفعل من
كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة واربتبم بدعوة اساس سره
الذي دعاكم اليها فأبيتتم وتربصتم به ريب المنون .

وقال رسول الله (صلعم) في خبر آخر يؤكد عليهم انهم لا يصلون
الى معرفة ما جاء به الا من جهة وصيه بقوله: « انا مدينة العلم وعلي
بابها فمن اراد العلم فليأتي من الباب » والنطقاء صلوات الله عليهم هم
بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال
يعني الظاهر والباطن ، وقال تعالى :

(لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ
مَنْ آمَنَ وَاتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)

فمحمد (صلعم) افضل البيوت وبابه علي افضل الابواب الذي من
دخله كان آمناً ، قال الله عز وجل « باب باطنه فيه الرحمة وظاهره
من قبله العذاب » وكل من خالف دعوة الاساس الباطنة وأقام على

(١) في نسخة (هـ) وردت (سامراء)

الظاهر بغير الباطن فهو في ظاهر العذاب ، وعلي صلوات الله عليه
افضل باب حدود الله الذين هم النطقاء وحكمة الله محفوظة مكنونة في
بيوته وافضل بيوته محمد (صلعم) وافضل ابواب بيوته هو اساسه فأخبر
العالم بمضمرات القلوب وهو المخبر عن محجوبات الغيوب ، ان ما حجبته
عن الفراعنة لا يصلون اليه ولا يعلمونه ، قال تعالى :

(فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ)

والمكنون هو الحفي المستور فلا يعلمه احد لاستتاره واكتنانه ، والكتاب
هو الاساس الذي كتب فيه بيان تأويل شريعته ومثولاتها ما اكنه وستره
فلا يمس الا المطهرون وهم الائمة من ذريته (صلعم) ونحن نذكر قصة
لكل متم منهم في موضعها انشاء الله تعالى ، وقتل الضد الثاني كان اشد
عليه فترك الأمر شورى في ستة منهم : امير المؤمنين وعثمان بن عفان
وصهيب الرومي وقال ان اجمع الاربعة على الخامس وخالفهم السادس
فليقتله الخمسة ، فازم (صلعم) داره ولم يطلب ذلك فبايع الناس الثالث
عثمان وتركوا علياً ، وقام عثمان بن عفان يأكل اموال المسلمين من الزكاة
والأعشار والصدقات ومنع عائشة ما كان ابوها يدفعه اليها وعمر من
بعده ، ونقم المسلمون على عثمان من هذه الأسباب التي ذكرناها واصطنع
المعجم وترك العرب وعلي عليه السلام مع هذا كله مشغول بعمارة دعوته
الباطنة التي هي حده الذي امره الله عز وجل بها وباقامتها بواسطة
الرسول (صلعم) .

وقد تكلم الناس في عثمان ومضوا الى عائشة فشكوا اليها ما يفعله
عثمان من اصطناعه الأعاجم وتركه العرب فقالت : اقتلوا نعملاً قتل الله

نمثلاً فقد بدل دين الله أولاً وآخرأ ، فقاتله المسلمون وحصلوه في داره
ثلاثة ايام يقاتلونه في الليل والنهار وعلي صلوات الله عليه لازم داره
ولواحقه ومستجيبين دعوته ، فلما طال الامر بعثان وايقن انه مقتول
كتب اليه كتاباً يقول فيه : يا امير المؤمنين قد بلغ السيل العرم والحزام
البطين فان كنت مأكولاً فكُن انت اكلي والا فأدركني ... ولما وصله
الكتاب وجه اليه ابنه الحسن ليمنع عنه فما ادركهم الا وقد حصلوا في
الدار ، وجذب الحسن حتى شق عطفه ، وقتل عثمان ، وأقبل الناس الى
امير المؤمنين ، وكان أول من مد يده الى بيعته ومصافحته طلحة والزبير
فقال : يد شلاء لا تبقي امراً ولا يتم ، وبايعه الناس وتكاثروا عليه
وخرجت عائشة بعد ذلك تريد العمرة وقام امير المؤمنين بالأمر وأقام
طلحة والزبير يطلب كل واحد منها عطاءً فأعطاهما كما يعطي العبد المسلم
من الغنيمة فقالا له : كان ابا بكر وعمر وعثمان قد اجرؤنا على شيء
فأجرنا عليه ، فقال لهما قد اجريتكما على سنة رسول الله ، واقسم بين
الناس بالسوية فوجدا من ذلك عليه وكتما نفاقها عنه واسرا امرها
وسار طلحة والزبير يريدان العمرة فاستأذنا علياً بذلك وسارا لأمر
غيرها ولما اجتمعا بعائشة وسار علي لتأمره الى دار هجرته لتبليغ
امر الله تعالى ونشر دعوته في التأويل وسيره الى الكوفة مثل دار
هجرته الباطنة التي فيها اكتفى اهل شريعة محمد (صلعم) وهجرته من
كهف التقية ، وسارت عائشة ومعه طلحة والزبير وجماعة من المهاجرين
وغيرهم الى البصرة وقاتلت علياً فقتل صلوات الله عليه اكثرهم وانهزم
الباقون بعد قتل طلحة والزبير وادخلت عائشة الى البصرة فارسلها علي
صلوات الله عليه الى بيتها يحرسها مائة امرأة بزي الرجال . وكان من
امرها ما هو معروف الى هنا ينتهي الكلام والبيان وسلام على المرسلين

تم

(١) بعد ان تم انتقال الناطق السادس محمد بن عبدالله قضت الحكمة ان يتسلم الامر لآخر الدور الائمة فقام بدور الامامة الاساس امير المؤمنين علي بن ابي طالب وقد ولد في ١٣ رجب سنة ٦٠٤ م في مكة وتوفي في ١٩ رمضان سنة ٤٠ هـ في الكوفة . وخلفه (الحسين بن علي) وقد ولد في ٥٠ شعبان سنة ٤ هـ في المدينة وقتل في اول محرم سنة ٦١ هـ في كربلاء ، وخلفه بعد ذلك (علي زين العابدين) وقد ولد في ١٦ جمادي الآخر يوم الجمعة سنة ٣٨ هـ في المدينة وتوفي في ١٠ صفر سنة ٩٤ في مكة . وخلفه بعد ذلك (محمد الباقر) وقد ولد في ٣ صفر سنة ٥٧ هـ في المدينة ومات سنة ١١٧ هـ في الحمية ، واستلم بعده الامام (جعفر الصادق) وقد ولد في ١٧ ربيع اول سنة ٨٣ في المدينة وتوفي في ١٠ شوال سنة ١٤٨ في المدينة ، وخلفه بعد ذلك ولده (اسماعيل) وقد ولد سنة ١٠١ هـ ومات سنة ١٥٨ في البصرة (وهذا من المصادر الاسماعيلية التاريخية التي تحالف المصادر الاخرى) وتسلم بعده (محمد بن اسماعيل) الملقب بالحبیب والمكتوم وقد ولد سنة ١٢١ هـ في المدينة وتوفي سنة ١٩٣ هـ في بلدة تدمر ، وتسلم بعده ولده (عبدالله) (الرضي) وقد ولد سنة ١٧٩ في محمد اباد ومات سنة ٢١٢ في (سلمية) ثم تسلم بعد (ولده احمد) (الوفي) وقد ولد سنة ١٩٨ في سلمية ومات سنة ٢٦٥ في بلدة مصيف ، ثم تسلم بعده ولده (الحسين التقي) وقد ولد سنة ٢١٩ في سلمية ومات سنة ٢٨٩ في سلمية وبعد ذلك تسلم ولده (علي الهادي العل) وقد ولد سنة ٢٣٧ في سلمية ومات سنة ٢٧٥ في سلمية ، وبعده تسلم ولده (محمد القائم) وقد ولد في شهر محرم سنة ٢٨٠ في سلمية سلمية ومات في ١٨ شوال سنة ٣٣٤ في المهديّة ، وبعد ذلك تسلم ولده (اسماعيل المنصور بالله) وقد ولد في ١ جمادي الآخر سنة ٣٠٣ في المهديّة ومات في ٣ شوال سنة ٣٤١ في المنصورية وبعده تسلم (المعز لدين الله) وقد ولد في ١١ رمضان سنة ٣١٧ في المهديّة ومات في ١١ ربيع اول سنة ٣٦٥ هـ في القاهرة وبعد ذلك استلم ولده نزار العزيز بالله وقد ولد في ١٤ محرم سنة ٣٤٤ هـ في المهديّة ومات في ٢٨ رمضان سنة ٣٨٦ هـ في القاهرة ، وبعد ذلك تسلم (الحسن الحاكم بأمر الله) وقد ولد في ٢٣ ربيع اول سنة ٣٧٥ في القاهرة ومات في ٢٧ شوال سنة ٤١١ في القاهرة ، وبعد ذلك تسلمها (علي الظاهر لاعزاز دين الله) وقد ولد في ٦ رمضان سنة ٤٢٠ هـ في القاهرة ومات في ١٥ شعبان سنة ٤٢٧ في القاهرة ، وبعد ذلك تسلمها ولده (معد المستنصر بالله) وقد ولد في ٦ رمضان سنة ٤٢٠ هـ في القاهرة ومات في ٨ ذي الحجة سنة ٤٨٧ هـ في القاهرة ايضاً . ولا نريد ان نكل البحث عن فروع الشجرة بعد الفاطميين لرغبتنا بوضع دراسة مفصلة دقيقة عن الموضوع في المستقبل القريب ان شاء الله .

فهرس موضوعات الكتاب

مقدمة المحقق

من صفحة ١ الى صفحة ٢٤

الأسباب التي دفعت المحقق الى نشر كتاب « اساس التأويل »، شرح موضوع التأويل في الدراسات الفلسفية الباطنية، مقابلة بين التأويل والتفسير وسبب وضع هذا العلم ، ومن هو اول من تكلم به ولحمة عن حياة « النعمان بن حيون المغربي التميمي » مؤلف الكتاب وعن كيفية اتصاله بالائمة الفاطميين في المغرب، مع استعراض المؤلفات التي وضعها سواء في المغرب او في القاهرة، لحمة عن حياة الأمام الفاطمي « المعز لدين الله » وازدهار العلم والادب في عصره وتشجيعه العلماء ثم مشاركته المؤلفين بالتأليف والتنقيب ، واخيراً يستعرض الحياة العقلية التي كانت تسود المجتمع الاسلامي في تلك الفترة وتعاليم القرآن التحررية العقلية ، وسبب تسمية « الائمة » من احفاد اسماعيل بن جعفر « الصادق » بفاطميين بدّل « اسماعيليين » واخيراً كيفية تحقيق الكتاب ، وعدد النسخ التي حقق عنها النص .

مقدمة المؤلف

من صفحة ٢٥ الى صفحة ٣٢

يقدم المؤلف لكتابه بافتتاحية مستفيضة يقابل فيها بين التأويل والتنزيل

وبين الظاهر والباطن وبين الجسم والروح ، وبين كتاب « دعائم الاسلام » الذي يمثل الظاهر « وأساس التأويل » الذي يمثل الباطن ، ويدعم اقواله بآيات قرآنية وبراهين علمية بتثبيت التأويل وينتقل أخيراً الى تبين معنى « الايمان » « والاسلام » من الوجهتين الظاهرية والباطنية كما جاء بكتاب « دعائم الاسلام » مع شرح شهادة لا اله الا الله وتثبيتها بالآيات البينات مع انتقاله الى تفسير وظائف حدود عالم الدين تفسيراً مستنداً على القرآن الكريم .

الفصل الاول

من صفحة ٣٣ الى صفحة ٧٥

عدد النطقاء ، معنى كلمة ناطق ، بداية الكون او ما يسمى عالم الدين ، المبدأ هبوط الناطق آدم ، سبب الهبوط ، موقف ابليس ، الخطيئة التي وقع فيها آدم وحواء ، عودتها بعد التوبة ، سبب خلق آدم من طين ، وصيته لابنه هابيل ، حسد قابيل ، تسلم شيث مركز الأساسية بعد موت هابيل ، معنى الدور الكبير والصغير ، ومعنى الإمام المقيم والمتم والاساس والمستودع والمستقر ، ذكر الآيات القرآنية التي وردت في هذا الصدد ، شرح بالهامش عن عدد الائمة الذين تسلموا من آدم حتى ظهور الناطق الثاني «نوح» مع اسماء دعائهم محققة عن الكتب السماوية والمصادر الخطية .

الفصل الثاني

من صفحة ٧٦ الى صفحة ١٠٦

بيان ظهور الناطق الثاني نوح في الدور الثاني مع ذكر دعائه هود وصالح وسبب بناء السفينة بالمعنى الباطني ، قصة تخلف ولده واعتصامه بالجبل ، تبرأته منه ، شرح السفينة ومركباتها ، قيام هود بالدعوة الاستيداعية ثم صالح بعده ، بيان بالآيات القرآنية التي وردت بهذا الصدد ، واخيراً شرح

بهامش الفصل الاول عن عدد الائمة للدور الثاني الذين تسلاوا من الناطق
الثاني نوح حتى ظهور الناطق الثالث ابراهيم :

الفصل الثالث

من صفحة ١٠٧ الى صفحة ١٧٨

ظهور الناطق الثالث ابراهيم بالدور الثالث وقيامه بشؤون الرسالة ،
ومعنى اخذه العهد على ولده اسماعيل ، ومعنى الذبح من الوجهة التأويلية ،
وبيان قصص لوط ومعنى لواطه مع بني قومه ، وقصة يعقوب وأولاده ،
ويوسف وذهابه الى مصر وامرأة العزيز ، ثم ايوب وشعيب مع ذكر الآيات
القرآنية التي وردت بمعرض التحدث عنهم ، وفي هذا الدور بيان عن انقسام
الائمة بعد ابراهيم الى مستودعين ومستقرين حيث قضى الله ان يخص اسحق بن
ابراهيم بالامامة المستودعة وان يكون من ذريته ناطقين هما موسى وعيسى ،
وان يخص اسماعيل بالامامة المستقرة الاصلية ويكون من ذريته محمد والقائم
المنتظر ، وفي الهامش بيان عن الائمة المستقرين والمستودعين من صلب الناطق
ابراهيم حتى قيام الناطق الرابع في الدور الرابع مع تفسير لمعنى المستودع
والمستقر في الاعتقادات الاسماعيلية .

الفصل الرابع

من صفحة ١٧٩ الى صفحة ٢٩٨

قصة ظهور الناطق الرابع موسى في الدور الرابع وقيامه بشؤون الرسالة
وذهابه الى مدين للالتقاء بأساسه يوشع ، ثم قصة صراعه مع فرعون وهو
صراع الباطل مع الحق ، وبيان عن دعاة عهده وهم طالوت وكيف ادعى
جالوت بالامامة بعده ، وقصة داؤد وسليمان ويونس والحوت وعمران وزكريا
ويحيى مع ذكر الآيات القرآنية التي نزلت في هذا الصدد ، وفي الهامش بيان
عن عدد الائمة المستودعين والمستقرين من صلب اسحق واسماعيل ولدي الناطق

ابراهيم حتى بدء الدور الخامس الذي يبتديء بعيسى بن مريم ، مع ذكر الآيات القرآنية التي نزلت في هذا الموضوع .

الفصل الخامس

من صفحة ٢٩٩ الى صفحة ٣١٤

قصة ظهور الناطق عيسى بن مريم وقيامه بشأن الرسالة بدون تدرج بالمراتب ، اي بدون اب روحاني يتعهده ويعلمه وهذا هو المعروف بالأبوة الروحية والولادة بدون أب ، ثم قصة مريم ؟ ومن هي ؟ وهل الولادة جسمانية او روحانية ، وما معنى الولادة بدون أب ؟ وما هو مركز يوسف النجار بالنسبة لمريم ، ثم تعميد يحيى لعيسى ، وتعميد عيسى ليحيى ، مع ذكر الآيات القرآنية التي وردت في هذا الموضوع مع ذكر بعض ما ورد في الانجيل وفي الهامش بيان عن عدد الائمة المستودعين والمستقرين ممن تسلاوا في فترة الدور الاول .

الفصل السادس

من صفحة ٣١٥ الى الصفحة ٣٦٨

قصة ظهور آخر النطقاء وخاتم الرسل «محمد» . ذكر هجرته ، قصته مع الراهب بحيرا ، حماية أبو طالب له وكفالاته وتعهده له ، زواجه بخديجة ، مركز علي عنده واتخاذة اياه اساساً للدعوة ، نزول القرآن عليه ، تفصيل تاريخ حياته ، وفاته ، الثغيفة ، تنصيب الخليفة الأول ، وصية غدير خم ، تنصيب الخليفة الثاني ، مقتل الخليفة الثالث ، حرب الجمل ، والى هنا يتوقف المؤلف عن متابعة الحوادث ، وفي الهامش ذكر للامة الذين قاموا بأدوار الامامة بعد محمد حسب شجرة الامامة الاسماعيلية حتى آخر خليفة فاطمي في مصر وهو المستنصر بالله ، وبعد ذلك وهنا ينتهي الكتاب وموضوعه وهوامشه .

فهرس الآيات القرآنية

الآية القرآنية	صفحة	الآية القرآنية	صفحة
هو الذي انزل عليك الكتاب	٢٩	وكذلك يحببك ربك	٧
وما يعلم تأويله الا الله	٢٩	وكذلك مكنا ليوسف	٧
هل ينظرون الى تأويله	٢٩	وسأنبئك بتأويل	٧
وتلك الامثال نضربها للناس	٣٠	هو الذي انزل عليك	٧
ان الله لا يستحي ان يضرب	٣٠	سنتهم آياتنا في الآفاق	٨
وكلا ضربنا له الامثال	٣١	وفي الأرض آيات	٨
ولقد ضربنا للناس في هذا	٣١	الا الذين آمنوا وعملوا	٢٤
وكذلك يحببك ربك ويعلمك	٣١	ولكن اكثر الناس	٢٤
وكذلك مكنا ليوسف الأرض	٣١	وما اكثر الناس ولو	٢٤
هذا عطاؤنا فامنن او امسك	٣٢	منهم المؤمنون وأكثرهم	٢٤
وما ارسلنا من رسول الا بلسان	٣٢	منهم الصادون الجاهلون	٢٥
قال اسمعت لرب العالمين	٣٥	وقال الذين كفروا ان هذا	٢٥
ولو استقاموا على الطريقة	٣٩	والوالدات يرضعن اولادهن	٢٦
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق	٤٠	وليمحص الله الذين	٢٧
ومن يعرض عن ذكر ربه	٤٠	ومن كل شيء خلقنا	٢٨
ولقد عهدنا الى آدم من قبل	٤١	وأسبغ عليكم نعمه	٢٩
وجعلنا ابن مريم وامه آية	٤٢	ثم لتسألن يومئذ عن	٢٩
انما المسيح بن مريم رسول الله	٤٣	وذروا ظاهر الإثم	٢٩

الآية القرآنية	صفحة	الآية القرآنية	صفحة
اتجعل فيها من يفسد فيها ٥٥ و ٥٤	٥٥	اذ قالت الملائكة يا مريم	٤٣
فاذا سويته ونفخت فيه ٥٥	٥٥	سنريهم آياتنا في الآفاق	٤٣
وعلم آدم الاسماء كلها ٥٥	٥٥	وفي الأرض آيات للموقنين	٤٣
سبحانك لا علم لنا الا ٥٦	٥٦	ولقد خلقنا الانسان من سلاله ٤٤	٤٤
اني اعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ٥٦	٥٦	ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم ٤٥	٤٥
اتجعل فيها من يفسر فيها ٥٦	٥٦	التائبون العابدون الحامدون ٤٥	٤٥
ألم تر ان الله يسجد له من ٥٧	٥٧	قال فخذ اربعة من الطير ٤٥	٤٥
الا ابليس ابى واستكبر ٥٧	٥٧	ان عدة الشهور عند الله ٤٦	٤٦
ويوم تقوم الساعة يلبس المجرمون ٥٨	٥٨	الحمد لله فاطر السموات والارض ٤٦	٤٦
ما منعك ان لا تسجد اذا امرتك ٥٨	٥٨	ومن كل شيء خلقنا ٤٧	٤٧
قال اخرج منها فانك رجيم ٥٨	٥٨	ولا ياأبى الشهداء اذا ما دعوا ٤٨	٤٨
ومن كل شيء خلقنا زوجين ٥٩	٥٩	اوفوا بعهدي اوفي بعهديكم ٤٨	٤٨
وترى المؤمنين والمؤمنات ٥٩	٥٩	ولمن خاف مقام ربه ٤٨	٤٨
ولمن خاف مقام ربه جنتان ٥٩	٥٩	أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ٥٠	٥٠
وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ٦٠	٦٠	لو كان فيها آلهة الا ٥١	٥١
لهم البشرى في الحياة الدنيا ٦٠	٦٠	وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ٥١	٥١
كلما رزقوا منها من ثمرة ٦٠	٦٠	وجعلنا الليل والنهار آيتين ٥٢	٥٢
وذروا ظاهر الأثم وباطنه ٦٠	٦٠	وإذا ابتلى ابراهيم ربه ٥٢	٥٢
وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ٦١	٦١	وجعلنا لهم ائمة يدعون ٥٢	٥٢
وتلك الامثال نضربها للناس ٦١	٦١	وإذا قال ربك للملائكة اني جاعل ٥٢	٥٢
ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ٦١	٦١	وإذا قال ربك للملائكة اني خالق ٥٣	٥٣
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن ٦١	٦١	انما قولنا للشيء اذا اردنا ٥٤	٥٤
اهدنا الصراط المستقيم صراط ٦١	٦١	ويخلقكم في بطون امهاتكم ٥٤	٥٤
يا آدم اسكن انت وزوجك ٦٢	٦٢	ظاهره علمٌ موجب ٥٤	٥٤

صفحة	الآية القرآنية	صفحة	الآية القرآنية
٧٢	ان الشيطان لغوي مبين	٦٢	ان هذا عدو لك ولزوجك
٧٢	ان عبادي ليس لك عليهم سلطان	٦٢	ولقد عهدنا الى آدم من قبل
٧٢	الا من اتبعك من الفارين	٦٣	لا ينفع نفس ايمانها ان لم تكن
	وكذلك جعلنا لكل نبي عدو	٦٣	لئن اخرجتني الى يوم القيامة
٧٢	من المجرمين	٦٤	ملة ابيكم ابراهيم هو الذي
	والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا	٦٤	ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
٧٣	انفسهم		ألم تر الى الذين تولوا قوماً غضب
٧٤	لكل جعلنا منهم شرعةً ومنهاجاً	٦٤	الله عليهم
٧٤	واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم		لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم
٧٤	ولا تياسوا من روح الله انه لا يأس	٦٥	الآخر
٧٥	ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون	٦٥	ومن يعمل سوءاً ويظلم نفسه
٧٦	ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه	٦٥	ما نها كما ربكنا عن هذه الشجرة
٧٧	ما نراك الا بشراً مثلاً	٦٦	فولاهما بغرور فلما ذاقا
٧٧	وما نراك اتبعك الا الذين هم	٦٦	ولباس التقوى ذلك من آيات الله
٧٧	قال نوح رب انهم عصوني	٦٦	يخسفان عليهما من ورق الجنة
٧٧	ومكروا مكراً كباراً	٦٧	ألم انهكما عن تلسم الشجرة
٧٧	انه لن يؤمن من قومك	٦٧	فتلقى آدم من ربه كلمات
٧٨	فلا تبئس بما كانوا يفعلون	٦٧	ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوا
٧٨	واصنع الفلك باعيننا ووحينا	٦٩	قل يا اهل الكتاب لستم على شيء
٧٨	وكلمنا مر عليه ملاً من قومه	٧٠	اهبطوا بعضكم لبعض عدو لكم
٨٠	ان عدة الشهور عند الله اثني عشر	٧٠	فيها تحيون وفيها تموتون ومنها
٨٠	شرع لكم من الدين ما وصى به نوعاً	٧٠	يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباساً
٨١	قال رب اني دعوت قومي ليلاً ونهاراً	٧١	ومن يتولهم منكم فانه منهم
٨٢	فقلت استغفروا ربكم انه كان	٧٢	انه ليس من اهلك

- ٨٨ ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين
 ٨٩ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
 ٨٩ تشابهت قلوبهم قد بينا
 ٨٩ ما هذا الا بشر مثلكم يأكل
 ٨٩ انؤمن لك واتبعك الارزلون
 ٨٩ فإذا استويت ومن معك على الفلك
 ٩٠ وقل رب انزلني منزلاً مباركاً
 ٩٠ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
 ٩٠ كذبت قلوبهم قوم نوح فكذبوا
 ٩٢ ففتحناه ابواب السماء بماء منهمر
 ٩٢ وفجرنا الارض عيوناً
 ٩٢ ان اضرب بعصاك الحجر فانجبت منه
 ٩٢ فالتقى الماء على امر قد قدر
 ٩٢ وحملناه على ذات ألواح ودثر
 ٩٣ ولقد ارسلنا نوحاً وابراهيم وجعلنا
 ٩٤ وتلك حجبتنا اتيناها ابراهيم
 ٩٤ رب لا تذر على الارض من الكافرين
 ٩٥ انك ان تذرحهم يضلوا عبادك
 ٩٥ رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل
 ٩٦ والى عاد اخاهم هود
 ٩٦ ملة ابيكم ابراهيم
 ٩٦ انما المؤمنون اخوة
 ٩٦ وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح
 ٩٦ فلما رأوه عارضاً مستقبلاً

- ٨٢ حتى اذا جاء امرنا وفار التنور
 ٨٢ قلنا احمل فيها من كل زوجين
 ٨٣ اركبوا فيها باسم الله مجراها
 ٨٣ وهي تجري بهم في موج كالجبال
 ٨٤ ونادى نوح ابنه وكان في معزل عنه
 ٨٤ سآوي الى جبل يعصمني من الماء
 ٨٤ وقال لا اعاصم اليوم من امر الله
 ٨٤ فقال ربي ان ابني من اهلي
 ٨٤ انه ليس من اهلك انه عمل
 ٨٥ ومال بينهما الموج فكان من المفرقين
 ٨٥ وقيل يا ارض ابلعي ماءك
 ٨٥ وغيض الماء
 ٨٥ واستوت على الجودي
 ٨٦ وقيل بعداً للقوم الظالمين
 ٨٦ انه ليس من اهلك انه عمل
 ٨٦ ربي اني اعوذ بك ان اسألك
 ٨٦ قيل يا نوح اهبط بسلام منا
 ٨٦ اهبطوا بعضهم لبعض عدو
 ٨٧ وامن ستمتعهم ثم ميسهم منا
 ٨٧ ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه
 ٨٨ ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا
 ٨٨ ولا اقول للذين تذدري
 ٨٨ ما هذا الا بشر مثلكم
 ٨٨ لأنزل ملائكة

- قالوا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ٩٧
 انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ٩٧
 فلما رأوه عارضاً مستقبلاً ٩٧
 فأتانبا تعدنا ان كنت من الصادقين ٩٨
 فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ٩٨
 والى ثمود اخاهم صالحاً قال يا قوم ٩٨
 ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله ٩٩
 ويا قوم هذه ناقة الله لكم ١٠٠
 فذروها تأكل في أرض الله ١٠١
 ولا تمسوها بسوء ١٠١
 واذكروا اذ جعلكم خلفاء ١٠١
 وبوأكم في الارض ١٠١
 فيتخذون من سهولها قصوراً ١٠١
 وتنحتون من الجبال بيوتاً ١٠١
 فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا ١٠١
 فمقرروا الناقة وعثوا عن امر ربهم ١٠٢
 قال هذه ناقة لها شرب ١٠٢
 فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ١٠٢
 وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا ١٠٤
 فعثوا عن امر ربهم فأخذتهم ١٠٤
 فما استطاعوا من قيام ١٠٤
 اننا دمرناهم وقومهم اجمعين ١٠٤
 وكان في المدينة تسعة رهط ١٠٤
 يفسدون
- وجعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين ١٠٥
 للناس على الله حجة بعد الرسل ١٠٥
 واتخذ الله ابراهيم خليلاً ١٠٧
 وابراهيم الذي وقى ١٠٧
 واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات ١٠٧
 فأمتحن ١٠٨
 ورفعناه مكاناً علياً ١٠٨
 بل رفعه الله اليه ١٠٨
 سبحانه الذي اسرى بعبده ليلاً ١٠٨
 انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ١٠٩
 فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً ١١٠
 ارجع الى ربك فاسأله ما بال ١١١
 فلما افل قال اني لا احب الآفلين ١١١
 فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ١١١
 فلما آمن قال لئن لم يهدني ١١١
 فلما رأى الشمس بازغاً قال هذا ١١١
 قال يا قوم اني بريء مما تشكرون ١١٢
 ولقد آتينا آل ابراهيم الكتاب ١١٢
 انه من الموقنين ١١٣
 واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات ١١٤
 اني جاعلك للناس اماماً ١١٤
 لا ينال عهدي الظالمين ١١٥
 واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت ١١٥
 وعهدنا الى اسماعيل وابراهيم ١١٥

الآية القرآنية	صفحة	الآية القرآنية	صفحة
الا كبيرهم لعلمهم اليه يرجعون ١٢١		واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت ١١٦	
قالوا من فعل هذا بأهتنا انه		أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ١١٧	
لمن الظالمين ١٢١		وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ١١٧	
قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال		اذ قال لأبيه يا ابت لم تعبد ما	
له ابراهيم ١٢١		لا يسمع ١١٨	
قالوا فأتوا به على اعين الناس ١٢١		يا ابت لم تعبد ما لا يسمع	
قالوا أأنت فعلت هذا بأهتنا		ولا يبصر ١١٨	
يا ابراهيم ١٢١		يا ابت اني قد جاءني من العلم ١١٨	
فأسألوهم ان كانوا ينطقون ١٢٢		فاتبعني اهدك ١١٨	
فرجعوا الى انفسهم ١٢٢		يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان	
انكم انتم الظالمون ١٢٢		يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب ١١٩	
ثم نكسو على رؤوسهم لقد علمت ١٢٢		اراعب انت عن الهتي يا ابراهيم ١١٩	
قال افتعبدون من دون الله ١٢٢		لئن لم تنته لأرجنك واهجرني ١١٩	
اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً ١٢٢		قال سلام عليك سأستغفر لك ١١٩	
قالوا احرقوه وانظروا آهتكم ١٢٣		ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل ١١٩	
قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً ١٢٣		اذ قال لأبيه ١١٩	
ألم تر الى الذين حاج ابراهيم ١٢٣		ان اكرمكم عند الله اتقاكم ١٢٠	
قال ابراهيم فان الله يأتي ١٢٣		ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ١٢٠	
والله لا يهدي القوم الظالمين ١٢٤		قالوا وجدنا ابائنا لها عابدين ١٢٠	
اني ذاهب الى ربي سيهدين ١٢٤		قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال ١٢٠	
قال ربي هب لي من الصالحين ١٢٤		قال بل ربكم رب السموات والارض ١٢٠	
قال يا بني اني ارى في المنام ١٢٤		وان الذين يدعون من دونه لا يخلقونه ١٢٠	
قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ١٢٥		وتا لله لا يكيد اصنامكم بعد ان تولوا ١٢٠	
وناديننا ان يا ابراهيم قد صدقت ١٢٥		فجعلهم جذاً ١٢١	

صفحة الآية القرآنية

قالت يا ويلتي أألد وانا عجوز ١٣١
قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله ١٣٢
يحادلنا في قوم لوط ١٣٢
ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى ١٣٢
قالوا نحن اعلم بن فيها لننجيه ١٣٢
وجاءه قومه يهرعون ١٣٢
ومن قبل كانوا يعملون السيئات ١٣٣
قال يا قوم هؤلاء بناتي ١٣٣
فاتقوا الله ولا تنحروني في ضيفي ١٣٣
قال لو ان لي بكم قوة أو آوي ١٣٣
قالوا يا لوط اننا رسل ربك لن يصلوا ١٣٣
يقطع من الليل ١٣٤
ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك ١٣٤
ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب ١٣٤
فلما جاء امرنا ١٣٤
وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل
منضود ١٣٤
يا ابت اني رأيت احد عشر كوكبا ١٣٥
قال يا بني لا تقصص رؤياك ١٣٥
الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها ١٣٦
ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب ١٣٦
ليوسف واخوه احب الى ابينا ١٣٦
اقتلوا يوسف واطرحوه ارضا ١٣٦
ينحل لكم وجه ابيكم وتكونوا ١٣٦

صفحة الآية القرآنية

انا كذلك نجزي المحسنين ١٢٥
واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان ١٢٦
واذ قال ابراهيم ربي ارني كيف ١٢٦
ربي ارني انظر اليك ١٢٧
اني جاعلك للناس اماما ١٢٧
وما انت بمؤمن لنا ١٢٧
ولو كنا صادقين ١٢٧
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ١٢٧
قال فخذ اربعة من الطير ١٢٧
فصرهن اليك ١٢٧
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ١٢٨
ثم ادعوهن يأتينك سعيًا ١٢٨
ارني كيف تحيي الموتى ١٢٨
قال أو لم تؤمن ١٢٨
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ١٢٨
قال فخذ اربعة من الطير ١٢٨
واجعل على كل جبل منهن جزءا ١٢٨
ثم ادعوهن يأتينك سعيًا ١٢٩
اتأتون الذكر ان الذكر من رب ١٣٠
قالوا لئن لم تنته يا لوط ١٣٠
قالوا اخرجوا آل لوط من قريبتكم ١٣٠
ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى ١٣٠
وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف ١٣١
وإمرأته قائمة فضحكت فبشرناها ١٣١

وألقيا سيدها لدى الباب ١٤٢
 وقالت ما جزاء من اراد بأهلك ١٤٢
 قال هي راودتني عن نفسي ١٤٢
 وشهد شاهد من أهلها ١٤٣
 ان كان قميصه قد من قبل ١٤٣
 وان كان قميصه قد من دبر ١٤٣
 قال انه من كيدكن ان كيدكن ١٤٣
 يوسف اعرض عن هذا ١٤٣
 وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز ١٤٣
 فلما سمعت مكرهن ارسلت اليهن ١٤٤
 واتت كل واحدة منهن سكيناً ١٤٤
 قالت اخرج عليهن فلما رأينه ١٤٤
 وقلنا حاشا لله ما هذا بشراً ١٤٤
 قالت فذلكم الذي لمثني فيه ١٤٥
 قال رب السجن احب الي ١٤٥
 والا تصرف عني كيدهن احب اليهن ١٤٥
 وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه ١٤٥
 ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ١٤٥
 ودخل معه السجن فتيان قال احدهما ١٤٦
 وقال الآخر اني اراني احمل ١٤٦
 انبثنا بتأويله انا نراك من المحسنين ١٤٦
 ذلك مما علمني ربي انني تركت ١٤٦
 يا صاحبي السجن ١٤٧
 أرباب متفرقون خير ام الله ١٤٧
 ما تعبدون من دونه الا اسماء ١٤٧
 اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً ١٤٧
 يا صاحبي السجن اما احد احدكما ١٤٧

قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف ١٣٦
 القوة في غيابة الجب يلتقطه بعض ١٣٧
 قالوا يا ابانا مالك لاتأمننا على يوسف ١٣٧
 ارسله معنا غداً يرتفع ويلعب ١٣٧
 وانا له لحافظون ١٣٧
 اني ليعجزني ان تذهبوا به وأخاف ١٣٧
 قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة ١٣٧
 وأوحينا اليهم لتنبئهم بأمرهم هذا ١٣٨
 وجاء اباهم عشاء يبكون ١٣٨
 وقالوا انا ذهبنا نستبق وتركنا ١٣٨
 وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ١٣٩
 قال بل سولت لكم انفسكم امراً ١٣٩
 وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم ١٣٩
 قال يا بشري هذا غلام ١٣٩
 واسروه بضاعة انهم فيه من الزاهدين ١٤٠
 وشروه بثمن بخس دراهم معدودة ١٤٠
 او اتخذوه ولداً ١٤٠
 وكذلك مكنا ليوسف في الاستعمار ١٤١
 والله غالب على امره ١٤١
 وآتيناه حكماً وعلماً ١٤١
 وكذلك نجزي المحسنين ١٤١
 وغلقت الابواب وقالت هيت لك ١٤١
 معاذ الله انه ربي احسن مثواي ١٤١
 انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به ١٤١
 لولا ان رأى برهان ربه ١٤٢
 واستبقا الباب ١٤١
 وقدت قميصه من دبر ١٤٢

- ١٥٣ ولما جهزهم بيهازهم
 ١٥٣ قال اتنوني باخٍ لكم من ابيكم
 ١٥٣ اجعلوا بضاعتهم في رحالهم
 ١٥٤ قالوا يا ابانا امنع فساد الكيل
 ١٥٤ قال هل امنكم عليه الا كما
 ١٥٤ ولما فتحو متاعهم وجدوا بضاعتهم
 ١٥٤ قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا
 ١٥٤ ونزداد كيل بعير
 ١٥٤ ذلك كيل يسير
 قال لن ارسله معكم حتى تؤتوني
 ١٥٤ موثقاً
 ١٥٥ وما اغنى عنكم من الله من شيء
 ١٥٥ ولما دخلوا من حيث امرهم
 ١٥٥ ولما دخلوا على يوسف آوى اليه
 ١٥٦ فلما جهزهم بيهازهم جعل السقاية
 ١٥٦ ثم اذن مؤذن ايتها العير
 ١٥٦ قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون
 ١٥٦ ولمن جاء به حمل بعير
 ١٥٦ قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا
 ١٥٧ قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين
 ١٥٧ كذلك نجزي الظالمين
 ١٥٧ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء اخيه
 ١٥٧ استخرجها من وعاء اخيه
 ١٥٧ كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ
 ١٥٨ فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها
 ١٥٨ والله اعلم بما تصنعون
 ١٥٨ قالوا يا ايها العزيز

- ١٤٨ اني اراني اعصر خمرأ
 ١٤٨ واما الآخر فيصلب فياً كل الطير
 ١٤٨ قضي الأمر الذي فيه تستفتيان
 ١٤٨ قال للذي ظنّ انه ناجٍ منها
 ١٤٨ فأنساه الشيطان
 ١٤٨ فلبث في السجن بضع سنين
 ١٤٨ قال الملك اني ارى سبع بقرات
 ١٤٩ يا ايها الملاً افئتوني في رؤياي
 ١٤٩ قالوا اضغات احلامٍ وما نحن
 ١٤٩ وقال الذي نجا منها
 ١٤٩ انا انبئكم بتأويله فارسلون
 ١٤٩ ايها الصديق اقتنا في سبع
 ١٥٠ الا قليلاً مما تأكلون
 ١٥٠ يا كلن ما قدمتم لمن
 ١٥٠ الا قليلاً مما تحصنون
 ١٥٠ ثم يأتي من ذلك عام فيه يفاث
 ١٥١ ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة
 ١٥١ قال ما خطبك ان اذ راودتن يوسف
 ١٥١ الان حصحص الحق انا راودته
 ١٥١ عن نفسه
 ١٥١ ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
 ١٥٢ انك اليوم لدينا مكين امين
 ١٥٢ اجعلني على خزائن الارض
 ١٥٢ انك اليوم لدينا مكين امين
 ١٥٢ اجعلني على خزائن الأرض
 ١٥٢ وكذلك مكننا ليوسف في الأرض
 ١٥٣ وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه

الآية القرآنية

- ١٦٢ قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف
١٦٢ قالوا انك لأنت يوسف
١٦٢ قال انا يوسف وهذا اخي
١٦٢ انه من يتق ويصبر فان الله
١٦٢ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا
١٦٣ قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر
١٦٣ اذهبوا بقميصي هذا فالقوه
١٦٣ وأتوني بأهلكم اجمعين
١٦٣ ولما فصلت العير قال ابوهم
١٦٣ قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم
١٦٣ فلما ان جاء البشير القاه
١٦٤ قال ألم أقل لكم انني اعلم
١٦٤ فلما دخلوا على يوسف
١٦٤ آوى اليه أبويه
١٦٤ قالوا ادخلوا مصر ان شاء الله
١٦٤ فدفع ابويه على العرش
١٩٤ وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي
١٦٤ وقد احسن بي اذ اخرجني
١٦٤ وجاء بكم من البدو
١٦٥ من بعد ان نزع الشيطان
١٦٥ واذكر عبدنا ايوب اذ نادى
١٦٥ وأيوب اذ نادى ربه اني
١٦٦ اركض برجلك هذا مغتسل بارد
١٦٦ ووهبنا له اهله ومثلهم
١٦٧ وخذ بيدك ضعفاً فاقضرب
١٦٧ اننا وجدناه صابراً
١٦٧ نعم العبد انه أواب

الآية القرآنية

- ١٥٨ ان له اباً شيخاً كبيراً
١٥٨ فخذ احداً مكانه
١٥٨ انا نراك من المحسنين
١٥٨ انا اذا لظالمون
١٥٩ فلما استياسوا منه خلصوا
١٥٩ لم تعلموا ان اباكم اخذ موثقاً
١٥٩ ومن قبل ما فرطتم في يوسف
١٥٩ فلن ابرح الأرض حتى يأذن لي
١٥٩ ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا
١٥٩ وما شهدنا الا بما علمنا
١٥٩ وما كنا للغيب حافظين
١٥٩ واسأل القرية التي كنا فيها
١٦٠ واننا لصادقون
١٦٠ قال بل سولت لكم انفسكم امراً
١٦٠ انه هو العليم الحكيم
١٦٠ وقال يا اسفي على يوسف
١٦٠ وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم
١٦٠ قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف
١٦١ وتكون من الهالكين
١٦١ قال انما اشكوبشي وحزني الى الله
١٦١ واعلم من الله ما لا تعلمون
١٦١ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
١٦١ حتى استياس الرسل وظنوا انهم
١٦١ فلما دخلوا عليه
١٦١ يا ايها العزيز قد مسنا وأهلنا
١٦٢ وجئنا ببضاعة مزجاة
١٦٢ فاوفى لنا الكيل وتصدق علينا

صفحة	الآية القرآنية	صفحة	الآية القرآنية
١٧٤	وانّا لذاك ميتا ضعيفا	١٦٨	قال يا قومي اعبدوا الله ما لكم
١٧٤	ولولا رهطك لرحمتك	١٦٨	قد جاءكم بينة من ربكم
١٧٥	وما انت علينا بعزير	١٦٨	فأوفوا الكيل والميزان
١٧٥	قال يا قومي ارهطي اعزّ عليكم	١٦٩	ولا تنجسوا الناس اشياءهم
١٧٥	ويا قومي اعملوا على مكانتكم	١٦٩	ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها
١٧٥	سوف تعلمون من يأتيه	١٦٩	ولا تعقدوا بكل صراطٍ توعدون
١٧٥	ويحلّ عليكم عذاب مقيم		لا الشمس يذبغي لها ان
١٧٥	ولما جاء أمرنا نجباً شعبياً	١٦٩	تدرك القمر
١٧٥	الا بعداً للمدين كما بعدت	١٧١	ولا تعقدوا بكل صراطٍ توعدون
١٧٦	فاخذهم عذاب يوم الظامة انه كان		صراط الذين انعمت عليهم غير
١٧٩	يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم	١٧٢	المغضوب
١٨٠	وأوحينا الى ام موسى ان ارضعيه	١٧٢	وجعلنا بينهم وبين القرى التي
١٨١	اذ اوحينا الى امك ما يوحى	١٧٣	واذكروا اذ كنتم قليلا
١٨١	وقال لهم نبينهم ان اية ملكه		وانظروا كيف كانت عاقبة
١٨١	فاقذفه في اليم فليلقه بالساحل	١٧٣	المفسدين
١٨١	ياخذه عدو لي وعدو له	١٧٣	وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي
١٨٢	فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدواً	١٧٣	قال الملأ الذي استكبروا من قومه
١٨٢	ان فرعون وهامان وجنودهما	١٧٣	أو لتعودن في ملتنا
١٨٢	وقالت امرأة فرعون قرة عين	١٧٣	قال أو لو كنا كارهين
١٨٣	واصبح فوآد ام موسى فارغاً	١٧٤	قد افترينا على الله كذباً
١٨٣	ولما بلغ اشدّه واستوى آتيناها	١٧٤	وما يكون لنا ان نعود فيها
١٨٣	ودخل المدينة على حين غفلة	١٧٤	ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
١٨٣	فوكزه موسى فقضى عليه		قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً
١٨٣	وحرمنا عليه المراضع من قبل	١٧٤	مما تقول

صفحة	الآية القرآنية	صفحة	الآية القرآنية
١٩٢	فلما جاءها نودي ان بورك	١٨٤	فرددناه الى امه كي تقر
١٩٢	اني انا الله رب العالمين	١٨٤	قال هذا من عمل الشيطان
١٩٣	يا موسى اني انا الله العزيز الحكيم	١٨٤	قال رب اني ظلمت نفسي
١٩٣	وان ألق عصاك	١٨٦	ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
١٩٣	فلما رأها تهتز كأنها جان	١٨٦	انه هو الغفور الرحيم
١٩٣	ولي مدبراً ولم يعقب يا موسى	١٨٦	قال رب بما انعمت علي قلن اكون
	يا موسى اقبل ولا تخف انك	١٨٦	فاصبح في المدينة خائفاً
١٩٣	من الامنين	١٨٧	قال يا موسى أتريد ان تقتلني
١٩٤	ولي مدبراً ولم يعقب	١٨٧	وجاء رجل من اقصى المدينة
١٩٤	أقبل ولا تخف انك من الامنين	١٨٧	قال عسى ربي ان يهديني سواء
١٩٤	يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي	١٨٨	اني ذاهب الى ربي سيهدين
١٩٤	وادخل يدك في جيبك	١٨٨	ولما ورد ماء مدين
١٩٤	تخرج بيضاء من غير سوء	١٨٩	وجد عليه امة من الناس
١٩٥	في تسع ايات الى فرعون	١٨٩	ووجد من دونهم امرأتين
١٩٥	انهم كانوا قوماً فاسقين	١٨٨	قال ما خطبكما قالتا لانسقي حتى
١٩٥	فسجدوا الا ابليس كان من الجن	١٨٨	ثم تولى الى الظل قال رب
١٩٥	واضم اليك جناحك من الريب	١٨٩	اني اريد ان انكحك احدى ابنتي
١٩٥	فذا نك برهانا من ربك الى فرعون	١٨٩	وما اريد ان اشق عليك
١٩٥	قال رب اني قتلت منهم نفساً	١٩١	ايما الاجلين قضيت فلا عدوان
١٩٦	وأخي هرون هو أفصح مني لساناً	١٩١	فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله
١٩٦	اني اخاف ان يكذبون	١٩١	قال لاهله امكثوا اني انست
١٩٦	سنشد عضك بأخيك	١٩٢	فلما اتاهانودي من شاطيء الوادي
١٩٦	واجعل لي وزيراً من اهلي	١٩٢	في البقعة المباركة (من الشجرة)
١٩٧	فلما جاءهم موسى بآياتنا	١٩٢	اني يا موسى اني انا الله رب العالمين

صفحة	الآية القرآنية	صفحة	الآية القرآنية
٢٠١	كل نفس ذائقة الموت	١٩٧	وقال موسى ربي اعلم بن جاء
٢٠٢	اني انا الله	١٩٧	انه لا يفلح الظالمون
٢٠٢	وما تلك بيمينك يا موسى	١٩٧	اذ هما في الغار
٢٠٢	ألقِ ما في يمينك	١٩٨	وقال فرعون يا ايها الملاء
٢٠٢	وما تلك بيمينك يا موسى	١٩٨	فأوقد لي يا هامان على الطين
٢٠٣	قال هي عصاي اتوكأ عليها	١٩٨	لعلي اطلع الى اله موسى
	اهشُّ بها على غنمي	١٩٨	اني لأظنه من الكاذبين
	ولي فيها مآرب اخرى	١٩٨	استكبر هو وجنوده في الأرض
	قال القها يا موسى فألقاها	١٩٨	فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم
	فألقه في اليم	١٩٩	وهل اتاك حديث موسى
	يلقون السمع	١٩٩	فلما اتاها نودى يا موسى
٢٠٤	وألقينا بينها العداوة والبغضاء	١٩٩	اني انا ربك
	خذها ولا تخف	١٩٩	فاخلع نعليك
	واضم يدك الى جناحك	١٩٩	انك بالوادي المقدس طوى
	فإذا هي حية تسمى	٢٠٠	وانا اخترتك فاستمع لما يوحى
	قال خذها ولا تخف	٢٠٠	اني انا الله لا اله الا انا
٢٠٤	واضم يدك إلى جناحك		وتقولون انه لمجنون وما هو الا
	تخرج بيضاء من غير سوء	٢٠٠	ذكر للعالمين
	آية اخرى	٢٠٠	ولقد انزلنا اليك كتابا
٢٠٥	لنريك من آياتنا الكبرى	٢٠٠	ولقد انزلنا اليك ذكراً
	إذهب الى فرعون انه طغى		فأسألو اهل الذكر ان كنتم لا
	واستكبر هو وجنوده في الارض	٢٠٠	تعلمون
	ان فرعون علا في الأرض	٢٠٠	ان الساعة آتية اكاد اخفيها
	قال رب اشرح لي صدري	٢٠١	اكاد اخفيها

الآية القرآنية

صفحة

ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ٢٠٩
قال المأ من حوله انه لساحر علم
قالوا أرجه وأخاه
وابعث في المدائن حاشرين
يأتوك بكل سحّار علم
فجمع السحرة لميقات يوم معلوم
وقيل للناس هل انتم مجتمعون
لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم
الغالبين
فلما جاء السحرة قالوا لفرعون
قال نعم وانكم لمن المقربين ٢١٠
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون
قالوا يا موسى اما ان تلقى
قال لهم موسى بل القوا
وقالوا بعزة فرعون انا لنحسن
الغالبون
فألقى موسى عصاه
فاذا حبالهم وعصيهم تخيل اليه من ٢١١
قلنا لا تخف انك انت الأعلى
واحلل عقدة من لساني
قالوا آمنا برب هرون وموسى ٢١٢
آمنتم له قبل ان اذن لكم
انه لكبيركم الذي علمكم السحر
ولأصلبكم في جذوع النخيل

الآية القرآنية

صفحة

ويسر لي امري
واحلل عقدة من لساني
واجعل لي وزيراً من اهلي ٢٠٦
اني رسول من رب العالمين
فأتيا فرعون فقولا انا رسولا
أن أرسل معنا بني اسرائيل
لا تعذبهم
قال فرعون ألم نربك فينا وليدا
ولبثت فينا من عمرك سنين
وقفلت فعلتلك التي قفلت
قال فعلتها اذاً وأنا من الضالين
ووجدك ضالاً فهدى ٢٠٧
فوهب لي ربي حكماً وجعلني من
المرسلين
وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت
قال فرعون وما ربّ العالمين
قال ربّ السموات والأرض
قال لمن حوله الا تسمعون
ربكم ورب ابائكم الأولين ٢٠٨
ان رسولكم الذي ارسل اليكم
قال ربّ المشرق والمغرب وما بينهما
قال لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك
قال موسى او لو جئتكم بشيء مبين
قال فأت به ان كنت من الصادقين

٢١٨ واذا قلتم يا موسى لن نصبر
اهبطوا مصر فان لكم ما سألتكم
فاخذتكم الساعة وانتم تنظرون
أموات غير احياء وما يشعرون
٢١٩ أموات غير احياء وما يشعرون
ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم
وتزلنا عليكم المن والسلوى كلوا
من طيبات
وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم
بل الله يمين عليكم ان هذا لكم للايمان
٢٢٠ كلوا من طيبات ما رزقناكم
وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
واذا قلنا ادخلوا هذه القرية
وادخلوا الباب سجداً
وقولوا حطة
نفعل لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ٢٢١
فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي
٢٢١ قيل لهم
وواعدنا موسى ثلاثين ليلة
وقال موسى لاختيه هرون اخلفني
في قومي ٢٢١
واتخذ قوم موسى من بعده ٢٢٢
الم يروا انه لا يكلمهم

قالوا لا خير انا الى ربنا منقلبون
وأوصينا الى موسى ان سر
انكم متبعون
فأرسل فرعون في المداين حاشرين ٢١٣
وانهم لنا لغائطون
وانا لجميع حاذرون
فاتبعوهم مشرقيين
فلما تراءى الجمعان
قال اصحاب موسى انا لمدركون
قال كلا ان معي ربي
وانجينا موسى ومن معه اجمعين
الان وقد عصيت قبل ٢١٤
فأراه الآية الكبرى
فكذب وعصى فحشر ونادى
فأخذه الله نكال الآخرة ٢١٥
وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
وتمت كلمة ربك الحسنی
وجاوزنا لبني اسرائيل البحر
فأتوا على قوم يمكفون على اصنام
قالوا يا موسى اجعل لنا الها ٢١٦
انكم قوم تجهلون
قال غير الله ابغىكم الها
وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا
كلوا واشربوا من رزق الله ٢١٧

الآية القرآنية	صفحة	الآية القرآنية	صفحة
قال يا موسى اني اصطفيتك وبكلامي واعلموا اما غنمتم من شيء خذ ما أتيتك ولكن من الشاكرين وكتبنا له في الألواح من كل شيء ٢٢٩ وأمر قومك يأخذوا بأحسنها اتبعوا احسن ما انزل اليكم ١٣٠ انزل احسن الحديث الى قومه غضبان أسفاً قال يا قومي قالوا ما خلفنا موعداً ٢٣١ ولكن حملنا اوزاراً من زينة القوم فقدفناها فكذلكلقى السامري ولما سقط في ايديهم ورأوا انهم والقى الألواح موسى وأخذ برأس اخيه يحرقه اليه قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ٢٣٢ رب اغفر لي ولأخي وادخلنا فما خطبك يا سامري ٢٣٣ قال بصرت بما لم يبصروا به ٢٣٣ فقبضت قبضة من اثر الرسول ٢٣٣ قال فاذهب فان لك في الحياة ٣٣٤ وان لك موعداً لن تخلفه وانظر الى إهلك الذي ظلت عليه		اتخذوه وكانوا ظالمين فقال هذا الهكم واله موسى ولقد قال لهم هرون من قبل قالوا لن نبرح عليه عاكفين ٢٢٣ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه وما اعجبك عن قومك يا موسى قال هم هؤلاء على اثري ٢٢٤ قال فأما قد فتننا قومك قال ربي ارني انظر اليك ٢٢٤ ارجع الى ربك فاسأله اما احداً فيسقي ربه خمرأ ربي ارني انظر اليك معلم مجنون ٢٢٥ فلو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم ولقد رآه نزلة اخرى كلّمه ربه ٢٢٦ لن تراني ولكن انظر الى الجبل ٢٢٧ ارني انظر اليك فلما تجلّى ربه للجبل جعلهُ دكاً فخرّ موسى صعقاً ٢٢٨ فلما أفاق قال سبحانك	

الآية القرآنية	صفحة	الآية القرآنية	صفحة
وجعلنا منهم القردة والخنازير		ولما سكنت عن موسى الغضبُ	
ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم		اخذ الألواح	٢٣٥
فانها محرمة عليكم اربعين سنة		وفي نسختها	
واذ قال موسى لقومه ان الله	٢٤٠	هدى ورحمةً للذين هم لربهم يرهبون	
قالوا اتخذها هزأً		يا قوم ادخلوا الارض المقدسة	
قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين		قالوا يا موسى ان فيها قوماً جبارين	
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي		قال رجلان من الذين يخافون	
قال انه يقول انها بقرة لا فارض	٢٤١	انعم الله	٢٣٦
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها		فاذا دخلتموه فانكم غالبون	
قال انه يقول انها بقرة صفراء		وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين	
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي		قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابداً	
قال انه يقول انها بقرة لا ذلول		قال رب اني لا أملك إلا نفسي	
ولا تسقي الحرت	٢٤٢	واذ قال موسى لقومه يا قومي	٢٣٧
تشير الأرض		فتوبوا الى بارئكم او فاقتلوا	
فذبجوها وما كادوا يفعلون		فلما اخذتهم الرجفة قال رب	
واذ قتلتم نفساً فادراًتم		واياي	
قتلتم نفساً		ربي ارني انظر اليك اتهلكنا	
والله مخرج ما كنتم تكتمون	٢٤٣	واتبع النور الذي انزل معه	١٢٨
ولقد قال لهم هرون من قبل		فاولئك هم المفلحون	
قالوا لن نبرح عليه عاكفين		ادخلوا الباب سجداً	
ما درأتم فيها		لا تعدوا في السبت	
والله مخرج ما كنتم تكتمون		واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً	٢٣٩
قل فلم تقتلون انبياء الله	٢٤٤	فما نقضتم ميثاقهم لعناهم	
اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى	٢٤٥	وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون	

الآية القرآنية	صفحة	الآية القرآنية	صفحة
وأناه الله العلم والحكمة	٢٥١	أموات غير احياء وما يشعرون	
ولقد آتينا داؤد وسليان علماً		يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله	
وداؤد وسليان اذ يحكمان		واللرسول	٢٤٥
اذ تعشت فيه غنم للقوم		ويريكم آياته	•
وكنا لحكمهم شاهدين		لعلكم تعقلون	٢٤٦
ففهمناها		ثم قست قلوبهم من بعد ذلك	
وكلا آتينا حكماً وعلماً	٢٥٢	وان من الحجارة لما يتفجر من الانهار	
وسخرنا مع داؤد الجبال	٢٥٣	وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء	
وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم		وان منها لما يهبط من خشية الله	
ولقد آتينا داؤد منا فضلاً		وقال لهم نبينهم ان الله قد بعث	٢٤٧
اوبي معه		ام يحسدون الناس على ما اناهم	
وألنا له الحديد		قالوا انى يكون له الملك علينا	
أن اعمل سابغات	٢٥٤	ولم يؤت سعة فهو المال	
وقدر في السرد		قال ان الله اصطفاه عليكم	
واذكر عبدنا داؤد ذي الأيد		وزاده بسطة في العلم والجسم	
انه اوّاب		ولما فصل طالوت بالجنود	٣٤٨
انا سخرنا الجبال معه يسبحن		فاشربوا بايديكم فانها افضل انيتكم	٢٤٩
بالعشي والاشراق	٢٥٥	فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه	
والطير محشورة		لا طاقة لنا بجالوت وجنوده	
كل له اوّاب		قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله	
وشددنا ملكه		كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة	
واتيناه الحكمة		ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا	٢٥٠
وفصل الخطاب		فسربوا منه الا قليلا	
وهل اناك نبأ الخصم		فهزموهم باذن الله وقتل داؤد جالوت	

صفحة الآية القرآنية

فتبسم سليمان ضاحكاً من قولها ٢٦٤
قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
وتفقد الطير قال ما لي لا ارى
الهدهد

الحمد لله فاطر السموات والارض
فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك
وتفقد الطير

لاعذبه عذاباً شديداً او لاذبحنه
وما تنزل الا بأمر ربك ٢٦٦

او ليأتيني بسلطان مبين
احطت بما لم تحط به وجنتك
اني وجدت امرأة تملكهم
وأوتيت من كل شيء

ولها عرشا عظيم ٢٦٧
وجدتها وقومها يسجدون للشمس
فصدم عن السيل فهم لا يهتدون
الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء
ويعلم ما تخفون
وما تعلمون

الله لا إله الا هو رب العرش العظيم ٢٦٨
سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين
اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم
قالت يا ايها الملأ اني القي إلي ٢٦٩

صفحة الآية القرآنية

اذ دخلوا على داود ففرع
واهبطوا الى سواء السراط
ان هذا اخي له تسع وتسعون

فقال اكفنيها وعزني في الخطاب ٢٥٦
قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك
وظن داود انما فتبه فاستغفر ربه

قال لهم نبهم ان اية ملكه ان يأتيتكم ٢٥٨
وخر راکعاً وأناً
فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى

فاحكم بين الناس بالحق
ولن تجد لسنة الله تبديلاً ٢٦٠
فيضلك عن سبيل الله

ووهبنا لداود سليمان نعم العبد
وورث سليمان داود ٢٦١
يا ايها الناس علمنا منطق الطير

يا ايها الناس
علمنا منطق الطير
اوتينا من كل شيء ١٦٢

ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
ويسألونك عن ذي القرنين
وحشر لسليمان جنوده من الجن

حتى اذا اتوا على وادي النمل ٢٦٣
لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم
لا يشعرون

انها كانت من قوم كافرين
 قيل لها ادخلي الصرح
 قال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً
 قيل لها ادخلي الصرح
 حسبته لجة وكشفت عن ساقها ٢٧٤
 يوم يكشف عن ساق
 انه صرح ممرد من قوارير
 قالت ربي اني ظلمت نفسي
 وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين
 وسليمان الريح غدوها شهر
 ورواحها شهر ٢٧٥
 غدوها شهر ورواحها شهر
 وأرسلنا له عين القطر
 ومن الجن من يعمل بين يديه
 باذن ربه ٢٧٥
 يعملون له ما يشاء من محاريب
 وجفان كالجواب
 وقدور راسيات
 عذاب السعير
 والشياطين كل بناء وغواص ٢٧٧
 ومن يزغ منهم عن أمرنا ٢٧٨
 واتبعوا ما تتلوا الشياطين على
 ملك سليمان ٢٧٨

انه من سليمان وانه باسم الله
 الرحمن الرحيم
 الا تعلو عليّ وأتوني مسلمين
 قالت يا أيها الملأ افتوني في امري
 والامر اليك فانظري ماذا تأمرين
 قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية
 وجعلوا اعزة اهلها أذلةً ٢٨٠
 واني مرسل اليهم بهدية فناظرة
 فلما جاء سليمان قال اتحدوني
 ارجع اليهم
 فلنأتينهم يحنود لا قبل لهم بها
 ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني
 قبل ان يأتوني مسلمين
 قال عفريت من الجن ٢٧١
 انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك
 قال الذي عنده علم من الكتاب
 انا آتيك به قبل ان يرتد
 فلما رآه مستقراً عنده
 قال هذا من فضل ربي ٢٧٢
 قال نكروا لها عرشها ننظراتهتي
 ننظر اتهتي ام تكون من الذين
 فلما جاءت قيل اهكذا عرشك
 واوتينا العلم من قبلها ٢٧٣
 وصدها عما كانت تعبد من دون الله

الآية القرآنية	صفحة	الآية القرآنية	صفحة
قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي	٢٧٨	وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل	٢٧٨
وهبنا لداود سليمان نعم العبد ٣٨٤ فقال اني احببت حب الخير حتى توارت بالحجاب ٢٨٥ فقال ردوهم علي	٢٧٩	كل بناء وغواص وآخرين مقرين في الازفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك وان له عندنا لزلزلى وحسن مأب فلما قضينا عليه الموت وتلك الأمثال نضربها للناس ٢٨٠ فلما قضى عليه الموت ما دهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته ٢٨١	٢٧٩
وان يونس لمن المرسلين ٢٨٦ وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه ولقد كذبت رسل من قبلك ٢٨٧ فسام فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم ٢٨٨ فلولا انه كان من المسبحين فنادى في الظلمات ان لا اله الا الله ٢٨٩ وأرسلناه الى مائة الف والعاقبة للمتقين فنبذناه بالعراء وهو سقيم ٢٩٠ وأنبتنا عليه شجرة من يقطين فآمنوا فمتعناهم الى حين اذ قالت امرأة عمران رب ٢٩١ فلما وضعتها قالت رب وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيزها ٢٩٢ فقبلها ربها بقبول حسن	٢٨١	وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرت واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم ٢٨٢ فلما خر تبينت الجن ان لو في العذاب المهين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجداً خروا له سجداً ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب ولقد فتنا سليمان وألقيناه على كرسيه جسداً اموات غير احياء (ثم أناب)	٢٨٢
	٢٨٣		

صفحة	الآية القرآنية	صفحة	الآية القرآنية
٣٠٢	اسمه المسيح ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلاً قال ربي اني يكون لي ولد ولم اكُ بغياً قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امراً فانما يقول له	٢٩٢	وانبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها ان الله يرزق من يشاء بغير حساب كهيص ذكر رحمة ربك عبده زكريا واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً ويرث من آل يعقوب يا زكريا انا نبشرك بغلام قال رب هب لي من لدنك فنادته الملائكة
٣٠٣	والحكمة والتوراة والانجيل ورسولاً الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بأية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهينة الطير فيكون طيراً بإذن الله	٢٩٣	وهو قائم يصلي في المحراب ٢٩٤ ان الله يبشرك بيحي مصدقاً وإذ قالت الملائكة يا مريم وما كنت اذ يلقون اقلامهم وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ٢٩٧ اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك
٣٠٤	وابراً الاكمه والابرص صم بكم عمي فهم لا يبصرون واحى الموتى بإذن الله اموات غير احياء وكنتم امواتاً فأحياكم وانبئكم بما تآكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ومصدقاً لما بين يدي من التوراة	٣٠٠	يا مريم اقنتي لربك ٣٠١ واسجدي واركعي ٣٠١ ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك ٣٠١ اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك
٣٠٥			

ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم
 ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم
 واذكر في الكتاب مريم
 اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقياً ٣٠٦
 فاتخذت من دونهم حجاباً
 فأرسلنا لها روحنا
 نزل به الروح الامين على قلبك
 فتمثل لها بشراً سوياً
 قالت اني اعوذ بالرحمن منك
 قال انا رسول ربك لاهب لك
 قالت انى يكون لي غلام
 قال كذلك قال ربك ٣٠٧
 هو علي هين وقد خلقتك
 ولنجعله آية للناس ورحمة
 فأجاءها المخاض الى جزع النخلة
 قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت ٣٠٨
 فناداها من تحتها
 ان لا تحزني قد جعل ربك
 تحتك سرياً
 وهزي اليك يجزع النخلة
 فأما ترين من البشر احد
 فأنت به قومها تحمله قالوا يا مريم ٣٠٩
 يا اخت هرون ما كان ابوك
 يا اخت هرون
 وما كان أبوك امرأ سوءٍ
 فأشارت اليه

قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً
 قال اني عبد الله اتاني الكتاب ٣١٠
 اين ما كنت
 واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً
 ولم يجعلني جباراً شقياً
 والسلام عليّ
 يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حياً
 ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه
 فلما احسن منهم الكفر قال من
 النصارى ٣١١
 ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول
 اذا قال الحواريون يا عيسى بن مريم
 قالوا نريدان فأكل منها وتطمئن
 قلوبنا ٣١٢
 قال عيسى بن مريم اللهم ربنا
 انزل علينا
 واذا وصيت الى الحواريين ان امنوا
 هذا سحر مبين
 اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك
 ورافعك الي ٣١٣
 ومطهرك من الذين كفروا
 وجاعل الذين اتبعوك
 فوق الذين كفروا الى يوم القيامة
 ثم اني مرجعكم فاحكم بينكم
 فأما الذين كفروا ما عذبهم
 واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 والله لا يحب الظالمين

وان الساعة آتية
 فاصفح الصفح الجميل
 ان ربك هو الخلاق العليم
 ولقد اتيناك سبعا من المثاني
 والقرآن العظيم
 لا تمدن يمينك الى ما منعنا
 من الكفار والمنافقين
 الى الاجل المعلوم
 واخفض جناحك للمؤمنين
 وقل اني انا النذير المبين
 فوربك لنسألنهم اجمعين
 الذين يجعلون مع الله الها اخر ٣٣٥
 وظلمهم السامري واتخذوا العجل
 انا فتحنا لك فتحا مبينا ٣٣٦
 لينفرك لك الله ما تقدم
 ويتم نعمته عليك
 ويهديك صراطا مستقيما
 وينصرك الله نصرا عزيزا
 ليظهره على الدين كله
 ان فتحنا لك فتحا مبينا
 سبحانه الذي اسرى بعبده ليلا ٣٣٧
 سبحانه الذي اسرى بعبده ليلا
 واسرى به ليلا
 ما كذب الفؤاد ما رأى ٣٣٨
 ما زاغ البصر وما طغى
 وكذلك نرى ابراهيم ملكوت
 السموات

ذلك نتلوه عليك من الايات
 واذا قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل ٣١٧
 انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ٣١٩
 والذين يقيمون منكم ويذرون ازواجا
 فاذا بلغن اجلهن فلاجناح عليهن ٣٢٠
 لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
 والذين كفروا من اهل الكتاب
 قد سمعت دعاءك وأجبتة وباركته
 يا هاجر امة ساره ارجعي الى
 سيدتك ٣٢١
 اسحق من قبله ثم حوّل الله سبحانه
 جاء الله من سيناء واشرق من ساعير
 هو الذي بعث في الامة رسولا ٣٣٧
 ذلك الفضل يؤتيه من يشاء ٣٢٨
 قل يا ايها الناس اني رسول الله
 النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
 النبي الامي ٣٢٩
 وما كنت تتلو من قبله من كتاب
 وقالوا معلم مجنون ٣٣٠
 ولقد نعلم انهم يقولون انما
 واتزلنا عليك الذكر لتبين للناس ٣٣١
 لا تحرك به لسانك لتعجل به انا علينا
 وانذر عشيرتك الاقربين
 يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
 من ربك ٣٣٢
 وما خلقنا السموات والارض
 وما بينها ٣٣٣

ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ٣٤٣
يد الله فوق ايديهم
فمن نكث
هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ٣٤٤
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
انا لننصر رسلنا والذين امنوا
في الحياة
محمد رسول الله والذين معه
اشداء على
محمد رسول الله والذين معه
رحماء بينهم
ترام ركعاً سجداً ٣٤٦
يبتغون فضلاً من الله ورضواناً
ذلك مثلهم في التوراة
ومثلهم في الانجيل
كزرع اخرج شطأه
فآزره
فاستلفظ فاستوى
يمجب الزراع
ليفيظ الكفار
وعد الله آمنوا وعملوا الصالحات
مغفرة واجراً عظيماً
انا اعطيناك الكوثر فصلي لربك
فصلي لربك وانحر
اني أرى في المنام اني اذبحك ٣٤٨
ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة

لنريه من آياتنا ٣٣٩
لقد رأى من آيات ربه الكبرى
شديد القوى ذو مرة فاستوى
انه هو السميع البصير
الى المسجد الأقصى
الذي باركنا حوله
لنريه من آياتنا ٣٤٠
هو الذي انزل السكينة
وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين
امن الرسول بما انزل اليه من ربه
سبحانك تبث اليك فانا اول
والذين امنوا بالله ورسله ٣٤١
وجيء بالنبئين والشهداء
فكيف اذا جئنا بك على هؤلاء
شهيدا
ايها الصديق
ليزداد ايماناً مع ايمانهم
وقد كانوا قبل ذلك مؤمنين
ولله جنود السموات والارض
وان جندناهم الغالبون ٣٤٢
انا ارسلناك شاهداً
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
ومبشراً ونذيراً
لتؤمنن بالله ورسوله
وتقرروه وتوفروه وتسبحوه
بكرة وأصيلاً

الى الناس
ويوم الحج الأكبر
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي ٣٥٦
اذا جاء نصر الله والفتح
فسبح بمجد ربك ٣٥٧
واستغفروه انه كان تواباً ٣٥٨
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
من ربك
وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله
يعصمك من الناس
واذ قال ربك للملائكة اني جاعل
في الأرض ٣٥٩
انا خير منه خلقتني من نار
اخرج منها فما يكون لك ان تتكبر ٣٦٠
واقل عليهم نبأ ابني ادم بالحق
اذ قربا
قل ارأيتم ان كان من عند الله
وكفرتم ٣٦١
فضرب لهم بسور له باب باطنه
فيه الرحمة ٣٦٤
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
ليس البر ان تأتوا البيوت من ظهورها ٣٦٥
في كتاب مكنون لا يمسه الا
المطهرون ٣٦٦

الم نشرح لك صدرك
ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك
ورفعنا لك ذكرك
فان مع العسر يسراً
ان مع العسر يسراً
فاذا فرغت فانصب
والي ربك فارغب ٣٤٩
ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي أحسن
ان ربك اعلم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً
وداعياً الى الله باذنه ٣٥٠
وسراجاً منيراً
الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى ٣٥٢
وبما رزقناهم ينفقون
يؤتكم كفلين من رحمته ٣٥٣
ويجعل لكم نوراً تمشون به
ويغفر لكم والله غفور رحيم
وأذان الله ورسوله يوم الحج
افمن كان على بينة من ربه ٣٥٤
ويتلوه شاهد منه
وأذان من الله ورسوله
قد أذنتكم على سوءٍ ٣٥٥

الكتب والمخطوطات التي ورد ذكرها

اسم الكتاب	ارقام الصفحات
القرآن	٦ ، ٦٩ ، ٧٩ ، ١٠٠ ، ٢٢٧ ، ٢٦٢ ، ٢٧٦ ، ٣٠١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٦١
التوراة	٦ ، ٦٩ ، ١٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٤٦
الانجيل	٦ ، ٦٩ ، ١٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣١٨ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٤٦
دعائم الاسلام	٩ ، ١٣ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٥ ، ٩١ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٥٦
عيون الاخبار	١٠
الوفيات	١٠
رفع الاصر	١٠
الولاية والقضاة	١٠
كتاب الهمة	١٠
خمس رسائل اسماعيلية	١٠
رسائل اخوان الصفاء	١١
سيرة جعفر الحاجب	١١
حدود المعرفة	٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠
الرضاع في الباطن	٣١٦
الزبور	٣٢٣ ، ٣٤٤

فهرس الاماكن والبلدان

اسم المكان او البلد	رقم الصفحات	اسم المكان او البلد	رقم الصفحات
ابي قبيس	٧٥	بيت المقدس	٣٢٥، ٣٢١، ٢٩٨، ١٧٦
البتينة	١٧٧	٣٣٨، ٣٣٧	
البيت الحرام	٢٩٩	حضر موت	١٠٦
الجودي	١٠٦	زمزم	١١٧
الحجاز	١٩١، ١٧٩	سلمية - سوريا	٣٦٨، ١١
اريجيا	٢٩٨	سيناء	٣٢٥، ٣٢١، ٢٩٨
الصفاء	١١٧، ١١٦	حبرون	٢٩٨
الطور	١٩١	شريعة الغور	٢٩٨
القاهرة	٣٦٨، ٢٣	الشام	٢٩٨، ٢١٦، ١٧٦، ١٤٠
افريقيا	٢١	صحراء التيه	٢٩٨، ١٧٦
المنصورية	٣٦٨، ١٤	بابل	٣٣٥، ٣٢٤
المزاده	٤٠	دمشق او الشام	٣٢٦، ٣٢٥، ١٧٧
المروة	١١٧، ١١٦	كفر حارس	٢٩٨
الموصل	١٧٧، ١٠٦	كيبالا - او غندا	٢١
بشر سبع	٣٢٢	فاران	٣٣٦، ٣٢٣، ٣٢١، ٧٥
ارمينيا	٢٩٨	عدن	٧٥
المدائن	٢٠٩	مصياف سوريا	٣٦٨، ٢١
الاسكندرية	٨٠	مكة	٣٢٥، ١٧٧، ١١٥، ١٠٦، ٧٥
الاندلس	١٢	٣٦٨، ٣٥٤	
المغرب	١١	مدين	١٨٨، ١٧٩، ١٧٧، ١٧٥، ١٦٨

اسم المكان او البلد ارقام الصفحات

٣٢٤	حويرب
٣٢٥	الحبشة
٣٥٨, ٣٣٥, ٣٣٢	غدير خم
٣٦٧	البصرة
٣٦٨	الكوفة
٣٦٥	سامراء
٣٦٨	كربلاء
٣٦٨	المدنية
٣٦٨	الحمية
٣٦٨	المهدية
٣٦٨	تدمر
٣٦٨	محمد اباد

اسم المكان او البلد ارقام الصفحات

١٧٨, ١٧٧, ١٧٦, ١٤٤, ١٤٠	مصر
١٨٠, ١٩١, ١٦٩, ١٧٩	
٢٩٨, ٢١٨, ١٩٦, ١٨٤	
٣٢٣	
٢٩٨, ١٧٧	نابلس
١٧٧	نينوى
٣٢٥, ٧٥, ٢١	اليمن
٣٠٩	طبريا
٣٢٥, ٣٢١	ساعير
٣٢١	الجليل
٣٣١	لبنان
٣٣٦	يتان

فهرس بأسماء الاعلام

« أ »

الاسم	ارقام الصفحات	الاسم	ارقام الصفحات
أبو طالب	٣٢٦، ٣٣٢، ٣٢٥	الخلود	١٠٦
أبو بكر	٣٦٧، ٣٥٤	اخنوخ	٢٥
ابراهيم	٥١، ٤٥، ٤١، ٤٠، ٣٥، ٣٣	ادم	٥٥، ٥٤، ٥١، ٤١، ٤٠، ٣٨، ٣٣
	٩٤، ٩٣، ٧٥، ٧٤، ٦٤، ٥٢		٦٧، ٦٣، ٦٢، ٥٩، ٥٨، ٥٧، ٥٦
	١١٠، ١٠٩، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٦		٧٥، ٧٤، ٧٢، ٧١، ٧٠، ٦٩، ٦٨
	١١٦، ١١٥، ١١٤، ١١٣، ١١٢		١٠٧، ١٠٧، ١٠٦، ٩٣، ٨٤، ٧٦
	١٢٢، ١٢١، ١١٩، ١١٨، ١١٧		٣٥٩، ٣٠٥، ١٧٩، ١١٦، ١١٤
	١٢٩، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٦، ١٢٣	٣٦١	
	١٦٥، ١٤٦، ١٣٦، ١٣٢، ١٣٠	ادريس	١٠٨، ٧٥، ٧٣، ٥٠
	٢٦٥، ١٧٩، ١٧٨، ١٧٧، ١٧٦	أد	١٧٧
	٣٣٨، ٣٢٢، ٣٢٠، ٢٩٩، ٢٩٨	ارم	١٠٦
	٣٦٧، ٣٦٠، ٣٤٧	ارفكشاد	١٠٦
ابليس	٧١، ٦٩، ٦٣، ٦٢، ٥٧، ٥٥	ارميا	٣١٤
	٣٥٩، ٢٥٧، ٨٩، ٧٥، ٧٤، ٧٢	الزبير	٣٦٧
الحكيم لقمان	٢١	اسرائيل	٢٠٧، ٢٠٦، ١٧٨، ١٠٠
احمد بن عبدالله (الوفي)			٣٢٢، ٣١٧، ٢٢١، ٢١٦، ٢١٥
الحسين	٣٦٨، ١٠٢	٣٦١، ٣٣٢، ٣٢٥، ٣٢٤	
الحسين (الرضي)		اسماعيل	١١٧، ١١٦، ١١٥، ١٠٧
الحسن	٣٦٧		١٧٦، ١٢٩، ١٢٦، ١٢٥، ١٢٤

الاسم أرقام الصفحات

٤٣	٤٣، ٥١، ٤٣، ٥١، ٧٤، ٧٥
٩٤	١٧٦، ١١٦، ٩٤، ٢٩٤، ٢٩١، ١٧٧
٢٩٥	٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠١
٣٠٣	٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨
٣٠٩	٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣
٣١٧	٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١
٣٢٢	٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨
٣٣٩	٣٣٠، ٣٣٩
النعمان بن محمد	٩، ١٠، ١٤، ٣١٨
انوش	٧٥
النضر	٣١٤
اوريان حنان	٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩
الهميسع	١٧٧
الياس	٢٩٤، ٢٩٩
أيوب	٩٤، ١٠٧، ١٦٥، ١٧٧
اليشاماع	٢٩٨
ايليا	٣١٨، ٣٢٩
ايفانوف	١١
« ب »	
بلقيس	٢٧٤
بشر	١٧٧
بشار	٢٩٨
بريما	٢٩٨
بوعز	٢٩٨

الاسم أرقام الصفحات

١٧٧	٢٩٩، ٣١٤، ٣١٨، ٣٢٠
٣٢١	٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣٠، ٣٤٧، ٣٦٨
اسماعيل (المنصور)	
اسحق	٤٠، ٩٤، ١٠٧، ١١٦، ١٢٩
١٣٠	١٣١، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٦
١٧٦	١٧٧، ٢٩٨، ٣٢١
اسرافيل	٤٧، ٧٠
السامري	٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٣٣
٢٣٤	٢٤٣، ٢٦١، ٣٦٥
آسف	١٠٦
اسطفانوس	٣١٤
اشعيا	٣٣٣
آصف فيضي	٢٣
العزيز	١٤٤، ١٦١
اللميص	١٧٧
الغزي	٣٢٦
افرايم	١٧٧، ٢٩٨
القائم الفاطمي	١٤
القائم المنتظر	٤٠، ٤١، ٢١٠، ٢٨١
٣٢١	٣١٩، ٣٢١
اللات	٣٢٦
المؤيد في الدين	٨
لعين بن علي	٢٢
المسيح لو عيسى	٣٣، ٤٠، ٤١

الاسم ارقام الصفحات

« خ »

خزينة ٢٩٩

خديجة بنت خويلد ٣٢٧، ٣٢٦

خالد بن الوليد ٣٦٢، ٣٦١

« د »

دحية الكلبي ٢٦٦

داود ٢٥٣، ٢٥١، ٢٤٨، ١٧٨

٢٦٠، ٢٥٨، ٢٥٧، ٢٥٦، ٢٥٤

٣١٨، ٢٩٨، ٢٨٤، ٢٨١، ٢٦١

دانيال ٣٢٥

« ذ »

ذو النون ٢٨٦

ذو القرنين ٢٦٢، ١٠٦

« ر »

رازح ١٧٧

رعوثيل ١٧٧

رعو ١٠٦

رجاح ١٠٦

ريم ٢٩٨

راشف ٢٩٨

رافع ٢٩٨

« ز »

زكريا ٢٩٢، ٢٩١، ١٧٨، ٩٤

٢٩٧، ٢٩٦، ٢٩٥، ٢٩٤، ٢٩٣

الاسم ارقام الصفحات

بجيرا الراهب ٣٢٥، ٣١٤

باركليتنس ٣٨

بارقليط ٣٢٣، ٣٢٢، ٣١٨

بطرس الرسول ٣١٤

« ت »

تالع ٢٩٨

« ث »

ثمود ١٧٥، ١٠٦، ١٠٤، ٩٨

« ج »

جعفر بن محمد ٤٨، ٢٤، ٢١، ٩، ٤٨

٣٦٨، ٣١٧، ١٧٢، ٦٥

جعفر الحاجب ١١

جبرئيل ٢٢٣، ٢٢٦، ٧٠، ٤٧

٣٣٨

جابر ٢٧٧

جرم ١٧٧

جالوت ٣٣٠، ٢٥٠، ٢٤٩، ٢٤٨

جرجس ٣١٤

« ح »

حواء ٧١

حصرون ٢٩٨

حام ١٠٦

حرقيل ٣١٤

حاذر ١٠٦

حيقون ٣٢٥

الاسم ارقام الصفحات

شالغ ١٠٦
شبا ٣٣٠

(ص)

صالح ١٠٦، ١٠٢، ١٠٠، ٧٦
صموئيل ٢٩٨
صهيون ٣٣٢، ٣٢٢
صهيب الرومي ٣٦٦

(ط)

طالوت ٢٥٠، ٢٤٨، ٢٤٧، ١٧٨
٢٩٨
طلحة ٣٦٧

(ع)

علي ١٠٢، ٩٤، ٨٣، ٦٢، ٤٠، ٧
٣٣٢، ٣٣١، ٣٠٣، ٢٤٤، ١٠٧
٣٥٧، ٣٥٥، ٣٥٤، ٣٥٢، ٣٤٨
٣٦٦، ٣٦٥، ٣٦٣، ٣٦٢، ٣٥٨
٣٦٨، ٣٦٧

عبد السلام بن رغبان (ديك الجن) ١١
عمران ٢٩٤، ٢٩٢، ٢٩١، ١٧٨
٣٠١، ٢٩٩، ٢٩٨، ٢٩٦، ٢٩٥

٣١٤

عارف قامر ٢٢
عبد الله بن سلام ٦٨
عيسو ١٧٧

الاسم ارقام الصفحات

٣٢٢، ٣٠٧، ٣٠١، ٢٩٩، ٢٩٨
٣٢٣

(س)

سانت اوغسطين ٨
ساره ٣٢١، ٣١٨، ١٧٦
سام ١٠٦، ٤٠
سليمان ٢٥٢، ٢٥١، ١٧٨، ٩٤
٢٦٤، ٢٦٣، ٢٦٢، ٢٦١، ٢٦٠
٢٧٤، ٢٧٣، ٢٧٢، ٢٧٠، ٢٦٩
٢٨١، ٢٨٠، ٢٧٩، ٢٧٨، ٢٧٥
٢٩٨، ٢٨٤، ٢٨٢

سبا ٣٣٠، ٢٧٣
سلامان ١٧٧
سروج ١٠٦
سرور ١٠٦
ساروغ ١٠٦
سارم ١٠٦
سلمون ٢٩٨
سمعان بن يونان ٣١٤

(ش)

شيث ٧٥، ٧٣، ٤٠
شمعون ٣١٤، ٤٠
شعيب ١٧٧، ١٧٥، ١٧٠، ١٦٨
١٩١، ١٨٩، ١٨٨، ١٧٩، ١٧٨

الاسم ارقام الصفحات

عدنان	٢٩٩، ١٧٧
عابر	١٠٦
عاد	١٠٦
عوص	١٠٦
عائر	١٠٦
عدي بن حاتم	١٤٧، ١٢٢
عميهوز	٢٩٨
عوفيد	٢٩٨
عمينوداب	٢٩٨
عبد المطلب	٣١٤، ٣٣١
عمر بن العاص	٣٤٧
عثمان بن عفان	٣٦٧، ٣٦٦
عائشة	٣٦٧
علي بن الحسين	٣٦٨
عبدالله بن محمد (الوفي)	٣٦٨
علي ابن الحسين (القائم)	٣٦٨
علي (الظاهر)	٣٦٨
عمر بن الخطاب	٣٦٧
غ	
غشون	٢٩٨
غالب	٣١٤

« ق »

قينا	١٠٦، ٧٥
قيذار	٣٢٥، ٣٢٤، ١٧٧
قابيل	٣٦١، ٦٣٠، ٨٤، ٧٣
قريش	٣٤٧

« ك »

كنانة بن خزيمه	٣١٤
كعب	٣١٤

« ل »

لوط	١٣٣، ١٣٢، ١٣١، ١٣٠، ١٢٩
لمك	٧٥
لعدان	٢٩٨
لوي	٣١٤

« م »

محمد	٤١، ٤٠، ٣٣، ٣٢، ١٧، ٩، ٧
	٨٣، ٧٧، ٧٦، ٥٧، ٥١، ٥٠، ٤٩، ٤٧

الاسم ارقام الصفحات

ف	
فاطمة	٩٥
فرعون	١٨٧، ١٨٦، ١٨٤، ١٨٢

« ف »

الاسم ارقام الصفحات

٣٤٨، ٣٤٧، ٣٤٠، ٣٣٥، ٣٣٤	
٣١٩، ٤٠	مهدي
٢٩٣، ٢٩٢، ٢٩١، ٩٤، ٤٣، ٣٢	مريم
٢٩٩، ٢٩٧، ٢٩٦، ٢٩٥، ٢٩٤	
٣٠٩، ٣٠٧، ٣٠٥، ٣٠١	
٧٥	متو شالح
٧٠، ٤٧	مبكايل
٢٩٩	معد
٢٩٩	مضر
٧٥	مهليل
٢٩٩	مدركة
٢٧٧	محمد بن علي بن الحسين
١٠٦	ماشج
٣١٤	مرقص
٣١٤	مروة الراهب
٣١٤	مالك
٣٢٩	مقي
٣٦٨	محمد بن اسماعيل
٣٦٨	محمد (الباقر)
٣٦٨	معد (المقر)
٣٦٨	معد (المستنصر)
« ن »	
٧٤، ٧١، ٥١، ٤١، ٤٠، ٣٣	نوح
٨٦، ٨٤، ٨٠، ٧٧، ٧٦، ٧٥	

الاسم ارقام الصفحات

١١٦، ١٠٨، ١٠٧، ٩٤، ٩١	
٢٠٠، ١٩٦، ١٧٧، ١٧٦، ١٧٢	
٣٠٥، ٣٠٣، ٣٠١، ٢٤٣، ٢٠٧	
٣١٧، ٣١٦، ٣١٥، ٣١٤، ٣٠٦	
٣٢٢، ٣٢١، ٣٢٠، ٣١٩، ٣١٨	
٣٢٧، ٣٢٦، ٣٢٥، ٣٢٤، ٣٢٣	
٣٣٧، ٣٣١، ٣٣٠، ٣٢٩، ٣٢٨	
٣٤٨، ٣٤٧، ٣٤٦، ٣٤٥، ٣٤٤	
٣٥٧، ٣٥٦، ٣٥٥، ٣٥٢، ٣٥١	
٣٦٢، ٣٦١، ٣٦٠، ٣٥٨، ٣٥٧	
٣٦٨، ٣٦٧، ٣٦٦، ٣٦٥	
٩	محمد بن جوير الطبري
١٤، ١١	محمد المهدي (عبيد الله)
٧٥، ٧٤، ٥١، ٤١، ٤٠، ٣٣	موسى
١٧٨، ١٧٦، ١٦٨، ١١٦، ٩٤	
١٨٤، ١٨٣، ١٨١، ١٨٠، ١٧٩	
١٩٢، ١٩١، ١٨٩، ١٨٧، ١٨٥	
١٩٧، ١٩٦، ١٩٤، ١٩٣	
٢٠٥، ٢٠٢، ١٩٩، ١٩٨	
٢١٠، ٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠٦	
٢١٥، ٢١٤، ٢١٣، ٢١٢، ٢١١	
٢٣١، ٢٣٠، ٢٢٨، ٢٢٧، ٢٢٦	
٢٣٦، ٢٣٥، ٢٣٤، ٢٣٣، ٢٣٢	
٢٤٣، ٢٤٢، ٢٤٠، ٢٣٨، ٢٣٧	
٢٥٨، ٢٤٨، ٢٤٧، ٢٤٦، ٢٤٤	
٣٢١، ٣١٤، ٢٩٨، ٢٩١، ٢٨٦	

الاسم ارقام الصفحات

« ي »

يوحنا المعمدان ٢٩٩، ٣١٨، ٣٢٢،
٣٢٦، ٣٢٩

يعقوب ٣٥، ٩٤، ١٠٧، ١٠٣، ١٣١،

١٣٥، ١٣٦، ١٤٦، ١٧٦، ١٧٨

٢٩٨، ٢٩٣

يوزا ٢٩٨

يارد ٧٥

يوسف ٩٤، ١٠٧، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧،

١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣،

١٤٤، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١،

١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧،

١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣،

١٦٤، ١٧٧، ٢٢٤، ٢٨٢، ٢٩٨

٣٤٠

يحيى ٩٤، ١٧٨، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥،

٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٧،

٣٠٩، ٣٢٢، ٣٢٣

يافث ١٠٦

يونس ١٧٧، ١٧٨، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨،

٢٩٨، ٢٩٩

يثرين ١٧٧

يوشع بن نوع ٢٤٢، ٢٩٨

يقدام ١٧٧

يونان ١٧٧

الاسم ارقام الصفحات

٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩٢، ٩٦، ٩٨،

٩٩، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٧٧

نزار ٢٩٩

نبت ١٧٧

ناحور ١٠٦

ناحس ٢٩٨

نزار (العزير) ٣٦٨

« ه »

هرون ٤٠، ٩٤، ١٧٨، ١٨١، ١٩٦،

٢٠٦، ٢١٢، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣١،

٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٩،

٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٥٨، ٢٩٨،

٣٠٩

هابيل ٧٣، ٨٤، ٣٦٠، ٣٦١،

هبة الله ٧٣، ٧٥

هنيذ ٧٥

هرمس ٧٥

هود ٧٦، ٩٧، ٩٩، ١٠١، ١٠٢،

١٠٦

هاجر ١٧٧، ٣٢١

هامان ١٩٨، ٢٧٣

هاشم ٣١٤، ٣٦١

« و »

ورقة بن نومل ٣٢٦، ٣٢٧

اعتذار واستدراك

نعتذر اشد الاعتذار عن عدة اخطاء مطبعية وقعت سهواً في كتاب « اساس التأويل » وخاصة في حركات تشكيل الآيات القرآنية ، وقد كان سبب ذلك صعوبة وقفت بيننا وبين القاء نظرة على « الطبعة » الاخيرة ومهما يكن من امر فهي اخطاء بسيطة بحد ذاتها لا تؤثر على الجوهر ولا تخفى على القاريء الكريم .

عارف تامر

controverse. L'Islam a éveillé par là la raison pour l'intéresser à sa mission, et renforcer ses facultés intellectuelles afin de permettre à la personne de pouvoir compter sur elle-même, et d'exprimer librement son opinion.

Voici donc un bref résumé de la théorie du « **Ta'ouil** », publiée par « **No'man ben Hayoune al Tamimi**, » dans son ouvrage intitulé « **Assas at Ta'ouil** », théorie que nous avons examinée dans tous les détails, en puisant dans nos conceptions ismaéliennes les thèmes nécessaires, et en nous inspirant uniquement de la croyance ismaélienne que nous considérons comme étant le seul moyen possible pour les chercheurs, de connaître les mystérieuses théories du « **baten** ».

Nous espérons que la tâche que nous avons assumée sera pour la science d'un certain secours ; nous avons ainsi rempli un devoir envers notre histoire, notre religion et notre philosophie arabes.

Aref Tamer

Beyrouth-Liban

1960

même, et qui représente la faculté la plus élevée de l'homme. On peut affirmer aussi que l'Islam n'a été en réalité qu'une règle morale qui interdit de faire le mal et recommande de faire le bien ; une gnose que renforce une foi toute puissante ; il est aussi la conscience qui régit tout homme intègre, ainsi que la pratique d'œuvres exemplaires et vertueuses.

Quoi qu'il en soit, le Coran sacré est là pour démontrer que la conception qu'apporte l'Islam n'est nullement contraire à la raison, il n'est d'ailleurs pas admissible qu'elle s'y oppose. Si cette conception n'était pas cohérente, elle n'irait pas de pair avec la raison, d'autant plus que la religion musulmane, depuis sa naissance, est une religion susceptible d'évolution.

Si nous lisons attentivement les versets du Coran, et si nous analysons ses préceptes à la lumière de la raison et de la réalité, nous en déduisons que l'homme doit raisonner et agir, regarder et méditer, considérer et rester vigilant. L'Islam est une conception universelle et générale, qui dirige l'homme dans sa vie et qui l'aide à acquérir pour lui et pour le genre humain un état de haute perfection spirituelle, morale et matérielle.

Aussi, la « connaissance », dans la religion de l'Islam, conditionne-t-elle la foi. Quiconque croit aveuglement, ne le fait pas librement, et la vraie croyance est celle qui se base sur des arguments, sur la compréhension et la choix librement consentie. Ce qui nous permet d'affirmer ce qui suit :

L'Islam est une révolution dirigée contre la raison statique, c'est un combat contre les théories arriérées, le fanatisme et le traditionalisme. Il a brisé les liens qui retenaient la liberté, pour permettre à la pensée de prendre son essor et de se propager. La liberté a pris ainsi une valeur particulière. Les principes musulmans furent établis à base de raisonnement et de témoignages, non pas par la violence et le traditionalisme, et ces principes, éclairés par la raison, restent l'objet d'une attention vigilante.

Il n'est donc plus possible à l'homme d'être une chose inerte, et d'accepter tout sans discernement. L'Islam a ainsi libéré l'intelligence humaine de l'emprise des traditions, il a donné son essor à la raison saine ; il s'est ainsi radicalement distingué des religions qui l'ont précédé, principalement en ce qui concerne la recherche et la

2° Le recours aux écrits divins et aux livres sacrés, par la méthode de « **ta'ouil** » gnostique « libre arbitre, promesses, réalisations ».

On peut donc dire que la méthode intellectuelle avait pour base une connaissance approfondie de la philosophie. Elle implique un système de croyances souple par essence, assoiffé de connaissance supplémentaires. Elle se refuse à accorder le moindre crédit aux concepts des traditions étrangères, tout intelligibles qu'ils soient.

La religion était, et n'a pas cessé, d'être emprisonnée dans une puissante forteresse, dont l'accès n'est rendu possible que par la pratique d'un système fondé sur la certitude rationnelle, et qui forme de par sa conception même, un ensemble cohérent : il n'est évidemment pas question de se fier à des apparences miroitantes, ou à des connaissances superficielles même si le temps les a transformées par la suite en tradition. Tout concept qui n'émane pas de la raison et n'est pas de son domaine, est naturellement appelé à disparaître en peu de temps.

Les versets du Coran ont été révélés sous une forme immédiatement accessible ; ils ne sont pas pour autant dépourvus de signification gnostique, comme d'ailleurs toute chose existante. Remarquons que le texte du Coran et son interprétation suscitent maintes controverses. Au contraire le « **ta'ouil** », et la découverte de la signification gnostique, constituent une méthode cohérente, non sujette à des variations, qui conduit à la vérité rationnelle, et qui s'adapte à chaque milieu.

Nous avons dit que le « **ta'ouil** » est la « connaissance », et qu'il était du ressort de l'imam et de son entourage. C'est pour cette raison que nous voyons le Prophète Mahomet recommander à ses Compagnons la recherche attentive de cette « connaissance ». Ce qui prouve que la « connaissance » littérale est facile à acquérir, tandis que le « **ta'ouil** » ne s'acquiert qu'après des recherches ardues, avoir franchi une série d'étapes, et accédé à une discipline intellectuelle appelée « Testament, Alliance et Promesses ».

D'une façon générale, on peut affirmer que Dieu a révélé sa religion à l'humanité, en la laissant libre de choisir la voie la plus sûre. Il a manifesté sa justice en octroyant à l'homme cette faculté d'utiliser les lumières de l'intelligence parfaite, qu'il a créée lui-

qu'ils étaient maîtres dans l'interprétation des préceptes de l'Islam. Ils ont parlé du « **baten**, » de sa nécessité, comme ils ont également parlé du « **zaher** » (évidence). Autrement dit, le « **zaher** » est inconcevable sans le « **baten** ». De même que le « **baten** » est inutile sans le « **zaher** », parce que le « **zaher** » et le « **baten** » sont comme le corps et l'âme.

Pour cette raison nous croyons que les deux livres « **Assas-at-Ta'ouil** » et « **Daâ'im-al-Islam** » édités par « **No'man ibn Hayoun** », présentent deux idées et deux directions intimement liées, à savoir le « **baten** » et le « **zaher** ». Le premier est considéré la base de la philosophie « **batinite** ». Le second comme base du « **fikh** » et de la « **chari'a** ».

C'est pourquoi nous sommes en droit de conclure que les ismaéliens n'utilisent pas que l'interprétation réaliste, mais interprètent la « **chari'a** » et le Coran allégoriquement et gnostiquement, en puisant à des sources dignes de foi. Cette manière d'interpréter représente à leurs yeux la raison primordiale, le **nous**. En ce cas nous pouvons dire des ismaéliens qu'ils sont rationalistes puisqu'ils ne font reposer leur religion que sur cette base. Le mouvement ismaélien est un mouvement d'ampleur mondiale, ou pour parler de façon plus savante, c'est une discipline intellectuelle destinée à renverser l'ordre politique qui régnait dans le monde musulman, et le but principal en était de révolutionner les pensées, et les conceptions religieuses.

Assurément... cette discipline intellectuelle impose justement à l'adepte la reconnaissance des principes du « **zaher** » et du « **baten** ». Ces deux principes qui sont étroitement liés, constituent l'esprit même de la religion, et sont obligatoires pour tout adepte et pour tout croyant. Le « **zaher** » est un concept général qui englobe les directives qui concernent la vie religieuse. Et le « **baten** » est l'esprit même de la religion, il est dissimulé aux regards, il est du domaine de l'élite. C'est pour cette raison que les apôtres ismaéliens propageaient leurs théories de deux manières et prêchaient leur discipline intellectuelle sous deux aspects.

1° Ce qui se rapportait aux prophètes et l'utilité d'y puiser des exemples, des édits, des préceptes, par la méthode littérale, appelant le monde à se rallier par le moyen « de la force et de la tradition ».

prophètes, tels qu'on la retrouve dans les trois livres inspirés : Bible, Evangile et Coran. Tout cela constituait un thème absolument secret, en tant qu'il dépassait les limites de la compréhension générale des classes populaires, qui pensait-on, n'avaient de la culture qu'une idée superficielle, et de la connaissance qu'une apparence.

Il est clair que le « **Ta'ouil** », dans le sens qu'attribuent effectivement au mot les ismaéliens, diffère du « **Tafsir** » dans la véritable acception du terme, tels que l'ont conçu les autres sectes islamiques. Le « **Tafsir** » signifie éclaircir tout terme obscur dont le sens échappe au lecteur. Si par exemple à la question « Quel est le « **Tafsir** » du mot arbre », nous nous répondons « C'est un plant repiqué qui se développe, et se ramifie en branches et en ramures, qui se couvrent de feuilles ; au printemps, elles portent des fleurs qui ne tardent pas à fructifier en fruits délicieux etc. » — Mais à la question « quel est le « **Ta'ouil** » du mot arbre », nous répondons « Que l'interprétation est du ressort du responsable direct du « **Ta'ouil** ». Il peut dire que c'est une pierre, ou un bœuf, ou un rocher, ou tout ce qui peut correspondre à la vérité, à la réalité et à la raison ». Et cette interprétation ne semblera pas invraisemblable ni déraisonnable. Le « **Ta'ouil** » est le sens profond, symbolique, qui exprime l'essence de l'objet ; c'est une vérité cachée par définition derrière une expression qui ne la dévoile pas. C'est pour cette raison que les préceptes idéologiques des ismaéliens ont donné le pouvoir du « **tafsir** » au Prophète — « **Natek** », mais le pouvoir du « **ta'ouil** » à l'imam » le premier était considéré comme représentant la « **chari'a** » et la loi concrète et le second représente la vérité, le « **ta'ouil** », la philosophie, et la loi cachée.

Et ceci nous amène à la ville d'Alexandrie et à son atmosphère de philosophie, et aux récits de « **Philon** » et de ses disciples, qui ont tenté le « **ta'ouil** » de la Bible, mais leur « **ta'ouil** » gnostique n'a pas été couronné de succès ; comme aussi « **St. Augustin** » ses disciples et son école ont tenté le « **ta'ouil** » gnostique de l'Evangile, mais ils ne sont pas arrivés à réaliser leur dessin pour plusieurs motifs sur lesquels on ne peut s'étendre ici ; puis sont venus les ismaéliens et ils ont répandu leurs dogmes, et les préceptes du « **ta'ouil** » ont été les premiers préceptes qu'ils aient mis en œuvre et proclamés. Il est donc clair qu'ils ont fertilisé la doctrine de leurs idées, et qu'il y ont introduit le « **ta'ouil** » rationnel qui interdit l'acceptation passive du récit. Bien sûr ils ont prouvé au monde musulman

INTRODUCTION

J'ai beaucoup hésité avant de mettre ce livre à l'impression car à la vérité je désirais le laisser dans les ténèbres du « **Takiah** », du secret des traditions ismaéliennes, à l'abri des curiosités profanes, parmi les autres manuscrits ismaéliens dont l'heure de publication n'est pas encore venue. Par ailleurs les informations qu'il est indispensable d'obtenir de ce livre en projet ne sont pas encore suffisantes, outre qu'il existe d'autres manuscrits dont la divulgation est plus urgente ; mais bien que la valeur de ces informations soit moins importante, ils constituent néanmoins une introduction à notre ouvrage.

Et maintenant lorsque je songe au « **Ta'ouil** » (interprétation secrète et mystique) dont nous sommes entrain de parler, je le comprends à travers le « **Assas-aT-Ta'ouil** » (Fondements du Ta'ouil), car celui-ci est le seul livre de la collection des manuscrits ismaéliens qui traite uniquement du Ta'ouil ; l'idée fondamentale de cette science est d'obtenir une représentation logique et rationnelle ; d'exposer de façon minutieuse et détaillée chaque phrase, et de projeter sur elle la lumière pour la rendre accessible à l'esprit.

Le « **Ta'ouil** » a été lors de l'apparition de la doctrine ismaélienne le projet fondamental de toute idée philosophique « **batinite** » (gnostique) ; il fut l'arbre qui grandit, pour donner naissance à différents rameaux ; il fut plus précisément la base sur laquelle se sont élevés les fondements de cette doctrine ; il fut la nourriture qui a sustenté la philosophie « **batinite** » pour lui donner la sagesse, la logique et l'éloquence. Pour toutes ces raisons ce livre a été classé par les ismaéliens parmi les livres sans prix, les reliques précieuses dont les explications doctrinales exigent le mystère et la non divulgation à quiconque n'appartient pas à la communauté ismaélienne. Ce livre est considéré comme le secret et la clef de la doctrine, d'autant plus qu'il fournit l'interprétation mystérieuse de l'histoire des